مجموع مؤلفات الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله ١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ

(يطبع كاملاً لأول مرة)

إشراف ومتابعة وتنسيق

أبناء الشيخ

محمد بن عبد الرحمن السعدي — مساعد بن عبد الله السعدي

ماهر بن عبد العزيز الشبل — رامي بن عبد العزيز الشبل

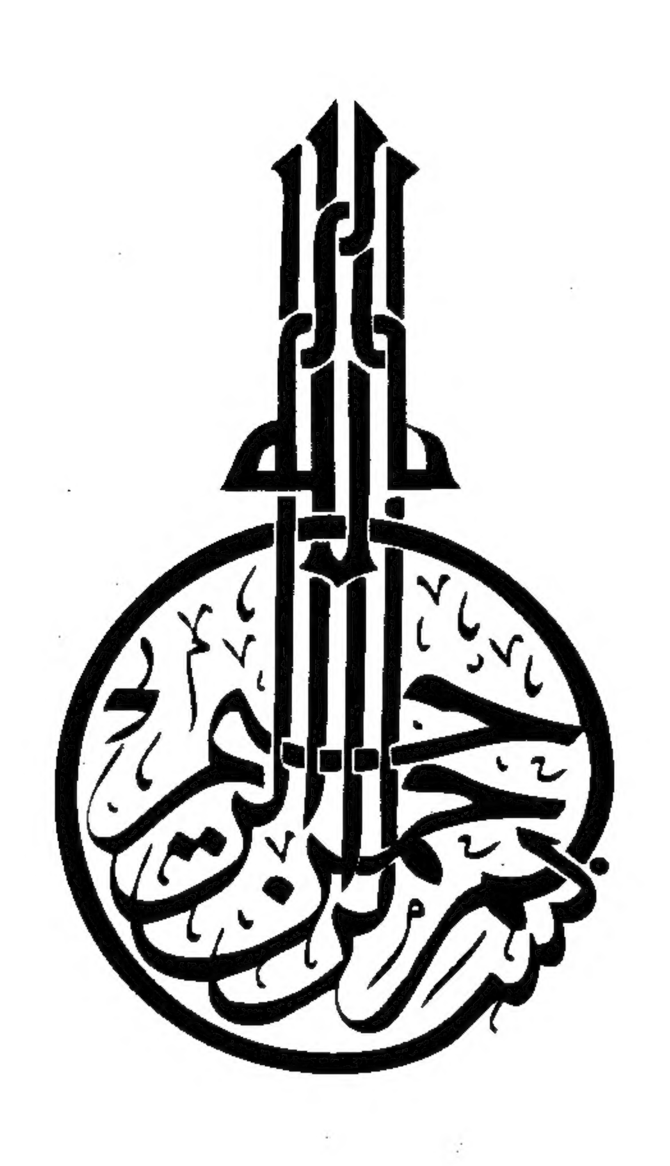
الدار العربية

سليمان بن عبد الله الميمان — أيمن بن عبد الرحمن الحنيحن

المجلد السادس والعشرون


الأخلاق والآداب
اللغة

طبع على نفقة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
دولة قطر


بسم الله الرحمن الرحيم

مجموع مؤلفات الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله

٢٦

طُبِعَ عَلَى نَفَقَةِ

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

دولة قطر

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

جَمَعَهُ وَرَتَّبَهُ وَأَعَادَ صَفَّهُ وَتَنْضِيدَهُ وَرَاجَعَهُ وَحَقَّقَهُ وَضَبَطَهُ عَلَى أُصُولِهِ

قِسْمُ تَحْقِيقِ التُّرَاثِ وَالنَّشْرِ العِلْمِيِّ

شَرِكَةُ الدَّارِ العَرَبِيَّةِ لِتِقْنِيَةِ المَعْلُومَاتِ



لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ بِالرِّيَاضِ

الرياض: هاتف: ٤٦٢٧٣٣٦ فاكس: ٤٦١٢١٦٣

بريد إلكتروني: Info@arabia-it.com الموقع: www.arabia-it.com

مجموع مؤلفات ابن سعدي (٦٩)

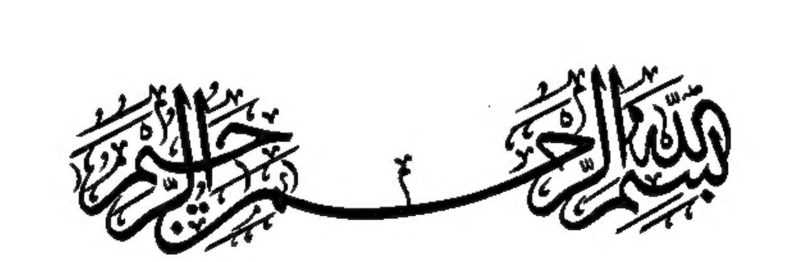
حسن الخلق

تأليف

الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله



كم في الكتاب والسنة من النصوص الحاثة على حسن الخلق، المثنية على أصحابه، الذاكرة ما لهم من الفضائل والفواضل، وذلك لما اشتمل عليه من الخلق الجميل، وما يترتب عليه من المنافع والمصالح العامة والخاصة، فمن أجل فوائده:

امتثال أمر الله وأمر رسوله، والاقتداء بخلق النبي ﷺ العظيم. وإنه في نفسه عبادة عظيمة تتناول من زمان العبد وقتا طويلا وهو في راحة ونعيم مع حصول الأجر العظيم.

ومن فوائده: أنه يحبب صاحبه للقريب والبعيد، ويجعل العدو صديقا، والبعيد قريبا، وبه يتمكن الداعي إلى الله والمعلم للخير من دعوته، ويجمع الخلق إليه بقلوب راغبة، وقبول واستعداد، لوجود السبب، وانتفاء المانع: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وهو بنفسه إحسان قد يزيد على الإحسان المالي «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم حسن الخلق**»[1]. فمتى اجتمع الأمران، فهو الكمال، ومتى فقد الإحسان المالي ناب عنه حسن الخلق والإحسان الحالي والمقالي، فربما صار له موقع أكبر من نفع المال.

وبالخلق الحسن، وطمأنينة القلب وراحته يتمكن من معرفة العلوم التي سعى لإدراكها، والمعارف التي يفكر في تحصيلها.

---

(١) البزار (٨٥٤٤)، أبو يعلى (٦٥٥٠).

وبه يتمكن المناظر والمخاصم من إبداء حجته، وفهم حجة صاحبه، ويسترشد بذلك إلى الصواب قولا وعملا، وكما أنه سبب لهذين الأمرين في نفسه، فهو من أقوى الدواعي لحصولهما لمن خاصمه أو ناظره «**إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**»[1].

وبالخلق الحسن يسلم العبد من مضار العجلة والطيش لرزانته وصبره ونظره لكل ما يمكن من الاحتمالات، وتجنب ما يخشى ضرره.

وبالخلق الحسن يتمكن من الوفاء بالحقوق الواجبة والمستحبة والأهل والأولاد والأقارب والأصحاب والجيران والمعاملين وسائر من بينه وبينه مخالطة أو حق، فكم من حقوق أضيعت من جراء سوء الخلق، وإن حسن الخلق ليدعو إلى صفة الإنصاف؛ فإن صاحب الخلق الحسن يسلم غالبا من الانتصار لنفسه، والتعصب لقوله؛ لأن الانتصار للنفس والتعصب يحمل على الاعتساف وعدم الإنصاف، وإن صاحب الخلق الحسن في راحة حاضرة ونعيم عاجل، فإن قلبه مطمئن ونفسه ساكنة، وهذا مادة الراحة العاجلة، وطيب العيش، كما أن سيئ الخلق في شقاء حاضر، وعذاب مستمر، ونزاع ظاهري وباطني مع نفسه وأولاده ومخالطيه، يشوش عليه حياته، ويكدر أوقاته مع ما يترتب على ذلك من فوات تلك الآثار الطيبة، والتعرض لضدها، وبهذا ونحوه يتبين معنى قوله ﷺ: «**إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»[2].

فإن قلت: إذا كان حسن الخلق له هذه الفضائل والآثار الحسنة، فهل للاتصاف به أسباب يتمكن العبد من فعلها؟ أم هي مجرد موهبة؟

قلت: ما من صنعة حميدة ظاهرة أو باطنة إلا وقد يسر الله للعبد حصولها، ونهج الطرق الموصلة إليها، وأعان عليها بكل وسيلة، وكلما كملت الصفات، كثرت الطرق المفضية إليها، مع أن الغرائز والطبائع الأصلية أعظم عون عليها، وصاحبها إذا سعى أدنى سعي أدرك مراده.

---

(١) مسلم (٢٥٩٣).
(٢) أحمد (٢٥٠١٣)، أبو داود (٤٧٩٨).

فاعلم أن من أعظم ما يعين على هذا الخلق الجميل التفكر في الآثار السابقة المترتبة عليه، فإن معرفة ثمرات الأشياء وحسن عواقبها من أكبر الدواعي إلى فعلها والسعي إليها، وإن عظم الأمر واعترضت الصعوبات، فإن الموارة إذا أفضت إلى ضدها هانت وحلت، وكلما تصعبت النفس عليه ذكَّرها تلك الآثار وما تجتني بالصبر من الثمار، فإنها تلين وتنقاد طائعة، منشرحة الصدر، محتسبة راجية حصول تلك المطالب.

ومن أعظم الأسباب علو الهمة، ورغبة العبد في مكارم الأخلاق، وأنها أولى ما اكتسبته النفوس، وأجل غنيمة غنمها الموفقون، فبحسب قوة رغبته في ذلك يسهل عليه نيل هذا الخلق الجميل.

ومن الأسباب أن يتأمل هل يجلب له سوء الخلق إلا الأسف الدائم والهم الملازم، والآثار القبيحة، فيربأ بنفسه عن هذا الخلق الذميم.

ومن الأسباب رياضة النفس وتمرينها على هذا الخلق، وتوطينها على كل سبب يدرك به هذا الخلق الفاضل، فيوطنها على معارضات الأقوال، وأنه لا بد من مخالفتهم في العلوم والإرادات، ولا بد أيضا من أذية قولية أو فعلية، فليتوطن على تحمل الأذى، وليعلم أن الأذى القولي لا يضر إلا من قاله. وإن من الحزم والقوة أن يكون الإنسان بحيث لا يتأثر بكلام يقصد به إحفاظه وإغضابه، بل يعلم أنه إذا غضب أو تأثر، فقد أعان المتكلم على نفسه، وإن لم يبال به ولم يلقه باله ولم يهتم به ويكترث به فقد قابل القائل بما يكرهه؛ لأن جل مقصد عدوه إيلام قلبه، وإدخال الهم والغم والخوف على قلبه، فكما يسعى بدفع ما يريد إيلام ظاهره، فليسع بدفع ما يريد إيلام باطنه بترك الاهتمام به.

وما أنفع في هذا المقام وغيره أن يجعل الإنسان نصب عينيه وجل مقصده الإبقاء على قلبه من المشوشات والواردات المؤلمة، وأن يحفظ راحة قلبه بكل ما يفضي إلى الراحة من تحصيل الأسباب المريحة للقلب، ودفع كل معارض لها، فإن راحة القلب أصل طيب العيش في هذه الدار، فلو كان الإنسان بكل نعيم، وتوفرت لديه أسباب الراحة، وقلبه في قلق

وحرج، لا يخرج من هم إلا وقع في آخر، ولا يفرح بموجود ومحبوب إلا وجد حشو قلبه ما يكدره، فإنه حتى الآن لم يصل إلى المقصود الذي يسعى له أهل العقول الراقية، فإنهم يسعون أولًا لراحة قلوبهم وطمأنينتها بالإنابة إلى الله في مهماتهم وملماتهم وأحوالهم كلها، ويتممون ذلك بالحلم وحسن الخلق، وحفظ قلوبهم من كل مشوش يكدر عليهم حياتهم الطيبة، ونعيمهم العاجل والآجل.

فتأمل في بعض قصص الأخيار وما هم عليه من الحياة الطيبة، سواء كانوا في فقر أو غنى، أو شدة أو رخاء، وحيث تنقلت بهم الأحوال، فإنك تجد الواحد منهم أبسط الناس خلقا وأروحهم نفسا وأقرهم عينا، بل تجد من هو في يسارة منهم وفقر راضيا قانعا غير متسخط على الله وعلى الخلق، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

الرجاء ممدوح شرعا وعقلا واليأس مذموم شرعا وعقلا:

لا ريب أن الشارع مدح الرجاء الذي هو الرجاء: وأمر به وبكل وسيلة توصل إليه، وذم اليأس ونهى عنه، وأخبر أنه من موبقات الذنوب، وكذلك لما يترتب على الرجاء من المصالح والثمرات النافعة، وما ينشأ عنه من الأسباب الموصلة للمقاصد الجليلة، وما يترتب على اليأس من ضد ذلك؛ مثال ذلك: أن الراجي لرحمة الله ومغفرته بحسب قوة رجائه يسعى بكل طريق يوصل إلى الرحمة والمغفرة اللتين تعلق بهما رجاؤه، بل لا يكون الرجاء حقيقيًّا حتى يقوم بالأعمال الموصلة إلى الرحمة والمغفرة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]. فخص هؤلاء برجاء رحمة الله لما حصل منهم من السبب الأقوم الذي تنال به الرحمة.

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]. إلى آخر الآية التي فيها ذكر الأسباب الموصلة إلى ذلك، المحققة له، فقوة الرجاء تحمل

العبد على كل عمل صالح، فإذا عمله على الوجه المرضي، قوي رجاؤه فلم يزل في ازدياد من الأعمال، ورغبة فيما يقرب إلى الله تعالى ورضوانه وثوابه.

وكلما ضعف رجاؤه كسل عن الخيرات، وتجرأ على السيئات، ودعته نفسه الأمارة بالسوء إلى كل سوء، فانقاد لها لأنه ليس عنده من رجاء رحمة الله ومغفرته ما يكسر سورتها ويقمع شرها، ثم لا يزال الرجاء يضعف من قلبه، واليأس يقوى، فيضعف إيمانه، وتضعف دواعيه إلى الخير، كما تقوى دواعيه إلى الشر، فيقع في اليأس المحض من روح الله، فلا يزال مكبًّا على الذنوب، مصرًّا على المعاصي، لا يحدث نفسه بتوبة ولا يرجع إلى ربه لاستيلاء اليأس عليه، وضعف الرجاء، وهذا هو الهلاك المبين.

ومع أنه هلاك يرجى - إن سعى في علاجه - أن يزول وتعود الصحة، وذلك بأن يتأمل ويتفكر في الأسباب التي أوصلته إلى هذه الحال، وأنها أسباب قابلة للزوال، إذا مرن نفسه على إضعاف اليأس الذي ترامى به إلى الهلاك، وتقوية الرجاء الحامل له على التوبة والإنابة؛ لأنه إذا علم أنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى، ولو بلغت الحال ما بلغت، طمع في مغفرة ربه، واستعان به على التوبة التي هي الإقلاع عن المعاصي والندم على ما مضى منها، والتصميم على ألا يعود، وحصّل من علوم الإيمان وأعماله ما يقوي عزيمته، ويوقظ همته، خصوصا الإيمان الخاص في هذا المقام، وهو توحيده وعلمه أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، وأن العبد إذا تاب توبة نصوحا، فإن الله يغفر له ويتقبل منه، فلا يزال إيمانه يمد توبته، وتوبته تمد إيمانه، ويعمل من الأعمال الصالحة ما يتم به الإيمان والتوبة، ويسلك الصراط المستقيم في علمه وعمله حتى يضمحل يأسه، ويقوى رجاؤه، ويسير إلى ربه سيرًا جميلا، فهذا كلام عام في أمور الدين كلها العلمية والعملية.

ومن مفردات هذا، طالب العلم إذا اشتغل بفن من فنونه، فبعد اشتغاله به رأى من صعوبته وبطء فهمه لمسائله ما أوجب له اليأس من تحصيله، فإنه يملكه اليأس ويدعوه إلى تركه، وكلما خطر بباله الاشتغال به أو ذكر لهذا الأمر، فإذا اليأس من إدراكه ماثل بين

عينيه كأنه حجر عظيم في طريقه، فإن هو أخلد إلى هذه، واسترسل معها قتله اليأس، ورأى هذا المطلوب من المستحيلات عليه، وإن كان موفقا ينظر إلى حقائق الأشياء على ما هي عليه، ولم يملكه الخيال الضار، علم أن الآدمي قابل لتعلم كل علم، مهيأ لذلك، وأن مجرد اشتغاله بالعلوم النافعة ولو لم يحصل منها ويستفد شيئا يذكر مصلحة وعبادة؛ لأنه تصحبه النية الصالحة، وإن لم يشتغل به إلا لنفع نفسه ونفع غيره، فلا يزال ساعيا في هذا الأمر، إذا لم يحصل له مراده أو بعضه في وقت، حدث نفسه أنه سيحصله في وقت آخر إذا استمر على السعي والاجتهاد، فيقوى حينئذ رجاؤه، وينشط في المسير في طلبه، وينفض عنه غبار اليأس حتى يرتقي إلى درجته اللائقة به.

وكما أن الإنسان يطبق هذا المعنى على نفسه فليستعمله في غيره، إذا أراد هداية أحد، أو دعوته إلى الإسلام، أو أصل من أصوله، أو فرع من فروعه، أو تعليمه لعلم نافع، ثم رأى من المدعو نفورا وإعراضا، أو بلادة وقلة فطنة، فإن أخذه الملل واليأس من إدراك المقصود منه، وعدم رجاء انتفاعه، لم يلبث إلا قليلا حتى يدع دعوته وتعليمه، فيفوت بذلك خير كثير.

وإن هو سلك مسلك نبيه ﷺ في دعوته وهداية الخلق، وعلم أنه مكث مدة طويلة يدعو الناس إلى الإسلام والتوحيد، فلا يلقى أذنا سامعة، ولا قلبا مجيبا، فلم يضعف ولم ينِ، بل لم يزل قوي الرجاء، عالمًا أن الله سيتم أمره ماضيًا على دعوته، حتى فتح الله به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، وبلغت دعوته وهدايته ما بلغ الليل والنهار، فإذا جعل هذا بين عينيه، لم يشتد عليه أمر من الأمور، ولو لم يحصل له إلا أن مجرد دعوته إلى الله من أكبر الحسنات لكفى الموفق داعيا إلى الصبر والرجاء.

وكم من أمر مأيوس منه، انتقل من طي العدم إلى الوجود بالصبر والمزاولة، فلا يزال راجيًا طامعًا في إدراك مقصوده أو بعضه، ساعيًا السعي اللائق به حتى يرى من آثار سعيه خيرًا كثيرًا، وكما أن هذا المعنى ثابت في دقيق الأمور وجليلها، فخير ما استعمل هذا الأصل

المهم في أحوال المسلمين اليوم؛ حيث كانوا من زمان طويل والتفرق سارٍ فيهم، والعداوة قائمة بينهم، وكثير من مصلحات دينهم متروكة حتى تفككت قواهم، وضعف أمرهم، وتملكهم اليأس والقنوط، خصوصا إذا نظروا إلى أعدائهم الحقيقيين وقد بلغوا من القوة مبلغا هائلا؛ فحينئذ يستولي عليهم الكسل واليأس، ويتوهمون أنه كالمحال وجود قوة كافية تدفع عنهم عادية الأعداء، فضلا عن أن يكونوا في صفوف الأمم القوية، ومن حدث نفسه بهذا أو غيره، فقد حدثها بالمحال فاستولى عليهم الذل وتوهمت نفوسهم أنهم طعمة لكل أحد، وهذا ناشئ من ضعف الإيمان واستيلاء اليأس وضعف الرجاء.

فلو أنهم جعلوا الرجاء لرحمة الله ونصره وإعزاز دينه نصب أعينهم، وعلموا أن من ينصر الله ينصره، ويثبت قدمه، فسعوا بما يمكن تلافيه من أمرهم، وجمعوا كلمتهم، وجعلوا وحدة دينهم وحفظه من كل عاد هو الجامعة التي تربط أقصاهم وأدناهم، وتركوا لهذا كل ما عارضه من الأغراض الفاسدة، والأهوية الضارة، وقاموا في هذا الأمر قياما حقيقيًّا، ولم يمنعهم ما يعترض لهم من العقبات والتهويلات- لكان أول فائدة يجنونها الأمن على دينهم الذي لولاه لم يسعدوا دنيا ولا أخرى، وسلامتهم من الضربات المعدة له ولهم الموجهة إليهم، ولأمكنهم أن يعيشوا بأنفسهم ومع الأمم بطمأنينة وحفظ للمصالح الدينية والدنيوية من غير أن يضربوا بسلاح، ولا يشوشوا على أحد؛ لأن كل منصف يعذرهم حيث سعوا لحفظ كيانهم ودفع الظلم عنهم بكل طريق، وهو حق يدلي به القوي والضعيف، ثم يسعون في الاستعداد الكافي لمقاومة المعتدين.

فلو جعل الرؤساء هذا الأمر الواجب قبلة قلوبهم وجل مقصدهم، وحصل البحث التام في كيفية الوصول إلى هذا المقصد، ومن أي طريق ينفذ، ورجوا عواقبه الحميدة، لرأوا من آثاره خيرا كثيرا، فنرجو الله أن يوفق جميع المسلمين في أقطار الأرض كلها للقيام بدينهم حق القيام، وأن يكونوا يدا واحدة على من ناوأهم واعتدى عليهم، وأن ييسر لهم الأسباب النافعة، ويزيل عن قلوبهم الذي استولى على أكثرهم، فلو نظروا بأعينهم لبعض

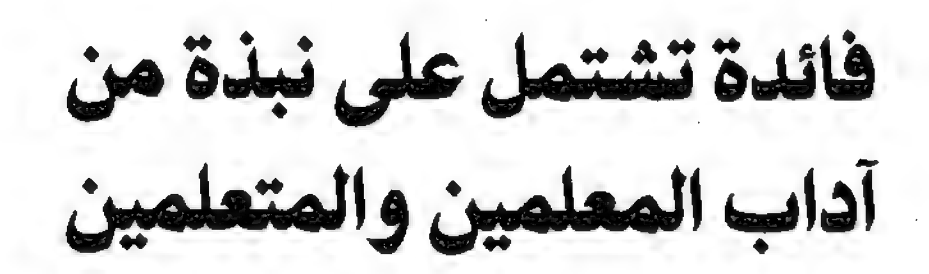
الأمم الصغيرة الّتي عملت لوحدة مصالحها الخاصة كيف عاشت مع الأمم القوية حتى سادتهم في حفظ الحقوق والنظام والمصالح، خصوصا في هذا الوقت العصيب الذي وقع فيه التفاني بين أكبر قوة في العالم مع نظيرتها، وكل واحدة منهما تبدئ وتعيد أنها ستخرج العالم من الظلم والاعتداء، وتجعل لهم نظاما جديدا من العدل يحفظ جميع الأمم؛ فلا علينا أن يكون هذا الكلام منهم حقيقة، وإنما هو دعاية، فالمسلمون أحق الناس كلهم للتنبه لهذا الأمر، وفيهم من الكثرة والقوة المستعدة ما يؤهلهم إلى أعلى المقامات من الإيمان والعون الإلهي وقوة الرجاء، وما في دينهم من الدعوة إلى كل إصلاح ونبذ كل ضار.

مجموع مؤلفات ابن سعدي (٧٠)

آداب المعلمين والمتعلمين

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
رحمه الله

تم الاعتماد في تحقيق هذا الكتاب على
نشرة الشيخ
محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام
رحمه الله



فائدة تشتمل على نبذة من آداب المعلمين والمتعلمين

يتعين على أهل العلم من المعلمين والمتعلمين أن يجعلوا أساس أمرهم، الذي يبنون عليه حركاتهم وسكناتهم الإخلاص الكامل والتقرب إلى الله بهذه العبادة، التي هي أجل العبادات وأكملها وأنفعها وأعمها، ويتفقدوا هذا الأصل الجليل في كل دقيق من أمرهم وجليل.

فإن درسوا أو دارسوا، أو بحثوا أو ناظروا، أو أسمعوا أو استمعوا، أو كتبوا أو حفظوا، أو كرروا دروسهم الخاصة، أو راجعوا عليها أو على غيرها الكتب الأخرى، أو جلسوا مجلس علم، أو نقلوا أقدامهم لمجالس العلم، أو اشتروا كتبا أو ما يعين على العلم، كان الإخلاص لله واحتساب أجره وثوابه ملازما لهم، ليصير اشتغالهم كله قربة وطاعة وسيرا إلى الله وإلى كرامته، وليتحققوا بقوله ﷺ: «**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة**»(١).

فكل طريق حسي أو معنوي يسلكه أهل العلم يعين على العلم أو يحصله فإنه داخل في هذا.

ثم بعد هذا يتعين البداءة بالأهم فالأهم من العلوم الشرعية وما يعين عليها من علوم العربية، وتفصيل هذه الجملة معروف، وينبغي أن يسلك أقرب طريق يوصل إلى المطلوب الذي قصده، وأن ينتقي من مصنفات الفن الذي يشتغل فيه أحسنها وأوضحها وأكثرها فائدة، ويجعل جل همه واشتغاله بذلك الكتاب حفظا عند الإمكان، أو دراسة تكرير، بحيث تكون المعاني معقولة له محفوظة، ثم لا يزال يكرر ما مر عليه ويعيده.

---

(١) مسلم (٢٦٩٩).

وعلى المعلم أن ينظر إلى ذهن المتعلم وقوة استعداده أو ضعفه، فلا يدعه يشتغل بكتاب لا يناسب حاله؛ فإن هذا من عدم النصح، فإن القليل الذي يفهمه ويعقله خير من الكثير الذي هو عرضة لعدم الفهم والنسيان، وكذلك يلقي إليه من التوضيح والتقرير لدرسه بقدر ما يتسع فهمه لإدراكه، ولا يخلط المسائل بعضها ببعض، ولا ينتقل من نوع من أنواع المسائل إلى نوع آخر حتى يتصور ويحقق السابق، فإنه دَرَكٌ للسابق وليتوفر فهمه على اللاحق.

فأما إذا أدخل المسائل بعضها ببعض قبل فهم المتعلم فإنه سبب لإضاعة الأول وعدم فهم اللاحق، ثم تتزاحم عليه المسائل التي لم يحققها فَيَمَلُّها ويضيق عطنه عن العود إليها، فلا ينبغي أن يهمل هذا الأمر.

وعلى المعلم النصح للمتعلم بكل ما يقدر عليه من التعليم والصبر على عدم إدراكه، وعلى عدم أدبه وجفائه، مع شدة حرصه على ما يقوّمه ويحسن أدبه، لأن المتعلم له حق على المعلم حيث أقبل على العلم الذي ينفعه وينفع الناس، وحيث توجه للمعلم دون غيره، وحيث كان ما يحمله من العلم هو عين بضاعة المعلم يحفظها وينميها، ويطلب بها المكاسب الرابحة، فهو الولد الحقيقي للمعلم الوارث له، قال تعالى: ﴿ فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ ﴾ [مريم: ٥، ٦].

والمراد وراثة العلم والحكمة، فالمعلم مثاب مأجور على نفس تعليمه، سواء فهم أو لم يفهم، فإذا فهم ما علمه وانتفع به بنفسه ونفع غيره كان أجرا جاريا للمعلم ما دام ذلك النفع متسلسلا متصلا، وهذه تجارة بمثلها يتنافس الموفقون، فعلى المعلم أن يسعى سعيا شديدا في إيجاد هذه التجارة وتنميتها، فهي من عمله وآثار عمله، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ ﴾ [يس: ١٢]. فما قدموا: ما باشروا عمله، وآثارهم: ما ترتب على أعمالهم من المصالح والمنافع أو ضدها.

وليرغِّب المتعلمَ بكل طريق ولا يُملّه باشتغاله بما يعسر على فهمه من أنواع العلوم ومفرداتها.

وعلى المتعلم أن يوقر معلمه ويتأدب معه حسب ما يقدر عليه لما له من الحق العام والخاص:

أما العام فإن معلم الخير قد استعد لنفع الخلق بتعليمه وفتواه، فحقه على الناس حق المحسنين، ولا إحسان أعظم وأنفع من إحسان من يرشد الناس لأمر دينهم، ويعلمهم ما جهلوا وينبههم لما عنه غفلوا، ويحصل بسبب ذلك من الخير، وانقماع الشر ونشر الدين والمعارف النافعة، ما هو أنفع شيء للموجودين ومن أتى من بعدهم من ذريتهم وغيرهم.

فلولا العلم كان الناس كالبهائم في ظلمة يتخبطون، وفي غيهم يعمهون، فهو النور الذي يهتدى به في الظلمات، والحياة للقلوب والأرواح والدين والدنيا.

والبلد الذي ليس فيه من يبين للناس أمر دينهم ويرشدهم لما ينتابهم مما هم مضطرون إليه، لا خير في الإقامة فيه. فمن كان هذا إحسانه وأثره كيف لا يجب على كل مسلم محبته وتوقيره والقيام بحقوقه؟

وأما حقه الخاص على المتعلم فَلِمَا بذله من تعليمه، والحرص على ما يرشده ويوصله إلى أعلى الدرجات، فليس نفع الآباء والأمهات نظيرا لنفع المعلمين المربين للناس بصغار العلم قبل كباره، الباذلين نفائس أوقاتهم وصفوة أفكارهم في تفهيم المسترشدين بكل طريق ووسيلة يقدرون عليها، وإذا كان مَن أحسن إلى الإنسان بهديَّة مالية ينتفع بها، ثم تذهب وتزول، له حق كبير على المحسن إليه، فما الظن بهدايا العلم النافع الكثيرة المتنوعة؛ الباقي نفعها ما دام العبد حيًّا وبعد مماته المتسلسل بحسب حال تلك الهدايا، فحينئذٍ يعرف حقه ويوقره ويحسن الأدب معه.

ولا يخرج عن إشارته وإرشاده، وليجلس بين يديه متأدبا ويظهر غاية حاجته إلى علمه، ويدعو له حاضرا وغائبا، وإذا أتحفه بفائدة وتوضيح لعلم فلا يظهر له أنه قد عرفه قبل ذلك

وإن كان عارفا له، بل يصغي إليه إصغاء المتطلب بشدة إلى الفائدة، هذا فيما يعرفه؟! فكيف بما لا يعرفه؟ ولهذا كان هذا الأدب مستحسنا مع كل أحد في العلوم والمخاطبات في الأمور الدينية والدنيوية.

وإذا أخطأ المعلم في شيء فلينبهه برفق ولطف بحسب المقام، ولا يقول له: أخطأت أو ليس الأمر كما تقول، بل يأتي بعبارة لطيفة يدرك بها المعلم خطأه من دون أن يتشوش قلبه، فإن هذا من الحقوق اللازمة، وهو أدعى للوصول إلى الصواب، فإن الرد الذي يصحبه سوء الأدب وانزعاج القلب يمنع من تصور الصواب ومن قصده.

وكما أن هذا لازم على المتعلم، فعلى المعلم إذا أخطأ أن يرجع إلى الحق، ولا يمنعه قولٌ قاله ثم رأى الحق في خلافه من مراجعة الحق والرجوع إليه، فإن هذا علامة الإنصاف والتواضع للحق، فالواجب اتباع الصواب سواء جاء على يد الصغير أو الكبير.

ومن نعمة الله على المعلم أن يجد من تلاميذه من ينبهه على خطئه ويرشده إلى الصواب، ويزول استمراره على جهله، فهذا يحتاج إلى شكر الله ثم إلى شكر من أجرى الله الهدى على يديه متعلما أو غيره.

ومن أعظم ما يجب على المعلمين أن يقولوا لما لا يعلمونه: الله أعلم، وليس هذا بناقص لأقدارهم، بل هذا مما يزيد قدرهم، ويستدل به على دينهم وتحرّيهم للصواب.

وفي توقفه عما لا يعلم فوائد كثيرة:

منها: أن هذا هو الواجب عليه.

ومنها: أنه إذا توقّف وقال: لا أعلم. فما أسرع ما يأتيه علم ذلك؛ إما من مراجعته أو مراجعة

غيره، فإن المتعلم إذا رأى معلمه توقف جدَّ واجتهد في تحصيل علمها وإتحاف المعلم بها، فما أحسن هذا الأثر.

ومنها: أنه إذا توقف عما لا يعرف كان دليلا على ثقته وإتقانه فيما يجزم به من المسائل، كما أن من عرف منه الإقدام على الكلام فيما لا يعلم كان ذلك داعيا للريب في كل ما يتكلم به، حتى في الأمور الواضحة.

ومنها: أن المعلم إذا رأى منه المتعلمون توقفه عما لا يعلم كان ذلك تعليما لهم وإرشادا إلى هذه الطريقة الحسنة، والاقتداء بالأحوال والأعمال أبلغ من الاقتداء بالأقوال.

ومما يعين على هذا المطلوب أن يفتح المعلم للمتعلمين باب المناظرة في المسائل والاحتجاج عليها، وأن يكون القصد واحدا، وهو اتباع ما رجحته الحجة والأدلة، فإنه إذا جعل هذا الأمر نصب عينيه وأعينهم تنورت الأفكار، وعرفت المآخذ والبراهين واتبعت الحقائق، وكان القصد الأصلي وتوابعه معرفة الحق واتباعه.

والحذر الحذر من التعصب للأقوال والقائلين؛ وهو أن يجعل القصد من المناظرة نصر القول الذي قاله[1] أو قاله من يعظمه، فإن التعصب مُذْهِبٌ للإخلاص مزيل لبهجة العلم، مُعْمٍ للحقائِق، فاتح لأبواب الخصام والحقد، كما أن الإنصاف هو زينة العلم، وعنوان الإخلاص والنصح والفلاح.

وليحذر مِنْ طلب العلم للأغراض الفاسدة والمقاصد السيئة؛ من المباهاة والمماراة والرياء والسمعة[2]، أو أن يكون له وسيلة إلى الأغراض الدنيوية والرئاسة، فليست هذه حال أهل العلم الذين هم أهله في الحقيقة، ومن طلب العلم واستعمله في أغراضه السيئة أو رياء

---

(١) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم ٢/ ٥.

(٢) كما ورد في قوله ﷺ: «من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه؛ أدخله الله النار». أخرجه الترمذي (٢٦٥٤)، وابن ماجه (٢٥٣) وغيرهما.

أو سمعة فليس له في الآخرة من خلاق.

ومن أعظم ما يتعين على أهل العلم الاتصاف بما يدعو إليه العلم من الأخلاق والأعمال والتعليم، فهم أحق الناس بالاتصاف بالأخلاق الجميلة والتخلي من كل خلق رذيل، وهم أولى الناس بالقيام بالواجبات الظاهرة والباطنة وترك المحرمات، لما تميزوا به من العلم والمعارف، التي لم تحصل لغيرهم، ولأنهم قدوة الناس في أمورهم ولأنه يتطرق إليهم من الاعتراض والقوادح عندما يتركون ما يدعو إليه العلم أعظم مما يتطرق إلى غيرهم.

وأيضا فكان السلف يستعينون بالعمل على العلم؛ فإن عمل به استقر ودام ونما وكثرت بركته، وإن ترك العمل به ذهب أو عدمت بركته، فروح العلم وحياته وقوامه إنما هو بالقيام به عملا وتخلقا وتعليما ونصحا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وينبغي سلوك الطريق النافع عند البحث تعلما وتعليما، فإذا شرع المعلم في مسألة وَضَّحها وأوصلها إلى أفهام المتعلمين بكل ما يقدر عليه من التعبير وضرب الأمثال والتصوير والتحرير، ثم لا ينتقل منها إلى غيرها قبل تحققها وتفهيمها للمتعلمين، ولا يدع المتعلمين يخرجون من الموضوع الذي لم يتم تقريره إلى موضوع آخر حتى يُحْكِمُوه ويفهموه، فإن الخروج من الموضوع إلى غيره قبل الانتهاء منه يشوش الذهن ويحرم الفائدة ويخلط المسائل بعضها ببعض.

وينبغي تعاهد محفوظات المتعلمين ومعلوماتهم بالإعادة والامتحان والحث على المذاكرة والمراجعة وتكرار الدرس، فإن التعلم بمنزلة الغرس للأشجار، والدرس والمذاكرة والإعادة بمنزلة السقي لها وإزالة الأشياء المضرة لتنمو وتزداد على الدوام.

وكما أن على المتعلم توقير معلمه والأدب معه، فكذلك أقرانه في التعلم معه عليه

توقيرهم واحترامهم. فالصحبة في طلب العلم تجمع حقوقا كثيرة؛ لأن لهم حق الأخوّة والصحبة، وحق الاحترام لما قاموا به من الاشتغال بما ينفعهم وينفع الناس وهو الانتماء إلى معلمهم، وأنهم بمنزلة أولاده، وحق لنفع بعضهم بعضا.

ولهذا ينبغي ألا يدع ممكنا يقدر عليه من نفع من يقدر على نفعه منهم من تعليمه ما يجهل، والبحث معه للتعاون على الخير وإرشاده لما فيه نفعه، وينبغي أن يكون اجتماعهم في كل وقت غنيمة يتعلم فيه القاصر ممن هو أعلى منه، ويعلِّم العارف غير العارف، ويتطارحون المسائل النافعة، وليجعلوا همهم مقصورا على ما هم بصدده، وليحذروا من الاشتغال بالناس والتفتيش عن أحوالهم والعيب لهم، فإنه إثم حاضر.

والمعصية من أهل العلم أعظم من غيرهم، لأن الحجة عليهم أقوم، ولأن غيرهم يقتدي بهم، ومن كان طبعه الشر من غيرهم جعلهم حجة له، ولأن الاشتغال بالناس يضيع المصالح النافعة والوقت النفيس ويذهب بهجة العلم ونوره.

واعلم أن القناعة باليسير من الرزق والاقتصاد في أمر المعيشة مطلوب من كل أحد، لا سيما المشتغلون بالعلم، فإنه كالمتعين عليهم، لأن العلم وظيفة العمر كله أو معظمه، فمتى زاحمته الأشغال الدنيوية والضروريات حصل النقص بسبب ذلك، والاقتصاد والقناعة من أكبر العوامل لخصر[1] الأشغال الدنيوية وإقبال المتعلم على ما هو بصدده.

ومن آداب العالم والمتعلم النصح وبث العلوم النافعة بحسب الإمكان، حتى لو تعلم الإنسان مسألة وبثها كان ذلك من بركة العلم، ولأن ثمرات العلم أن يأخذه الناس عنك، فمن شح بعلمه مات علمه بموته، وربما نسيه وهو حي، كما أن من بث علمه كان له حياة ثانية وحفظا لما علمه وجازاه الله بحسب عمله.

ومن أهم ما يتعين السعي في جمع كلمتهم وتأليف القلوب على ذلك، وحسم أسباب

(١) كذا في المخطوطة ولو قال لاختصار لكان أوضح.

الشر والعداوة والبغضاء بينهم، وأن يجعلوا هذا الأمر نصب أعينهم وغاية يسعون إليها بكل طريق، لأن المطلوب واحد والقصد واحد، والمصلحة مشتركة، فيحققون هذا الأمر بمحبة كل من كان من أهل العلم ومن له قدم فيه أو اشتغال أو نفع، ولا يدعون الأغراض الفاسدة تملكهم وتمنعهم من هذا المطلوب الجليل، فيحب بعضهم بعضا، ويذب بعضهم عن بعض، ويبذلون النصيحة لمن رأوه منحرفا عن الآخر، ويبرهنون على أن الأمور الجزئية التي تدعو إلى ضد المحبة والائتلاف لا تقدم على الأصول الكلية التي فيها جمع الكلمة.

ولا يدعون أعداء العلم من العوام وغيرهم يتمكنون من إفساد ذات بينهم وتفريق كلمتهم، فإن في تحقيق هذا المقصد الجليل والقيام به من المنافع والمصالح ما لا يحصى، ولو لم يكن فيه إلا أن هذا هو الدين الذي حث الشارع عليه بكل طريق.

وأعظم من يلزمه القيام به أهله، ولأنه من أعظم الأدلة على النصح والإخلاص اللذين هما قطب الدين وروحه، وإن بهذا الوصف يتصف العبد بأنه من أهل العلم الذين هم أهله الذين ورد في الكتاب والسنة من مدحهم والثناء عليهم ما لا يتسع هذا الموضع لذكره.

وفيه من تكثير العلم وتوسعة الوصول إليه وتنوع طرقه ما هو مشاهد، فإن أهل العلم إذا كانت طريقتهم واحدة تمكن أن يتعلم بعضهم من بعض، ويعلم بعضهم بعضا، وإذا كانت كل طائفة منهم منزوية عن الأخرى منحرفة عنها انقطعت الفائدة وحل محلها ضدها، وحصل التعصب والبغض والتفتيش عن عيوب الطائفة الأخرى وأغلاطها، وكل هذا مناف للدين والعقل، ولما يتعين على أهل العلم، ولما كان عليه السلف الصالح.

فالموفق تجده ناصحا لله بتوحيده والقيام بعبوديته ظاهرا وباطنا، بإخلاص واحتساب وتكميل لها بحسب وُسْعِهِ، ناصحا لكتاب الله بالإيمان بما اشتمل عليه، والإقبال على تعلمه وتعلم ما يتعلق به ويتفرع عنه من علوم الشريعة كلها، ناصحا لرسوله بالإيمان بكل ما جاء به من أصول الدين وفروعه وتقديم محبته على كل محبة بعد محبة الله تعالى، وتحقيق متابعته في شرائع الدين الظاهرة والباطنة، ناصحا لأئمة المسلمين؛ من ولاتهم وعلمائهم

ورؤسائهم في محبة الخير لهم والسعي في إعانتهم عليه قولا وفعلا، ومحبة اجتماع الرعية على طاعتهم وعدم مخالفتهم الضارة، ناصحا لعامة المسلمين، يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويصدق ظاهره باطنه، وأقواله أفعاله، ويدعو إلى هذا الأصل القويم والصراط المستقيم.

فنسأل الله الكريم أن يرزقنا حبه وحب من يحبه، وحب العمل الذي يقربنا إلى حبه، ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب.

وصلَّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال ذلك وكتبه الفقير إلى ربه عبد الرحمن الناصر بن سعدي، ونقله من خط المؤلف الفقير إلى مولاه محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام.

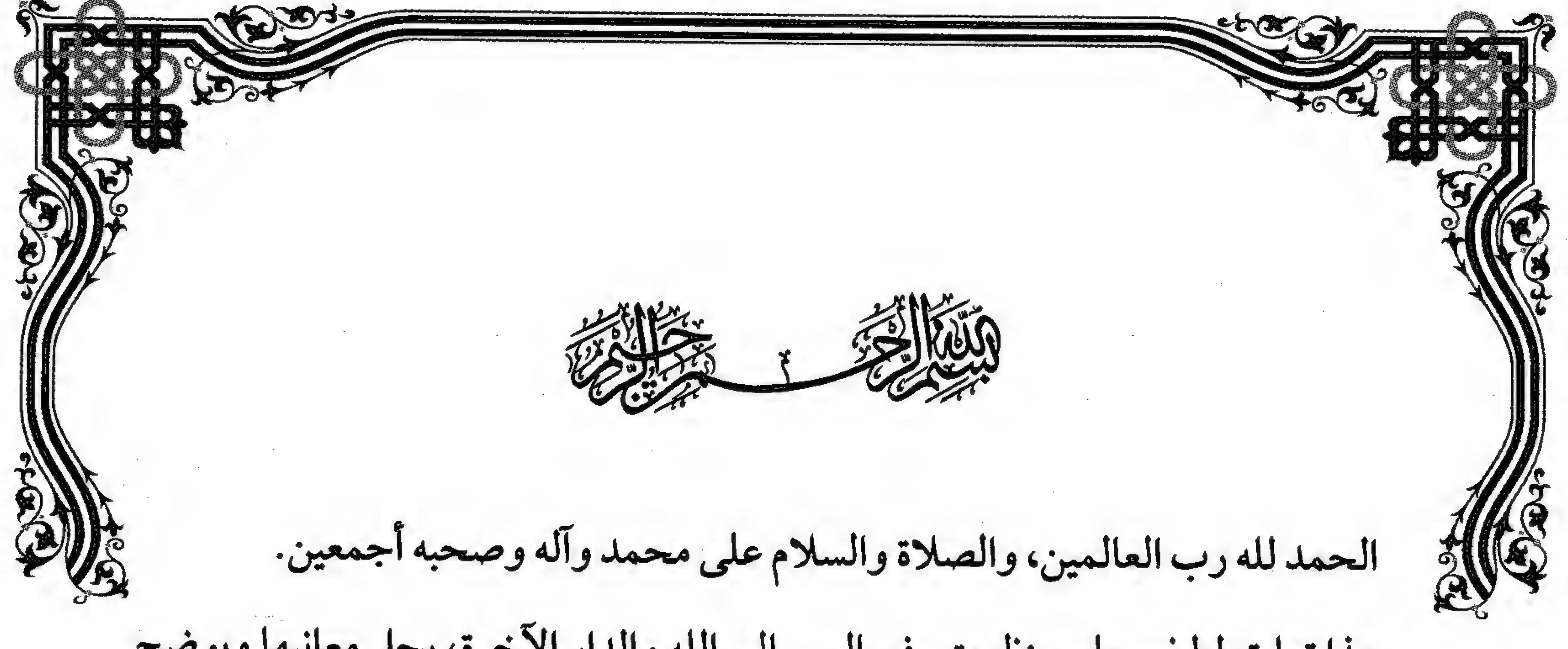
بتاريخ ١/ ذي الحجة عام ١٤١٢هـ.

الدرة الفاخرة

في التعليق على

منظومة السير إلى الله والدار الآخرة

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
رحمه الله



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين.

هذا تعليق لطيف على منظومتي في السير إلى الله والدار الآخرة، يحل معانيها ويوضح مبانيها، فإنها قد حصلت على كثير من منازل السائرين إلى الله، التي توصل صاحبها إلى جنات النعيم في جوار الرب الكريم، وتمنعه من عذاب الجحيم والحجاب الأليم.

والله المسئول - بفضله ومنه - أن يجعله خالصا لوجهه، مقربا عنده.

العبادة

واعلم أن المقصود من العبد: عبادة الله ومعرفته ومحبته والإنابة إليه على الدوام، وسلوك الطرق التي توصله إلى دار السلام، وأكثر الناس غلب عليهم الحس وملكتهم الشهوات والعادات، فلم يرفعوا بهذا الأمر رأسا، ولا جعلوه لبنائهم أساسا، بل أعرضوا عنه اشتغالا بشهواتهم، وتركوه عكوفا على مراداتهم، ولم ينتهوا لاستدراك ما فاتهم في أوقاتهم، فهم في جهلهم وظلمهم حائرون، وعلى حظوظ أنفسهم الشاغلة عن الله مكبون، وعن ذكر ربهم غافلون، ولمصالح دينهم مضيعون، وفي سكر عشق المألوفات هائمون. ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

ولم ينتبه من هذه الرقدة العظيمة، والمصيبة الجسيمة إلا القليل من العقلاء، والنادر من النبلاء، فعلموا أن الخسارة كل الخسارة الاشتغال بما لا يجدي على صاحبه إلا الوبال والحرمان، ولا يعوضه مما يؤمل إلا الخسران، فآثروا الكامل على الناقص، وباعوا الفاني بالباقي، وتحملوا تعب التكليف والعبادة، حتى صارت لهم لذة وعادة، ثم صاروا بعد ذلك سادة، فاسمع صفاتهم واستعن بالله على الاتصاف بها:

سعد الذين تجنبوا سبل الردى   وتيمموا لمنازل الرضوان

هذا هو أصل طريقهم، وقاعدة سير فريقهم: إنهم تجنبوا طرق الخسران وتيمموا طرق الرضوان، تجنبوا طرق الشيطان وقصدوا عبادة الرحمن، تجنبوا طرق الجحيم وتيمموا سبل النعيم، تركوا السيئات وعملوا على الحسنات، نزهوا قلوبهم وألسنتهم وجوارحهم عن المحرمات والمكروهات، وشغلوها بفعل الواجبات والمستحبات.

تحلوا بالأخلاق الجميلة، وتخلوا من الأوصاف الرذيلة.

فهم الذين أخلصوا في مشيهم   متشرعين بشرعة الإيمان

هاتان القاعدتان - وهما: الإخلاص والمتابعة - شرط لكل عبادة، ظاهرة وباطنة[1]، فكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل، وكل عمل لا يكون على سنة رسول الله فهو مردود[2]؛ فإذا اجتمع للعمل الإخلاص للمعبود - وهو أن يراد بالعمل وجه الله وحده - والمتابعة للرسول - وهو أن يكون العمل قد أمر به - فهذا هو هو العمل المقبول.

وهم الذين بنوا منازل سيرهم   بين الرجا والخوف للديان

أي: ساروا في جميع أمورهم مستصحبين وملازمين للخوف والرجاء، وذلك أن لهم نظرًا؛ أي: نظر إلى أنفسهم وتقصيرهم في حقوق الله يحدث لهم الخوف، ونظر إلى منن الله عليهم، وإحسانه إليهم يحدث لهم الرجاء.

وأيضا؛ ينظرون إلى صفات العظمة والجلال، والحكمة والعدل، فيخافون على أنفسهم من ترتب آثارها، وينظرون إلى صفات الرحمة والجود والكرم والإحسان فيرجون ما تقتضيه:

فإن فعلوا حسنة جمعوا بين الخوف والرجاء فيرجون قبولها ويخافون ردها، وإن عملوا سيئة خافوا من عقابها ورجوا مغفرتها بفضل الله، فهم بين الخوف والرجاء يترددون، وإليهما دائما يفزعون، ومنهما في أمر سيرهم مترددون، فأولئك الذين أحرزوا قصب السبق، وأولئك هم المفلحون.

وهم الذين ملا الإله قلوبهم   بوداده ومحبة الرحمن

هذه المنزلة - وهي منزلة المحبة - هي أصل المنازل كلها ومنها تنشأ جميع الأعمال الصالحة والأعمال النافعة، والمنازل العالية.

ومعنى المحبة: تعلق القلب بالمحبوب، ولزوم الحب للقلب فلا تنفك عنه، [وهي]

---

(١) وفي كتاب (العبودية) لشيخ الإسلام ابن تيمية بيان تفصيلي لهاتين القاعدتين.

(٢) كما في البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

تقتضي من صاحبها الانكفاف عما يكره الحبيب، والمبادرة إلى ما يرضيه بقلب منشرح وصدر رحيب؛ فإن تكلم تكلم بالله، وإن سكت سكت لله، وإن تحرك فلله، وإن سكن فله، ويحدث عن الحب الشوق إلى الله، والقلق فلا يكاد صاحبه يستقر[١].

إن قيل: فهل للمحبة - التي هي أعلى المراتب - من وسيلة وسبب؟

قيل: لم يجعل الله مطلبا إلا جعل لحصوله سببا، فمن أكبر أسبابها الانكفاف عن كل قاطع[٢] بالقول والفعل والأفكار الردية، والإكثار من ذكر الله بحضور قلب وتدبر كلامه الكريم، ومطالعة نعمه العظيمة على العبد، وبالوقوف بين يديه بحضور قلب وأدب في الوقوف بين يديه، ومجالسة المحبين، ومجانبة كل قاطع، فمن فعل ذلك نال محبة الله - إن شاء الله - والله المستعان.

ولهذا قلت:

وهم الذين أكثروا من ذكره ... في السر والإعلان والأحيان

منزلة شريفة، حاجة كل إنسان إليها، بل ضرورته إليها فوق كل حاجة، فذكر الله هو عمارة الأوقات، وبه تزول الهموم والغموم والكدورات، وبه تحصل الأفراح والمسرات، وهو عمارة القلوب المقفرات، كما أنه غراس الجنات، وهو موصل لأعلى المقامات، وفيه من الفوائد ما لا يحصى، ومن الفضائل ما لا يعد ولا ينقضي، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وقال النبي ﷺ لرجل قال: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأوصني. قال: **«لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله»**[٣].

---

(١) وذلك بسبب ما يقيم عليه نفسه من عمل، ومجاهدة، ودعوة .... .

(٢) أي: من القواطع عنها، المؤخرة لها.

(٣) الترمذي (٣٣٧٥).

وقال: «سبق المُفَرِّدون» قالوا: وما المفردون ؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرا والذاكرات**»[1].

ولي من أبيات[2]:

وكن ذاكرًا لله في كل حالة ... فليس لذكر الله وقت مقيد
فذكر إله العرش سرًّا ومعلنًا ... يزيل الشقا والهم عنك ويطرد
ويجلب للخيرات دينًا وآجلًا ... وإن يأتك الوسواس يومًا يشرد
فقد أخبر المختار يومًا لصحبه ... بأن كثير الذكر في السبق مفرد
ووصى معاذًا يستعين إلهه ... على ذكره والشكر بالحسن يعبد
وأوصى لشخص قد أتى لنصيحة ... وقد كان في حمل الشرائع يجهد
بأن لم يزل رطبًا لسانك هذه ... تعين على كل الأمور وتسعد
وأخبر أن الذكر غرس لأهله ... بجنات عدن والمساكن تمهد
وأخبر أن الله يذكر عبده ... ومعه على كل الأمور يسدد
وأخبر أن الذكر يبقى بجنبه ... وينقطع التكليف حين يخلد
ولو لم يكن في ذكره غير أنه ... طريق إلى حب الإله ومرشد
وينهى الفتى عن غيبة ونميمة ... وعن كل قول للديانة مفسد
لكان لنا حظ عظيم ورغبة ... بكثرة ذكر الله نعم الموحد
ولكننا من جهلنا قل ذكرنا ... كما قل منا للإله التعبد

وذكر الله نور للذاكر في قلبه، وفي قوله، وفي قبره، ويوم حشره.

والله المستعان.

---

(١) مسلم (٢٦٧٦). و(المفردون) هم: المنقطعون عن الناس بذكر الله.

(٢) وقد ضمن المصنف أبياته - هذه - معاني عدة أحاديث نبوية صحيحة، أكتفي بهذه الإشارة عن تخريجها فيه.

يتقربون إلى المليك بفعلهم طاعاته والترك للعصيان

هذه الأعمال التي تقرب إلى الله، وتوصل إليه، وهو فعل طاعته، لا سيما الفرائض وترك معاصيه، كما في الحديث القدسي: «**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب بالنوافل حتى أحبه**»(١).

فلهذا قلت:

فعل الفرائض والنوافل دأبهم مع رؤية التقصير والنقصان

هذا هو الكمال: وهو أن يجتهد في أداء الفرائض، والإكثار من النوافل، ويرى نفسه مقصرا مفرطا، فاجتهاده في الأعمال ينفي عنه الكسل، ورؤية تقصيره ينفي عنه العجب الذي يبطل الأعمال ويفسدها.

صبروا النفوس على المكاره كلها شوقًا إلى ما فيه من إحسان

الصبر: هو حبس النفس على ما يكره الإنسان إذا كان فيه رضا الرحمن.

والصبر ثلاثة أقسام: صبر على طاعة الله حتى يؤديها، وصبر عن معاصي الله حتى يتركها، وصبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يتسفهها، فإذا كسلت نفسه عن طاعة الله حثها عليها وألزمها ورغبها إياها بثوابها، وإذا اشتدت دواعي نفسه إلى معصية الله كفها عنها وحذرها وبالها وعاقبة فعالها، فالصبر محتاج إليه في كل الأمور:

نزلوا بمنزلة الرضا فهمُ بها قد أصبحوا في جنة وأمان

منزلة الرضا أعلى من منزلة الصبر؛ فإن الصبر حبس النفس وكفها على ما تكره، مع وجود منازعة فيها.

وبالرضا تضمحل تلك المنازعة، ويرضى عن الله رضا مطمئن منشرح الصدر، بل ربما تلذذ بالبلاء كتلذذ غيره بالرخاء. وإذا نزل العبد بهذه المنزلة طابت حياته وقرت عينه.

(١) البخاري (٦٥٠٢).

ولهذا سمي الرضا «جنة الدنيا ومستراح العابدين»، ومن رضي عن الله رضي الله عنه، ومن رضي من الله باليسير من الرزق، رضي الله منه باليسير من العمل.

فحقيقة الرضا تلقي أحكام الله الأمرية الدينية، وأحكامه الكونية القدرية بانشراح صدر وسرور نفس، لا على وجه التكره والتلمظ.

شكروا الذي أولى الخلائق فضله ... بالقلب والأقـــوال والأركـــان

الشكر يكون بالقلب، وهو: الاعتراف بنعم الله والإقرار بها، وعدم رؤية نفسه لها أهلا، بل هي محض فضل ربه، ويكون باللسان، وهو الثناء على الله بها، والتحدث بها ويكون بالجوارح، وهو كفها عن معاصي الله، والاستعانة بنعمه على طاعته، فإن أعطاه شيئا من الدنيا شكره عليه، وإن زوى عنه شيئا منها شكره أيضا؛ إذ ربما كانت نعمته عليه صارفة منه شرا أعظم منها، وإن وفقه لطاعة من الطاعات رأى المنة لله في توفيقه لها وشكره عليها.

والله المستعان.

صحبوا التوكل في جميع أمورهم ... مع بذل جهد في رضا الرحمن

يكمل العبد في هذين الأمرين؛ وهما: التوكل على الله، والاجتهاد في طاعة الله، ويتخلف عن العبد الكمال بفقد واحد منهما.

فحقيقة التوكل تجمع أمرين: الاعتماد على الله والثقة بالله، فيعتمد على ربه بقلبه في جلب ما ينفعه في أمر دينه ودنياه، فيتبرأ من نفسه وحولها وقوتها، ويثق بالله في حصول ما ينفعه ودفع ما يضره، ويجتهد في الأسباب التي يتوصل بها إلى المطلوب.

وتفصيل ذلك: أنه إذا عزم على فعل عبادة، بذل جهده في تكميلها وتحسينها، ولا يبقي من مجهوده مقدورا وتبرأ من النظر إلى نفسه وقوتها، بل لجأ إلى ربه واعتمد عليه في تكميلها، وأحسن الظن ووثق في حصول ما توكل به عليه. وإذا عزم على ترك معصية - قد دعته نفسه

إليها - بذل جهده في الأسباب الموجبة لتركها؛ من التفكر بها وصرف الجوارح عنها، ثم اعتمد على الله ولجأ إليه في عصمته منها، وأحسن الظن به في عصمته له، فإنه إذا فعل ذلك في جميع ما يأتي ويذر؛ رجي له الفلاح إن شاء الله تعالى.

وأما من استعان بالله وتوكل عليه، مع تركه الاجتهاد اللازم له، فهذا ليس بتوكل، بل عجز ومهانة. وكذلك من يبذل اجتهاده ويعتمد على نفسه ولا يتوكل على ربه فهو مخذول.

عبدوا الإله على اعتقاد حضوره فتبوءوا في منزل الإحسان

هذه المنزلة يقال لها: منزلة الإحسان، وهي كما فسرها النبي ﷺ: «**أن تعبد الله وحده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1]. فإذا تصور الإنسان هذا المقام في جميع أحواله - لا سيما حال العبادة - منعه من الالتفات بقلبه إلى غير ربه، بل أقبل بكليته على الله، وتوجه بقلبه إليه متأدبا في عبادته، آتيا بجميع ما يكملها، مجتنبا كل منقص لها. وهذه المنزلة من أعظم المنازل وأجلها، ولكنها تحتاج إلى تدريج للنفوس شيئا فشيئا. ولا يزال العبد يعودها نفسه حتى تنجذب إليها وتعتادها، فيعيش العبد قرير العين بربه، فرحا مسرورا بقربه.

نصحوا الخليقة في رضا محبوبهم بالعلم والإرشاد والإحسان
صحبوا الخلائق بالجسوم وإنما أرواحهم في منزل فوقاني

هذه حالهم مع الخلق، أكمل حال وأجلها، فأبدوا لهم غاية النصح، وأحبوا لهم ما أحبوا لأنفسهم من الخير، وكرهوا لهم ما كرهوا لأنفسهم من الشر، فسعوا في إزالة الشر عنهم بكل ممكن، واجتهدوا في إيصال النفع إليهم. بكل مقدور؛ من أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإطعام جائعهم، وكسوة عاريهم، وإغاثة ملهوفهم، وتعليم جاهلهم، وردع ظالمهم، ونصر مظلومهم، واحتمال أذاهم، وكفهم أذى أنفسهم عنهم، ومع هذا فصحبتهم لهم بالظاهر والجسم.

(١) البخاري (٥)، مسلم (٩).

وأما قلوبهم وأرواحهم: فإنها تجول حول الحبيب وتطلب من قربه أعظم نصيب، فتارة تنكسر بين يديه، وتخشع وتخضع لديه، وطورا تشكره لحبه، وتدل عليه لاستحضار بره وقربه، ثم تميل إلى مراضيه، فتجتهد في عباداته وتحسن إلى مخلوقاته، فهؤلاء هم الناس، بل هم العقلاء الأكياس. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بالله دعوات الخلائق كلها   خوفًا على الإيمان من نقصان

هذه منزلة الرعاية لحقائق الإيمان ومشاهد الإحسان، وذلك أن العبد لا ينبغي له أن يعرض عن تدبر أحواله، والتفكر في نقص أعماله، بل يبذل جهده قبل العمل، وفي نفس العمل وتصحيحه وتحسينه، ثم يصونه عن المفسدات، وينزهه عن المنقصات، فإن حفظ العمل أعظم من العمل، فكلما ازداد العبد رعاية لعمله واجتهادا فيه ازداد إيمانه، وكلما نقص من ذلك نقص من إيمانه بحسبه.

ومن أعظم ما ينبغي مراعاته في العمل مشهد الإحسان وهو الحرص على إيقاع العبادة بحضور قلب وجمعيته على الله، وكذلك مراعاة منة الله على العبد، وأنه ينبغي له أن يشكر الله على توفيقه لذلك العمل أعظم شكر. وكذلك مراعاة التقصير، وأنك لم تؤت العبادة حقها، ولا قمت بجميع ما تستحقها. وكذلك مراعاة الخوف والرجاء يخاف من ردها بعجب، أو رياء أو تكبر بها، أو عدم قيام بحقها، أو غير ذلك، ويرجو قبولها برحمة ربه ومنه، وإحسانه إليه الذي من جملته توفيقه لها.

عزفوا القلوب عن الشواغل كلها   قد فرغوها من سوى الرحمن

حركاتهم وهمومهم وعزومهم   لله لا للخلق والشيطان

أي فرغوا قلوبهم عن جميع ما يشغل عن الله ويبعد عن رضاه، وهذا حقيقة الزهد.

ولا يكفي هذا التفريغ حتى يمتلئ القلب من الأفكار النافعة والعزوم الصادقة، فتكون أفكار العبد في كل ما يقرب إلى الرحمن من تصور علم، وتدبر قرآن وذكر لله بحضور قلب

وتفكر في عبادة وإحسان، وخوف من زلة وعصيان، أو تأمل لصفات الرحمن وتنزيهه عن جميع العيوب والنقصان، أو تفكر في القبر وأحواله، أو يوم القيامة وأهواله، أو في الجنة ونعيمها، والنار وجحيمها، فأفكارهم حائمة حول هذه الأمور، متنزهة عن دنيات الأمور، والتفكر بما لا يجدي على صاحبه إلا الهم والوبال، وتضييع الوقت، وتشتيت البال غير نافع للعبد في الحال والمآل.

نعم الرفيق لطالب السبل التي تفضي إلى الخيرات والإحسان

فهؤلاء هم الذين يسعد بهم رفيقهم إذا اقتدى بسلوك سيرهم فريقهم، وهؤلاء الذين أمرنا الله أن نسأله أن يهدينا طريقهم إذ أنعم عليهم بصدق إيمانهم وتحقيقهم.

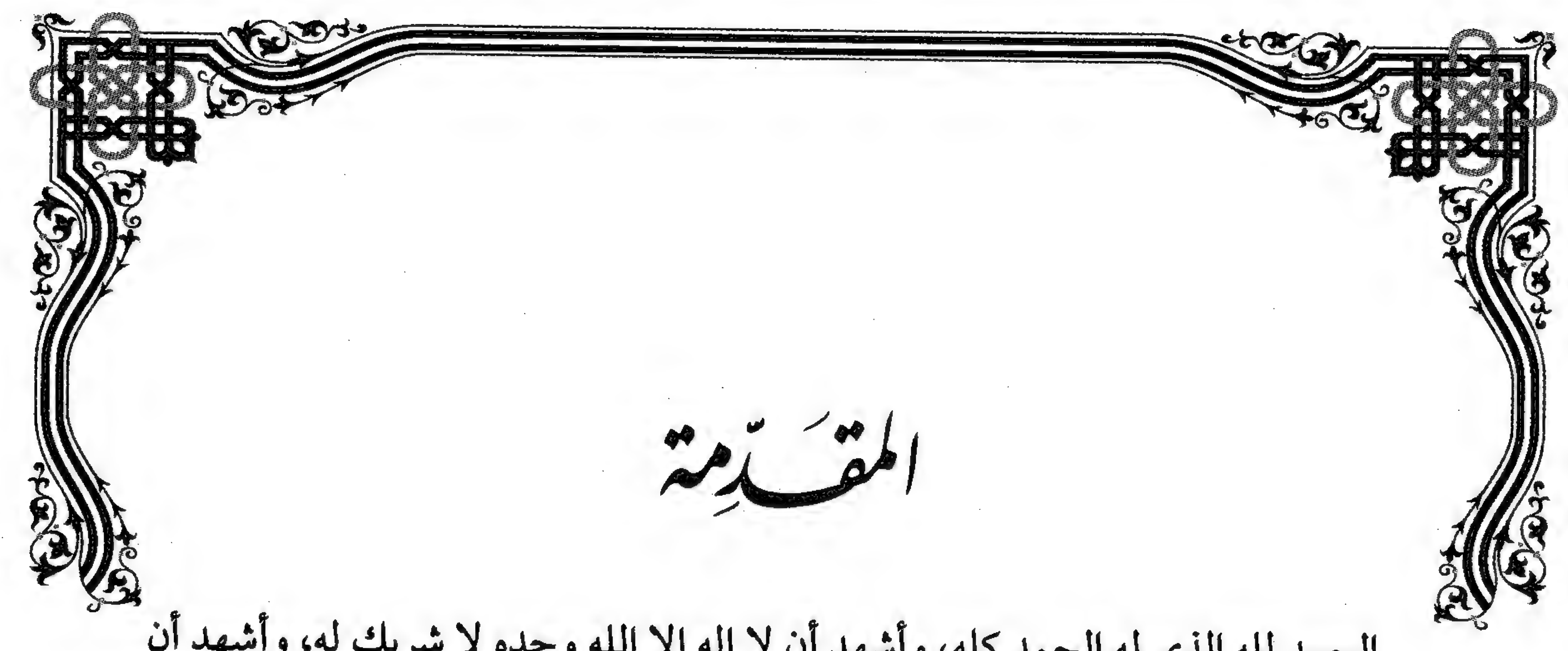
فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وأن يجنبنا طرق الغضب والضلال الموصلة إلى الخزي والوبال، إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

والله أسأل وبأسمائه الحسنى وصفاته ونعمه أتوسل ألا يحرمنا خير ما عنده من الإحسان والغفران، بشر ما عندنا من التقصير بحقوقه والعصيان، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وسببا للفوز عنده في جنات النعيم. والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، حمدا كثيرا مباركا فيه، كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله. وصلى الله على محمد النبي الأمي المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا.

قال مؤلفه رحمه الله: «فرغت منه ومن نسخه في ٣ شعبان سنة ١٣٣٣»وقد تم بقلم الفقير إليه عبده عبد العزيز بن حمد المصيريع في ٢٨ شوال سنة ١٣٤٢ هجرية.

الوسائل المفيدة
للحياة السعيدة

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
رحمه الله



المقدمة

الحمد لله الذي له الحمد كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم.

أما بعد:

فإن راحة القلب، وطمأنينته وسروره وزوال همومه وغمومه، هو المطلب لكل أحد، وبه تحصل الحياة الطيبة، ويتم السرور والابتهاج، ولذلك أسباب دينية، وأسباب طبيعية، وأسباب عملية، ولا يمكن اجتماعها كلها إلا للمؤمنين، وأما من سواهم، فإنها وإن حصلت لهم من وجه وسبب يجاهد عقلاؤهم عليه، فقد فاتتهم من وجوه أنفع وأثبت وأحسن حالًا ومآلًا.

ولكني سأذكر برسالتي هذه ما يحضرني من الأسباب لهذا المطلب الأعلى، الذي يسعى له كل أحد.

فمنهم من أصاب كثيرًا منها فعاش عيشة هنيئة، وحيي حياة طيبة، ومنهم من أخفق فيها كلها فعاش عيشة الشقاء، وحيي حياة التعساء. ومنهم من هو بين بين، بحسب ما وفق له.

والله الموفق المستعان به على كل خير، وعلى دفع كل شر.

فصل

[الإيمان والعمل الصالح]

وأعظم الأسباب لذلك وأصلها وأسها هو **الإيمان والعمل الصالح**، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧].

فأخبر تعالى ووعد من جمع بين الإيمان والعمل الصالح، بالحياة الطيبة في هذه الدار، وبالجزاء الحسن في هذه الدار وفي دار القرار.

وسبب ذلك واضح، فإن المؤمنين بالله الإيمان الصحيح، المثمر للعمل الصالح المصلح للقلوب والأخلاق والدنيا والآخرة، معهم أصول وأسس يتلقون فيها جميع ما يرد عليهم من أسباب السرور والابتهاج، وأسباب القلق والهم والأحزان.

يتلقون المحاب والمسار بقبول لها، وشكر عليها، واستعمال لها فيما ينفع، فإذا استعملوها على هذا الوجه، أحدث لهم من الابتهاج بها، والطمع في بقائها وبركتها، ورجاء ثواب الشاكرين، أمورًا عظيمة تفوق بخيراتها وبركاتها هذه المسرات التي هذه ثمراتها.

ويتلقون المكاره والمضار والهم والغم بالمقاومة لما يمكنهم مقاومته، وتخفيف ما يمكنهم تخفيفه، والصبر الجميل لما ليس لهم منه بد، وبذلك يحصل لهم من آثار المكاره من المقاومات النافعة، والتجارب والقوة، ومن الصبر واحتساب الأجر والثواب أمور عظيمة

تضمحل معها المكاره، وتحل محلها المسار والآمال الطيبة، والطمع في فضل الله وثوابه، كما عبر النبي ﷺ عن هذا في الحديث الصحيح أنه قال: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**»[1].

فأخبر ﷺ أن المؤمن يتضاعف غنمه وخيره وثمرات أعماله في كل ما يطرقه من السرور والمكاره.

لهذا تجد اثنين تطرقهما نائبة من نوائب الخير أو الشر فيتفاوتان تفاوتًا عظيمًا في تلقيها، وذلك بحسب تفاوتهما في الإيمان والعمل الصالح.

هذا الموصوف بهذين الوصفين يتلقى الخير والشر بما ذكرناه من الشكر والصبر وما يتبعهما، فيحدث له السرور والابتهاج، وزوال الهم والغم، والقلق، وضيق الصدر، وشقاء الحياة وتتم له الحياة الطيبة في هذه الدار.

والآخر يتلقى المحاب بأشرٍ وبطرٍ وطغيان، فتنحرف أخلاقه ويتلقاها كما تتلقاها البهائم بجشع وهلع، ومع ذلك فإنه غير مستريح القلب، بل مشتته من جهات عديدة، مشتت من جهة خوفه من زوال محبوباته، ومن كثرة المعارضات الناشئة عنها غالبًا، ومن جهة أن النفوس لا تقف عند حد بل لا تزال متشوقة لأمور أخرى، قد تحصل وقد لا تحصل، وإن حصلت على الفرض والتقدير فهو أيضًا قلق من الجهات المذكورة، ويتلقى المكاره بقلق وجزع وخوف وضجر، فلا تسأل عما يحدث له من شقاء الحياة، ومن الأمراض الفكرية والعصبية، ومن الخوف الذي قد يصل به إلى أسوأ الحالات وأفظع المزعجات؛ لأنه لا يرجو ثوابًا، ولا صبر عنده يسليه ويهون عليه.

وكل هذا مشاهد بالتجربة، ومَثَلٌ واحد من هذا النوع، إذا تدبرته ونَزَّلْتَه على أحوال الناس،

---

(١) مسلم (٢٩٩٩).

رأيت الفرق العظيم بين المؤمن العامل بمقتضى إيمانه، وبين من لم يكن كذلك، وهو أن الدين يحث - غاية الحث - على القناعة برزق الله، وبما آتى العباد من فضله وكرمه المتنوع.

فالمؤمن إذا ابتلي بمرض أو فقر، أو نحوه من الأعراض التي كل أحد عرضة لها، فإنه بإيمانه وبما عنده من القناعة والرضا بما قسم الله له يكون قرير العين، لا يتطلب بقلبه أمرًا لم يُقَدَّر له، ينظر إلى من هو دونه، ولا ينظر إلى من هو فوقه، وربما زادت بهجته وسروره وراحته على من هو متحصل على جميع المطالب الدنيوية، إذا لم يؤت القناعة.

كما تجد هذا الذي ليس عنده عمل بمقتضى الإيمان، إذا ابتلي بشيء من الفقر، أو فقد بعض المطالب الدنيوية، تجده في غاية التعاسة والشقاء.

ومثل آخر: إذا حدثت أسباب الخوف، وألَمَّت بالإنسان المزعجات، تجد صحيح الإيمان ثابت القلب، مطمئن النفس، متمكنًا من تدبيره وتسييره لهذا الأمر الذي دهمه بما في وسعه؛ من فكر وقول وعمل، قد وطَّن نفسه لهذا المزعج الملم، وهذه أحوال تريح الإنسان وتثبت فؤاده.

كما تجد فاقد الإيمان بعكس هذه الحال إذا وقعت المخاوف انزعج لها ضميره، وتوترت أعصابه، وتشتت أفكاره وداخله الخوف والرعب، واجتمع عليه الخوف الخارجي، والقلق الباطني الذي لا يمكن التعبير عن كنهه، وهذا النوع من الناس إن لم يحصل لهم بعض الأسباب الطبيعية التي تحتاج إلى تمرين كثير انهارت قواهم وتوترت أعصابهم، وذلك لفقد الإيمان الذي يحمل على الصبر، خصوصًا في المحال الحرجة، والأحوال المحزنة المزعجة.

فالبَرّ والفاجر، والمؤمن والكافر يشتركان في جلب الشجاعة الاكتسابية، وفي الغريزة التي تُلطف المخاوف وتُهوّنها، ولكن يتميز المؤمن بقوة إيمانه وصبره وتوكله على الله واعتماده عليه، واحتسابه لثوابه - أمورًا تزداد بها شجاعته، وتخفف عنه وطأة الخوف، وتهون عليه المصاعب، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ

﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]. **ويحصل لهم من معونة الله ومعينه الخاص ومدده ما يبعثر المخاوف.** وقال تعالى ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل

ومن الأسباب التي تزيل الهم والغم والقلق: **الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل**، وأنواع المعروف، وكلها خير وإحسان، وبها يدفع الله عن البر والفاجر الهموم والغموم بحسبها، ولكن للمؤمن منها أكمل الحظ والنصيب، ويتميز بأن إحسانه صادر عن إخلاص واحتساب لثوابه فيهون الله عليه بذل المعروف لما يرجوه من الخير، ويدفع عنه المكاره بإخلاصه واحتسابه، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

فأخبر تعالى أن هذه الأمور كلها خير ممن صدرت منه، والخير يجلب الخير، ويدفع الشر، وأن المؤمن المحتسب يؤتيه الله أجرًا عظيمًا، ومن جملة الأجر العظيم: زوال الهم والغم والأكدار ونحوها.

فصل

[الاشتغال بعمل من الأعمال أو علم من العلوم النافعة]

ومن أسباب دفع القلق الناشئ عن توتر الأعصاب، واشتغال القلب ببعض المكدرات: **الاشتغال بعمل من الأعمال أو علم من العلوم النافعة**؛ فإنها تلهي القلب عن اشتغاله بذلك الأمر الذي أقلقه، وربما نسي بسبب ذلك الأسباب التي أوجبت له الهم والغم، ففَرِحتْ نفسه، وازداد نشاطه، وهذا السبب أيضًا مشترك بين المؤمن وغيره. ولكن المؤمن يمتاز بإيمانه وإخلاصه واحتسابه في اشتغاله بذلك العلم الذي يتعلمه أو يُعَلِّمُه، وبعمل الخير الذي يعمله، إن كان عبادة فهو عبادة، وإن كان شغلًا دنيويًّا أو عادةً أصحبها النية الصالحة، وقصد الاستعانة بذلك على طاعة الله، فلذلك أثره الفعال في دفع الهم والغموم والأحزان، فكم من إنسان ابتلي بالقلق وملازمة الأكدار، فحلت به الأمراض المتنوعة، فصار دواؤه الناجع (نسيانه السبب الذي كدره وأقلقه، واشتغاله بعمل من مهماته).

وينبغي أن يكون الشغل الذي يشتغل فيه مما تأنس به النفس وتشتاقه، فإن هذا أدعى لحصول هذا المقصود النافع، والله أعلم.

اجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر

ومما يدفع به الهم والقلق: **اجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر**، وقطعه عن الاهتمام في الوقت المستقبل، وعن الحزن على الوقت الماضي، ولهذا استعاذ النبي ﷺ

من الهم والحزن[1]، فلا ينفع الحزن على الأمور الماضية التي لا يمكن ردها ولا استدراكها، وقد يضر الهم الذي يحدث بسبب الخوف من المستقبل، فعلى العبد أن يكون ابن يومه؛ يجمع جده واجتهاده في إصلاح يومه ووقته الحاضر، فإن جمع القلب على ذلك يوجب تكميل الأعمال، ويتسلى به العبد عن الهم والحزن.

والنبي ﷺ إذا دعا بدعاء أو أرشد أمته إلى دعاء فإنما يحث مع الاستعانة بالله والطمع في فضله على الجد والاجتهاد في التحقق لحصول ما يدعو بحصوله، والتخلي عما كان يدعو لدفعه؛ لأن الدعاء مقارن للعمل، فالعبد يجتهد فيما ينفعه في الدين والدنيا، ويسأل ربه نجاح مقصده، ويستعينه على ذلك، كما قال ﷺ: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإذا أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[2]. فجمع ﷺ بين الأمر بالحرص على الأمور النافعة في كل حال، والاستعانة بالله وعدم الانقياد للعجز الذي هو الكسل الضار، وبين الاستسلام للأمور الماضية النافذة، ومشاهدة قضاء الله وقدره.

وجعل الأمور قسمين: **قسمًا** يمكن العبد السعي في تحصيله أو تحصيل ما يمكن منه، أو دفعه أو تخفيفه فهذا يبدي فيه العبد مجهوده ويستعين بمعبوده. **وقسمًا** لا يمكن فيه ذلك، فهذا يطمئن له العبد ويرضى ويسلم، ولا ريب أن مراعاة هذا الأصل سبب للسرور وزوال الهم والغم.

---

(١) البخاري (٢٨٩٣).

(٢) مسلم (٢٦٦٤).

فصل

[الإكثار من ذكر الله]

ومن أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينته: **الإكثار من ذكر الله**، فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في انشراح الصدر وطمأنينته، وزوال همه وغمه، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. فلذكر الله أثر عظيم في حصول هذا المطلوب لخاصيته، ولما يرجوه العبد من ثوابه وأجره.

التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة

وكذلك التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة، فإن معرفتها والتحدث بها يدفع الله به الهم والغم، ويحث العبد على الشكر الذي هو أرفع المراتب وأعلاها حتى ولو كان العبد في حالة فقر أو مرض أو غيرهما من أنواع البلايا. فإنه إذا قابل بين نعم الله عليه - التي لا يحصى لها عد ولا حساب - وبين ما أصابه من مكروه، لم يكن للمكروه إلى النعم نسبة. بل المكروه والمصائب إذا ابتلى الله بها العبد، وأدى فيها وظيفة الصبر والرضا والتسليم، هانت وطأتها، وخفت مؤنتها، وكان تأميل العبد لأجرها وثوابها والتعبد لله بالقيام بوظيفة الصبر والرضا، يدع الأشياء المرة حلوة فتنسيه حلاوةُ أجرها مرارةَ صبرها.

النظر إلى من دوننا

ومن أنفع الأشياء في هذا الموضع استعمال ما أرشد إليه النبي ﷺ في الحديث الصحيح

حيث قال: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم**»[1]. فإن العبد إذا نصب بين عينيه هذا الملحظ الجليل رآه يفوق جمعًا كثيرًا من الخلق في العافية وتوابعها، وفي الرزق وتوابعه مهما بلغت به الحال، فيزول قلقه وهمه وغمه، ويزداد سروره واغتباطه بنعم الله التي فاق فيها غيره ممن هو دونه فيها.

وكلما طال تأمل العبد بنعم الله الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، رأى ربه قد أعطاه خيرًا ودفع عنه شرورًا متعددة، ولا شك أن هذا يدفع الهموم والغموم، ويوجب الفرح والسرور.

(١) الترمذي (٢٥١٣).

فصل

[السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم وتحصيل الأسباب الجالبة للسرور]

ومن الأسباب الموجبة للسرور وزوال الهم والغم: **السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم وفي تحصيل الأسباب الجالبة للسرور**؛ وذلك بنسيان ما مضى عليه من المكاره التي لا يمكنه ردها، ومعرفته أن اشتغال فكره فيها من باب العبث والمحال، وأن ذلك حمق وجنون، فيجاهد قلبه عن التفكر فيها، وكذلك يجاهد قلبه عن قلقه لما يستقبله، مما يتوهمه من فقر أو خوف أو غيرهما من المكاره التي يتخيلها في مستقبل حياته. فيعلم أن الأمور المستقبلة مجهول ما يقع فيها من خير وشر وآمال وآلام، وأنها بيد العزيز الحكيم، ليس بيد العباد منها شيء إلا السعي في تحصيل خيراتها، ودفع مضراتها، ويعلم العبد أنه إذا صرف فكره عن قلقه من أجل مستقبل أمره، واتكل على ربه في إصلاحه، واطمأن إليه في ذلك، إذا فعل ذلك اطمأن قلبه وصلحت أحواله، وزال عنه همه وقلقه.

استعمال الدعاء

ومن أنفع ما يكون في ملاحظة مستقبل الأمور: **استعمال هذا الدعاء** الذي كان النبي ﷺ يدعو به: «**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر**»[1].

(١) مسلم (٢٧٢٠).

وكذلك قوله: «**اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت**»[1].

فإذا لهج العبد بهذا الدعاء الذي فيه صلاح مستقبله الديني والدنيوي بقلب حاضر، ونية صادقة، مع اجتهاده فيما يحقق ذلك، حقق الله له ما دعاه ورجاه وعمل له، وانقلب همه فرحًا وسرورًا.

(١) أبو داود (٥٠٩٠).

فصل

[تقدير أسوأ الاحتمالات]

ومن أنفع الأسباب لزوال القلق والهموم إذا حصل على العبد شيء من النكبات: أن **يسعى في تخفيفها بأن يُقَدِّر أسوأ الاحتمالات التي ينتهي إليها الأمر**، ويوطن على ذلك نفسه، فإذا فعل ذلك فليسع إلى تخفيف ما يمكن تخفيفه بحسب الإمكان، فبهذا التوطين وبهذا السعي النافع، تزول همومه وغمومه، ويكون بدل ذلك السعي في جلب المنافع، وفي دفع المضار الميسورة للعبد.

فإذا حلت به أسباب الخوف، وأسباب الأسقام، وأسباب الفقر والعدم لما يحبه من المحبوبات المتنوعة، فليتلق ذلك بطمأنينة وتوطين للنفس عليها، بل على أشد ما يمكن منها، فإن توطين النفس على احتمال المكاره، يهونها ويزيل شدتها، وخصوصًا إذا أشغل نفسه بمدافعتها بحسب مقدوره، فيجتمع في حقه توطين النفس مع السعي النافع الذي يشغل عن الاهتمام بالمصائب، ويجاهد نفسه على تجديد قوة المقاومة للمكاره، مع اعتماده في ذلك على الله وحسن الثقة به.

ولا ريب أن لهذه الأمور فائدتها العظمى في حصول السرور وانشراح الصدور، مع ما يؤمله العبد من الثواب العاجل والآجل، وهذا مشاهد مجرب، ووقائعه ممن جربه كثيرة جدًّا.

فصل

[قوة القلب وعدم انزعاجه وانفعاله]

ومن أعظم العلاجات لأمراض القلب العصبية، بل وأيضًا للأمراض البدنية: **قوة القلب وعدم انزعاجه وانفعاله** للأوهام والخيالات التي تجلبها الأفكار السيئة، والغضب والتشوش من الأسباب المؤلمة ومن توقع حدوث المكاره وزوال المحاب، أوقعه ذلك في الهموم والغموم والأمراض القلبية والبدنية، والانهيار العصبي الذي له آثاره السيئة التي قد شاهد الناس مضارها الكثيرة.

التوكل على الله

ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم والغموم، وزالت عنه كثير من الأسقام البدنية والقلبية، وحصل للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، فكم ملئت المستشفيات من مرضى الأوهام والخيالات الفاسدة، وكم أثَّرت هذه الأمور على قلوب كثيرين من الأقوياء، فضلًا عن الضعفاء، وكم أدت إلى الحمق والجنون، والمعافى من عافاه الله ووفقه لجهاد نفسه لتحصيل الأسباب النافعة المقوية للقلب، الدافعة لقلقه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]. أي: كافيه جميع ما يهمه من أمر دينه ودنياه.

فالمتوكل على الله قوي القلب لا تؤثر فيه الأوهام، ولا تزعجه الحوادث لعلمه أن ذلك من ضعف النفس، ومن الخور والخوف الذي لا حقيقة له، ويعلم مع ذلك أن الله قد تكفل لمن توكل عليه بالكفاية التامة، فيثق بالله ويطمئن لوعده، فيزول همه وقلقه، ويتبدل عسره يسرًا، وترحه فرحًا[1]، وخوفه أمنًا، فنسأله تعالى العافية وأن يتفضل علينا بقوة القلب وثباته، وبالتوكل الكامل الذي تكفل الله لأهله بكل خير، ودفع كل مكروه وضير.

(١) الترح: الهم. انظر: القاموس المحيط، مادة: (ت ر ح).

فصل

[توطين النفس على تحمل عيوب الآخرين]

وفي قول النبي ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها خلقًا آخر**»[1]. فائدتان عظيمتان:

إحداهما: الإرشاد إلى معاملة الزوجة والقريب والصاحب والمعامل، وكل من بينك وبينه علاقة واتصال، وأنه ينبغي أن توطن نفسك على أنه لا بد أن يكون فيه عيب أو نقص أو أمر تكرهه، فإذا وجدت ذلك، فقارن بين هذا وبين ما يجب عليك أو ينبغي لك من قوة الاتصال والإبقاء على المحبة، بتذكر ما فيه من المحاسن، والمقاصد الخاصة والعامة، وبهذا الإغضاء عن المساوئ وملاحظة المحاسن، تدوم الصحبة والاتصال وتتم الراحة وتحصل لك.

الفائدة الثانية: وهي زوال الهم والقلق، وبقاء الصفاء، والمداومة على القيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، وحصول الراحة بين الطرفين، ومن لم يسترشد بهذا الذي ذكره النبي ﷺ - بل عكس القضية فلحظ المساوئ، وعمي عن المحاسن - فلا بد أن يقلق، ولا بد أن يتكدر ما بينه وبين من يتصل به من المحبة، ويتقطع كثير من الحقوق التي على كلٍّ منهما المحافظة عليها.

وكثير من الناس ذوي الهمم العالية يوطنون أنفسهم عند وقوع الكوارث والمزعجات على الصبر والطمأنينة. لكن عند الأمور التافهة البسيطة يقلقون، ويتكدر الصفاء، والسبب

(١) مسلم (١٤٦٩)، والفرك: البغض. انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٠/ ٥٨).

في هذا أنهم وطنوا نفوسهم عند الأمور الكبار، وتركوها عند الأمور الصغار فضرتهم وأثرت في راحتهم، فالحازم يوطن نفسه على الأمور القليلة والكبيرة ويسأل الله الإعانة عليها، وألا يكله إلى نفسه طرفة عين، فعند ذلك يسهل عليه الصغير، كما سهل عليه الكبير. ويبقى مطمئن النفس ساكن القلب مستريحًا.

فصل

[عدم الاسترسال وراء الهموم]

العاقل يعلم أن حياته الصحيحة حياة السعادة والطمأنينة وأنها قصيرة جدًّا، فلا ينبغي له أن يقصرها بالهم والاسترسال مع الأكدار؛ فإن ذلك ضد الحياة الصحيحة، فيشح بحياته أن يذهب كثير منها نهبًا للهموم والأكدار، ولا فرق في هذا بين البر والفاجر، ولكن المؤمن له من التحقق بهذا الوصف الحظ الأوفر، والنصيب النافع العاجل والآجل.

المقارنة بين نعم الله وما أصابه من مكروه

وينبغي أيضًا إذا أصابه مكروه أو خاف منه أن **يقارن بين بقية النعم الحاصلة له** دينية أو دنيوية، وبين ما أصابه من مكروه، فعند المقارنة يتضح كثرة ما هو فيه من النعم، واضمحلال ما أصابه من المكاره.

وكذلك يقارن بين ما يخافه من حدوث ضرر عليه، وبين الاحتمالات الكثيرة في السلامة منها فلا يدع الاحتمال الضعيف يغلب الاحتمالات الكثيرة القوية وبذلك يزول همه وخوفه، ويقدر أعظم ما يكون من الاحتمالات التي يمكن أن تصيبه، فيوطن نفسه لحدوثها إن حدثت، ويسعى في دفع ما لم يقع منها وفي رفع ما وقع أو تخفيفه.

أذية الناس عليهم ما لم تنشغل بها

ومن الأمور النافعة أن تعرف أن أذية الناس لك وخصوصًا في الأقوال السيئة، لا تضرك بل تضرهم، إلا إن أشغلت نفسك في الاهتمام بها، وسوغت لها أن تملك مشاعرك، فعند ذلك تضرك كما ضرتهم، فإن أنت لم تضع لها بالًا لم تضرك شيئًا.

طيب حياتك بالأفكار النافعة

واعلم أن حياتك تبع لأفكارك، فإن كانت أفكارًا فيما يعود عليك نفعه في دين أو دنيا فحياتك طيبة سعيدة. وإلا فالأمر بالعكس.

أن تكون معاملة لله لا للخلق

ومن أنفع الأمور لطرد الهم أن توطن نفسك على ألا تطلب الشكر إلا من الله، فإذا أحسنت إلى من له حق عليك أو من ليس له حق، فاعلم أن هذا معاملة منك مع الله. فلا تبال بشكر من أنعمت عليه، كما قال تعالى في حق خواص خلقه: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

ويتأكد هذا في معاملة الأهل والأولاد ومن قوي اتصالك بهم فمتى وطنت نفسك على إلقاء الشر عنهم، فقد أرحت واسترحت، ومن دواعي الراحة أخذ الفضائل والعمل عليها بحسب الداعي النفسي دون التكلف الذي يقلقك، وتعود على أدراجك خائبًا من حصول الفضيلة، حيث سلكت الطريق الملتوي، وهذا من الحكمة، وأن تتخذ من الأمور الكَدِرَة أمورًا صافية حلوة، وبذلك يزيد صفاء اللذات، وتزول الأكدار.

الانشغال بالنافع دون الضار

اجعل الأمور النافعة نصب عينيك واعمل على تحقيقها، ولا تلتفت إلى الأمور الضارة لتلهو بذلك عن الأسباب الجالبة للهم والحزن واستعن بالراحة وإجماع النفس على الأعمال المهمة.

حسم الأعمال في الحال

ومن الأمور النافعة حسم **الأعمال في الحال**، والتفرغ في المستقبل، لأن الأعمال إذا لم تحسم اجتمع عليك بقية الأعمال السابقة، وانضافت إليها الأعمال اللاحقة، فتشتد وطأتها، فإذا حسمتَ كل شيء بوقته أتيتَ الأمور المستقبلة بقوة تفكير وقوة عمل.

ترتيب الأولويات مع الاستشارة

وينبغي أن تتخير من الأعمال النافعة الأهم فالأهم، وميز بين ما تميل نفسك إليه وتشتد رغبتك فيه، فإن ضده يحدث السآمة والملل والكدر، واستعن على ذلك بالفكر الصحيح والمشاورة، فما ندم من استشار، وادرس ما تريد فعله درسًا دقيقًا، فإذا تحققت المصلحة وعزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين.

والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

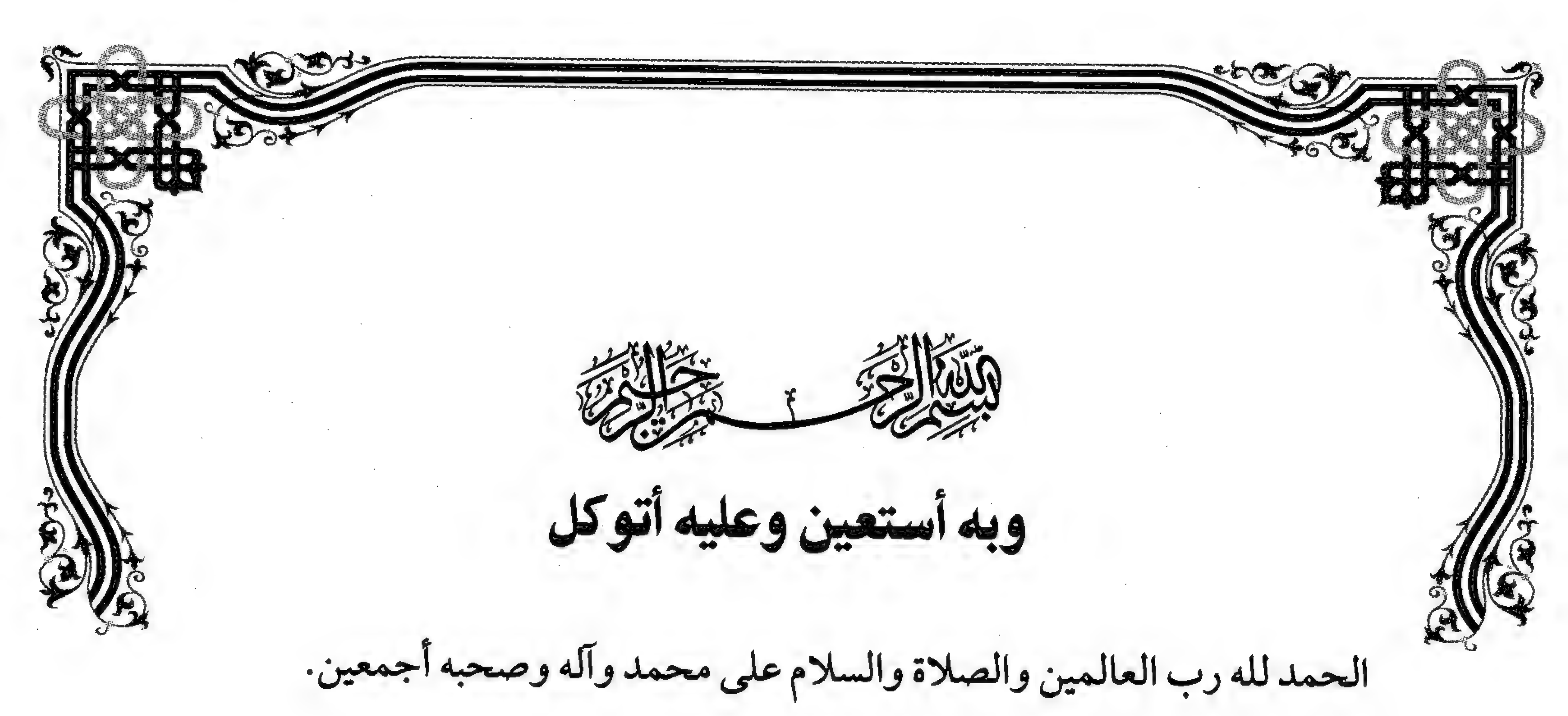
رسالة في الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف

تأليف

الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله تعالى خلق خلقه من العدم وأوجدهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا؛ ليعبدوه وحده لا شريك له ويطيعوه ويتقوه، ومدار ذكره ومرجعه على أداء حقوقه وحقوق عباده اللازمة والمستحبة التي شرعها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وهي شعب كثيرة وأقسام:

فمنها: ما هو أصول.

ومنها: ما هو أحكام.

ومنها: ما هو قواعد كلية تندرج تحت كثير من الأحكام الجزئية.

ومنها: مقاصد ومطالب.

ومنها: ما هو موصل إليها، وكلها ترجع إلى تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها.

فمن أعظم الأوامر الإلهية والشرائع السماوية والوصايا النبوية الاعتصام بحبل الله جميعا، واتفاق كلمة المسلمين واجتماعهم وائتلافهم، والحث على هذا بكل طريق موصول إليه من الأعمال والأقوال، والتعاون على ذلك قولا وفعلا، والنهي عن التفرق والاختلاف وتشتيت شمل المسلمين، والزجر عن جميع الطرق الموصلة إليه بحسب

القدرة والإمكان، وقد دل على هذا الأصل العظيم الكتاب والسنة وإجماع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم إلى يوم الدين، قال تعالى آمرًا عباده بالتمسك بحبله الذي هو دينه والاجتماع عليه، ناهيا لهم عن التفرق والاختلاف، ممتنا على عباده بتوفيقه لهم لذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣] الآية.

وقال تعالى ناهيا عن التنازع والاختلاف مخبرًا أنه سبب للفشل وعدم النصر على الأعداء: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال مذكرا عباده بنعمته التي لا يقدر عليها إلا العزيز الحكيم: ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٣] الآية. وقال ذاما المنافقين بتباغضهم وتفرق قلوبهم، ولو اجتمعت أجسامهم: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]. وقال جل جلاله ممتنا على رسوله بلينه للمخالطين الداعي لتأليفهم واجتماعهم وعدم تفرقهم: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] الآية. ووصف الله المؤمنين بأنهم ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩]. ووصف رسوله بأنه ﴿رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١١٧]. وقال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

ومن أعظم البر السعي في جمع كلمة المسلمين واتفاقهم بكل طريق، كما أن السعي في تفريق كلمة المسلمين من أعظم التعاون على الإثم والعدوان.

وقد قص الله علينا في كتابه سيرة الرسل الذين بعثهم لتبليغ رسالاته وذكر نصحهم لأممهم وحرصهم على اجتماعهم على الإسلام ونهيهم عن التفرق والاختلاف مما هو كثير في القرآن.

وكذلك النبي ﷺ قد أبدى في هذا الأصل وأعاد، وأمر باجتماع العباد ونهى عن التفرق المفضي إلى الفساد، فقال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه**»[(١)]. وفي صحيح مسلم عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الدين النصيحة**». قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(٢)].

ومن أعظم النصيحة للمسلمين السعي في تأليف قلوبهم واجتماعهم ونهيهم عن التفرق. وقال ﷺ في الحديث المتفق عليه للأنصار منبها لهم بمنة الله عليهم بهدايتهم واجتماعهم وغناهم بسببه: «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضُلالا فهداكم الله بي، متفرقين فجمعكم الله بي، عالة فأغناكم الله بي**»[(٣)]. كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن، وقال النبي ﷺ محذرًا لأصحابه عن تبليغه الكلام المغير للقلوب: «**لا يبلغني أحد عن أحد شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**»[(٤)]. وقال لما شاوره بعض أصحابه في قتل بعض المنافقين: «**لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**»[(٥)]. أي لما فيه من التنفير عن الإسلام لمن لم يسلم، فتركهم وهم مستحقون للقتل تأليفا، وكان ﷺ يوصي من يبعثه للدعاية لدين الإسلام وتعليم الشرائع فيقول: «**بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا وتطاوعوا ولا تختلفوا**»[(٦)]. وقال: «**ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم**»[(٧)]. فأخبر أن الاختلاف الظاهر سبب لاختلاف الباطن، وقال ﷺ:

---

(١) البخاري(٦٠٦٦)، مسلم (٢٥٦٤).

(٢) مسلم(٥٥).

(٣) البخاري (٤٣٣٠)، مسلم(١٠٦١).

(٤) أحمد (٣٧٥٩)، أبوداود (٤٨٦٠)، الترمذي(٣٨٩٦).

(٥) البخاري (٤٩٠٧)، مسلم (٢٥٨٤).

(٦) البخاري (٦٩)، مسلم (١٧٣٤) بدون جملة «**وتطاوعوا ولا تختلفوا**».

(٧) مسلم (٤٣٢).

«إنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»[١].

وكل هذه الأحاديث في الصحيح، وتواتر عنه ﷺ النهي عن الخروج على ولاة الأمور والسمع والطاعة لهم، وإن ظلموا وعصوا[٢]، وما ذاك إلا لما في الخروج عليهم من الشر العظيم.

وقد أمر الله ورسوله باجتماع المسلمين في كثير من العبادات كالحج والأعياد والجمعة والجماعة لما في اجتماعهم من التوادد والتواصل وعدم التقاطع، ونهى الله ورسوله عن الغيبة والنميمة والسعاية والتقاطع والخيانة والحسد والحقد ونحوها لما فيها من الفساد وتشتت العباد، وأمر بالإصلاح بين الناس بكل طريق حتى إنه أباح الكذب المتوصل به للإصلاح لما فيه من الصلاح.

وبالجملة فمن تأمل سيرة الرسول ﷺ في معاملاته للخلق مسلمهم وكافرهم، قريبهم وبعيدهم من لين الجانب، والسماحة التامة، والخلق العظيم بالعفو عن أهل الجرائم وتأليف الخلق للدخول في دين الإسلام، وإعطاء المؤلفة قلوبهم ليسلموا ويقوى إيمانهم، وتركه كل ما فيه تنفير حتى إنه ﷺ يترك الأفضل الأكمل ويفعل ما دونه مراعاة لقلوب الخلق، وقد كان هم في بنيان الكعبة على قواعد إبراهيم فقال لعائشة: **«لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة وجعلتها على قواعد إبراهيم»**[٣].

فمن تأمل هذا عرف أنه ﷺ بعث بالحنيفية السمحة[٤]، فإذا علمت ذلك عرفت أن من أهم قواعد الدين وأجل شرائع المرسلين النصيحة لكافة الأمة والسعي في جمع كلمة المسلمين وحصول التآلف بينهم وإزالة ما بينهم من التباغض والتشاحن والإحن.

---

(١) البخاري (٧٢٨٨)، مسلم (١٣٣٧).

(٢) البخاري (٧٠٥٢)، مسلم (١٨٤٧).

(٣) البخاري (١٥٨٣)، مسلم (١٣٣٣).

(٤) أحمد (٢٢٢٩١).

وأن هذا الأصل من أعظم معروف يؤمر به، وإضاعته من أعظم منكر ينهى عنه، وأن هذا من فروض الأعيان اللازمة لكل الأمة علمائها وولاتها وعوامها؛ بل هي قاعدة لا يتم الإيمان إلا بها فتجب مراعاتها علما وعملا، وإنما كان الأمر كذلك لما في ذلك من المصالح الدينية والدنيوية التي لا يمكن حصرها وفي إضاعته من المضار الدينية والدنيوية مالا يمكن عدها فلذلك عقدت لهذا فصلين.

فصل

في بعض مفاسد الاختلاف والتنازع والتباغض والتهاجر ومضارها

لا يستريب عاقل أن الله تبارك وتعالى لم ينهنا عن أمر من الأمور إلا وفيه من المفاسد العامة والخاصة ما أوجبته حكمته ورحمته. فأول مضار التشاحن والتباغض والاختلاف: إضاعة هذا الأصل العظيم. ومعصيته الله ورسوله الموجب للعقاب. وحرمان الثواب ونقصان الإيمان. وحصول الحسرة والخسران. وإهمال ما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ومنها: ما يترتب عليها من الاقتتال والاختصام والموالاة والمعاداة التي تجعل المسلمين فرقا كل فريق يريد نصرة قوله بحق أو باطل؛ فيحصل بذلك من ارتكاب الخطأ والضلال والهوى من المفاسد العامة والخاصة ما لا يعلمه إلا الله.

ويترتب على ذلك ترك الحق الذي مع المنازع نصرة للهوى وبغضا للشخص الذي جاء به، فيوجب له بغض ما معه من الحق، ويحصل بسبب ذلك من الغيبة والنميمة والسعاية ما هو من أكبر المعاصي.

ويتحير مريد الهدى، حسنُ القصد إذا كان قليل البصيرة فلا يهتدي لسبيله، ولا يدري أي الطائفتين يتبعه في قيله.

ويجد سيىء القصد المتبع لهواه مجالًا يجول فيه بأعراض العلماء والصالحين وولاة أمور المسلمين، فينتسب بقوله لطائفة ويتلبس بلباسها على قلب منافق مكار مخادع، فيتوصل بذلك إلى مقاصده الخبيثة ويبذر في قلوب من انتسب إليهم ما يقدر عليه من البذور التي

تنتج الخزي والفضيحة، وليس الأسف على هلاك من هذا شأنه وهذا غاية قصده، فإنه بسبيل من هلك، وإنما الأسف كل الأسف لمن يلقي إليه سمعه ويمكنه من قلبه ولبه، ويصغي إليه ظانا نصحه وهو في الحقيقة أكبر عدو غاش، هذا بعض ما أنتجه الاختلاف.

ومنها: أنه يستدرج بالمفترقين إلى المباعدة والمهاجرة حتى لا يتعلم بعضهم من بعض ولا ينصح بعضهم بعضا، فيضيع من المصالح التي هم بصددها لو كانوا مجتمعين ما هو من أهم الواجبات وأكبر القربات وأجل الطاعات إلى غير ذلك من طمع أعدائهم بهم لتفرق كلمتهم وتشتت أمرهم.



فصل

في فوائد اتفاق المسلمين وتحابهم والسعي في ذلك

وهذا هو المطلوب المقصود الذي جرى الكلام لأجله، وهو المقصد الذي فيه يرغب المصلحون وإليه شمر المشمرون، وبه تنافس المتنافسون، ولمثله فليعمل العاملون لما اشتمل عليه من المصالح العظيمة والمهمات الجسيمة.

وبالجملة فجميع المفاسد التي ذكرت، والتي لم تذكر في مفاسد التهاجر والتباغض والتدابر بهذا الأمر تزول، وتصل بصاحبها إلى كل خير وتئول، فبه تحصل الخيرات وتنزل البركات وتستجاب الدعوات وتبدل السيئات بالحسنات.

وباتفاق كلمة المسلمين يجتمع شمل الدين، ويحصل لهم بذلك في الأرض العز والتمكين، وبه يزيد الإسلام والإيمان؛ لأن الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والسعي في هذا من أكبر الطاعات فيزيد به الإيمان درجات وبالتآلف والاجتماع يحصل التعاون على جميع خصال البر والتقوى والخير قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

وقال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والقيام والصدقة؟ قالوا: بلى يا

رسول الله قال: إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة»[1]. وفي رواية: **«لا أقول حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين»**.

فأي درجة أعظم من هذه الدرجة التي زاد بها على أمهات الفضائل؛ الصلاة والصيام والصدقة، وقال النبي ﷺ: **«والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»**[2].

فرتب ﷺ دخول الجنة على وجود الإيمان، ورتب وجود الإيمان على حصول التحاب الذي هو سبب الائتلاف، ونبه على الدواء لهذا بإفشاء السلام، لأن لين الكلام الذي من أجله إفشاء السلام من أكبر الدواعي لذلك.

---

(١) أبو داود (٤٩١٩)، الترمذي(٢٥٠٩).

(٢) مسلم (٥٤).

فصل

إذا علم هذا فالواجب على المسلمين عموما وعلى أهل العلم خصوصا أن يسعوا في هذا الأمر، ويتحملوا من أجله المشاق، ويبذلوا جهدهم وطاقتهم في حصول التوادد وعدم التقاطع والتهاجر، ويرغبوا غيرهم فيه امتثالا لأمر الله وسعيا في محبوبه، وطلبا للزلفى لديه فيوطنوا أنفسهم على ما ينالهم من الناس من الأذية القولية والفعلية مع أنها ستنقلب إن شاء الله راحة ومواصلة دينية.

ويقابلون المسيء إليهم بالعفو عنه والصفح وسلامة النفس ولا يعاملونه بما عاملهم به؛ بل إذا عاملهم بالبغض عاملوه بالمحبة وإن عاملهم بالأذى عاملوه بالإحسان، وإن عاملهم بالهجر وترك السلام عاملوه ببذل السلام والبشاشة ولين الكلام والدعاء له بظهر الغيب، ولا يطيعوا أنفسهم الأمارة بالسوء بمعاملته من جنس ما عاملهم به فليست هذه حالة الأنبياء وأتباعهم؛ بل حالهم العفو والصفح عن أهل الجرائم كما ذكر النبي ﷺ عن حال النبي الذي ضربه قومه حين دعاهم إلى الله حتى أدموه، فجعل يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[1].

هذا والله الفخر الكامل الذي يبني لصاحبه في الدنيا الثناء الجميل، وفي الآخرة الثواب الجزيل قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ [المائدة: ٢]. ويحث على مقابلة المسيء بالعفو في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

---

(١) البخاري (٣٤٧٧)، مسلم (١٧٩٢).

فإذا وفق المسلمون لهذه الحالة جمع الله شملهم وألف بين قلوبهم وهداهم سبل السلام وأخرجهم من ظلمات الجهل والظلم والضلال إلى نور العلم والعدل والإيمان. ويجب عليهم إذا رأوا صاحب هوى يريد أن يشق عصا المسلمين ويفرق بينهم لنيل غرض من أغراضه الفاسدة أن يقمعوه وينصحوه ولا يلتفتوا لقوله، فإن من هذا حاله أكبر الأعداء.

وأن يحرصوا غاية الحرص على ستر عورات المسلمين وعدم تتبعها؛ خصوصا ما يصدر من رؤساء الدين والعلماء وطلبة العلم الذين لهم الحق الأكبر على جميع المسلمين بما قاموا به من علم الشرع وتعليمه، الذين لولاهم ما عرف الناس أمر دينهم ومعاملاتهم.

فلولاهم لم يعرفوا كيف يصلون ويزكون ويصومون ويحجون؛ بل لا يعرفون يبيعون ويشترون؛ بل لولاهم لكان الناس كالبهائم لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرًا ولا عرفوا حلالا ولا حراما فالواجب على المسلمين احترامهم وكف الشر عنهم وقمع من يريدهم بأذى والتغاضي مما يصدر منهم بستره وعدم نشره لأن نشره فساد عريض.

واعلم أن للخير والشر علامات يعرف بها العبد:

فعلامة سعادة الإنسان: أن تراه قاصدا للخير لكافة المسلمين حريصا على هدايتهم ونصيحتهم بما يقدر عليه من أنواع النصح مؤثرا لستر عوراتهم وعدم إشاعتها قاصدا بذلك وجه الله والدار الآخرة.

وعلامة شقاوة العبد: أن تراه يسعى بين الناس بالغيبة والنميمة ويتتبع عثراتهم ويتطلع على عوراتهم، فإذا سمع بشيء صدر منهم من المكروه أشاعه وأذاعه؛ بل ربما نشر معه شرحا من ابتداعه، فهذا العبد بشر المنازل عند الله مقيت عنده متعرض لمساخطه يوشك أن يفضحه في دنياه قبل أخراه إن لم يتدارك نفسه بالتوبة النصوح وتبديل السيئات بالحسنات.

فحقيق بمن لنفسه عنده قيمة أن يربأ بها عن هذه الخصلة الذميمة، ويتأمل معنى قوله ﷺ: «**من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة**»[١]. وقوله ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته**»[٢]. هذا الوعيد الشديد في عموم المسلمين، وأما العلماء والصالحون فالوقوع بهم أقبح وأقبح، وهو علامة على معاداة الله ومحاربته؛ لأن الله قال على لسان رسوله ﷺ: «**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**»[٣].

وقد قال بعض السلف: إن لم يكونوا العلماء أولياء الله فلا أدري من هم أولياؤه.

وصدق رحمه الله، فإن ولاية الله إنما تنال بحسب قيام العبد بأوامر الله تعالى، ولأهل العلم من هذا أكبر نصيب، فإنه لا يكاد ينال العبد طرفا من العلم يصير فيه رئيسا حتى يجتهد ويجد ويمضي عليه زمن طويل وهو متجرد لطلب العلم تاركا لما عليه أهل الدنيا مستغرقا لأكثر أوقاته وأشرف ساعته بالاشتغال بالعلم الذي هو بنفسه أجل الطاعات، وهم أحرى بولاية الله من غيرهم؛ فكيف يمكّن بالقدح فيهم من غلبت عليه الشقاوة وأفنى زمانه بالقيل والقال ولم يضرب مع الصالحين بسهم من نفائس الأعمال، فلا تراه باحثا عن أمر دينه ولا مجالسا للعلماء على وجه الاستفادة منهم؛ بل لو سئل عن أدنى مسألة من أمر دينه لم ينطق ببنت شفة[٤]، ومع هذا فقد أطلق لسانه بثلب العلماء وأهل الدين زاعما فيما قاله إنه مصيب؛ نعم قد أصاب طريق أهل الشر، والتحق بالحيوانات الخسيسة التي تترك الأطعمة الطيبة وتذهب إلى الجيفة ونحوها من الأطعمة الخسيسة لتركه المحاسن وإقباله على ما ظنه مساوئ وانحرف عن طريق أهل الخير فليس بكفؤ

---

(١) البخاري (٢٤٤٢)، مسلم (٢٥٨٠).

(٢) أحمد (١٩٧٧٦)، أبو داود (٤٨٨٠).

(٣) البخاري (٦٥٠٢).

(٤) أي: بكلمة.

أن يذكر معهم، وإنما يذكر لئلا يغتر به المغترون ويقع بشبكته الجاهلون، ولعله أن يرتدع ويتوب ويقلع إلى ربه وينيب، فليس على طريق التوبة حجاب، ولا ذنب إلا وراءه مغفرة الملك الوهاب لمن تاب وأناب.

فصل

ومن أعظم ما يجب الاعتناء به على أهل العلم ألا يجعلوا الاختلاف بينهم في المسائل الدينية التي لا يخرج المخالف فيها إلى البدع أو الشرك - سببا وداعيا إلى التفرق وتشتيت القلوب وموجبا للقدح والطعن بسببها والموالاة والمعاداة عليها، فإن هذا ظلم وتعد لا يحل بإجماع المسلمين، فما زال السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم يختلفون في مسائل الدين، ولا ينكر بعضهم على بعض ولا يوجب بعضهم على بعض أن يتبعه وإلا ضلله، فإن هذه مرتبة لا تصلح إلا للرسل فهم الذين يضلل مخالفهم، وأما من عداهم فلم تضمن له العصمة.

ومن رحمة الله بعباده أن جعل اختلاف هذه الأمة رحمة ليثيب المصيب ويعفو عن المخطئ واتفاقهم حجة ونجاة وعصمة.

فالواجب على أهل العلم أن يبذلوا جهدهم بتحري الحق والصواب، وألا يضللوا المخالف لهم مثلهم أخطأ أو أصاب. وهذا في جميع المسائل التي تعارضت فيها أقوال سلف الأمة بحسب ما أداهم إليه اجتهادهم:

وذلك مثل من يرى أن الماء لا ينجس إلا بالتغير بالنجاسة لا يجوز له القدح فيمن يرى أن ما لم يبلغ قلتين ينجس بمجرد الملاقاة وبالعكس. وكذلك من يرى أن الماء المستعمل في رفع الحدث يصير طاهرا غير مطهر لا يضلل من يراه طاهرا مطهرا وبالعكس.

ولا من يرى أن الصلاة في الثوب النجس ناسيا تعاد على من لا يرى الإعادة وبالعكس. ولا من يرى وجوب صوم ليلة الثلاثين من شعبان في الغيم على من يرى استحباب الفطر

أو إباحته ولا بالعكس. ولا من يبيح فعل النوافل ذوات الأسباب في أوقات النهي على من يمنعها وبالعكس.

وأمثال هذه المسائل التي لم يزل الخلاف فيها بين السلف وإلى الآن، فلا يحل لمن يرى أحد القولين فيها أن ينكر على غيره على وجه القدح به، فإن هذا ظلم لا يجوز؛ بل وظيفة أهل العلم في مثل هذه المسائل الخلافية أن يبينوا ما يرون أنه الصحيح بحسب قدرتهم بالدليل الشرعي الذي هو الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار بالقياس والحكم [وضعف العقل[ ][1] بالدليل الشرعي][2]، وأن يردعوا من جعل هذا الخلاف سلما للاختلاف؛ لأنه بعيد عن الإنصاف؛ نعم إن ظهر من أحد من أهل العلم مخالفة بينة لدليل شرعي صريح، فإنه يجب نصحه، ويبين له الدليل الشرعي بأقرب الطرق، ولا يجعل تأنيبه أو غيبته في المجالس بدلا من نصحه، فليست هذه طريقة أهل الإنصاف، بل طريقتهم النصيحة سرا وعدم إشاعة الفاحشة.

وبالجملة فالواجب على أهل العلم وغيرهم :

السعي في معرفة الحق. والاجتهاد في تنفيذه. والعمل به والتعاون على ذلك.

وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه سواء وافقه أو خالفه، فكما أنه إذا وقع منه خطأ وزلل لم يحب اطلاع أحد عليه، بل يحرص على ستر نفسه؛ فكذلك ينبغي أن ينزل أخاه منه بهذه المنزلة.

وأن يحمل ما يصدر منه على أحسن محمل، فإن الجزاء من جنس العمل، فمن كان عمله مع إخوانه هكذا؛ ستر الله عليه بأسباب يعلمها وأسباب لا يعلمها سترا لا يحصل لمن لم يكن بهذه المثابة، فكما تدين تدان جزاء وفاقا، فنسأل الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحبه

(١) كلمة لم تتضح لنا.

(٢) لعل في العبارة سقطا ولم يتضح لي.

ويرضاه، وأن يصلح أحوال المسلمين ويؤلف بين قلوبهم ويهديهم سبل السلام، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وسلم.

فائدة مهمة

اعلم أنه ينبغي للمعلم أن يفتح للمتعلمين باب البحث والمراجعة والانتقاء في المسائل العلمية، فإن في ذلك من المصالح الدينية ما لا يدخل تحت الحصر.

فمنها أن ذلك من باب التعاون على البر والتقوى لأن مصالح الدارين لا تتم إلا بالتعاون عليها، فالمسائل العلمية لا تتم إلا بذلك وهي بدونه في غاية النقص.

ومنها: أن ذلك يوجب لهم التهذب والتدرب على المعارضة والاستدلال والترجيح والتضعيف فتتقد بذلك أفكارهم ويحصل لهم ملكة يقتدرون بها على الإيراد والجواب، فبالامتحان تنصقل الأذهان.

ومنها: أن في إهمال المعلم لهذا، وجبل المتعلمين على تلقي جميع ما يقوله بالقبول وعدم المعارضة له فيما تحققوا وظنوا أو شكوا فيه، فيه غلق لباب الفائدة للمعلم والمتعلم.

أما المتعلم فظاهر، فإنه إذا لم يعارض ويبحث لم يهتد إلى الصواب إلا في المسائل الواضحة البسيطة، وأما المسائل التي تحتاج إلى تحرير وتقرير وجواب وإيراد فبابها عليه مسدود؛ بل ربما أن المتعلم الذي قد تقررت عنده المسألة على صوابها إذا رأى معلمه قد خالف ما عنده ولم تحصل منه المباحثة المذكورة قد يشك فيما علمه أو يعتقد خلاف ما ظنه من الصواب كما هو الواقع.

وهذه الحالة إذا استمر عليها المتعلمون خمدت أذهانهم وأفكارهم فيكون الذكي الفطن جامد الذهن خالي القريحة، وذلك أن القوة المفكرة إذا لم تشتغل بالتفكر والتذكر وإعمالها فيما هي مهيئة له بطل عملها بمنزلة بقية الجوارح التي إذا توالى عليها السكون والكسل

لم تنفع صاحبها وأسرع إليها الفساد، فإذا أعملت فيما هي مستعدة له ترتبت وازدادت وترقت على الدوام.

وأما غلقه لباب الفائدة عن المعلم فأظهر وأظهر، فإنه يسد على نفسه أبوابا وطرقا من الخير قد كان يمكنه تحصيلها بأسهل شيء، فإنه إذا حصلت المباحثة والمراجعة المذكورة بينه وبين المتعلمين لم يعدم بذلك أن يستفيد منهم علما حادثا أو يتذكر علما منسيا أو يتضح له ما كان مشكلا أو يتوقف بسبب ذلك عن قول كان يجزم به على خلاف الصواب.

ومنها: أنه يوجب له التيقظ والاحتراز فيما يقوله وينقله، فإنه إذا علم أنه إذا قال قولا أو نقل شيئا لم يعارض ولم يوقف بوجهه؛ بل يقبل على أي وجه كان - تساهل في ذلك، فقال ونقل ما اتفق له غير مراع للصواب، فيحصل منه الخطأ والغلط شيء كثير. وإذا علم أنه يعارض تنبه وتحرز وتحرى في قوله ونقله بحسب قدرته.

ومنها: أنه يوجب له كثرة المطالعة والبحث والتفتيش والتنبه لكل ما يخطر بباله أنه سيتكلم به.

ومنها: أنه يتحسن بذلك خلقه، ويصير له ملكة لتحمل ما يرد عليه من الاعتراضات، فإن صاحب المنصب العالي على غير الذي يرد غيره تبعا له لا يكاد يتحمل ممن دونه إذا عارضه؛ بل منصبه يوجب له النفرة من الاعتراض عليه ممن هو مثله أو فوقه؛ فكيف بمن هو دونه فيخاف عليه لسبب ذلك من رد الحق ونصر الباطل الذي يعلمه ويغلب هذا السبب ما هو عليه من الديانة كما هو مشاهد.

ولهذا من أدب المعارض لمن هذه حاله إذا استبان للمعارض أن الصواب معه ألا يكون ذلك بصورة المعارضة؛ بل بصورة السؤال والاسترشاد والتنبيه على الصواب بألطف الطرق التي توجب القبول، فإذا وطن نفسه على حصول المعارضة وعدم المبالاة بها بل الحرص عليها، وأوعز للمتعلمين أن يعارضوه بما يرون أنه معارض لقوله تدرب بذلك وصار له ملكة

قوية على ذلك بحيث لا يبالي بالمعارضة من صغير وكبير؛ بل قد تراه يقول القول في الملأ جازما به ثم يظهر له عكس ما جزم به فيبديه غير خجل ولا مكترث بل قصده الوصول إلى الحق والنصيحة للخلق، وحبذا حالة توصل العبد إلى هذا الخلق الذي لا يلقاه إلا ذو حظ عظيم.

ومنها: أن المعلم إذا هذب المتعلمين على هذه الطريقة الحسنة أو غيرها من الطرق الحسنة صار سببا لاستمرار هذه الحال فيمن تعلم منهم وتربى بهم لأنهم يربونه على ما تربوا عليه فيحصل له من الخير ما لا يعلمه إلا الله.

ومنها: أنه يعرف بذلك مراتبهم ودرجاتهم في التحصيل، ومعرفة مراتب الناس من أهم الأمور خصوصا من له التدبير فيهم فإنه يحتاج، بل يضطر إلى ذلك لأجل عمله فيهم لأن عمله لا يتم إلا بتنزيلهم منازلهم وإعطاء كل ما يستحقه.

ومنها: أن ذلك يوجب الثقة بقوله لأن من وفق لهذه الحالة وفق للصواب.

وأما من سد على نفسه هذا الباب، فقد حصل على غاية الحرمان من العلم والعمل والثواب والخطر العظيم بسبب سوء الخلق الذي يؤثر ما يؤثر وسوء التعليم وقلة النتيجة وعدم النصيحة التي هي أس التعليم؛ بل أس كل عمل، والإعجاب بالنفس وعدم الثقة بقوله، وغير ذلك، فنسأل الله توفيقا يوفقنا إلى الصواب ويصرفنا عن كل شر.

تم الكتاب، والحمد لله على يد معلقه الفقير إلى الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين اللهم صل على محمد وسلم (٦ جمادى ١٣٤٣هـ).

الجهاد في سبيل الله

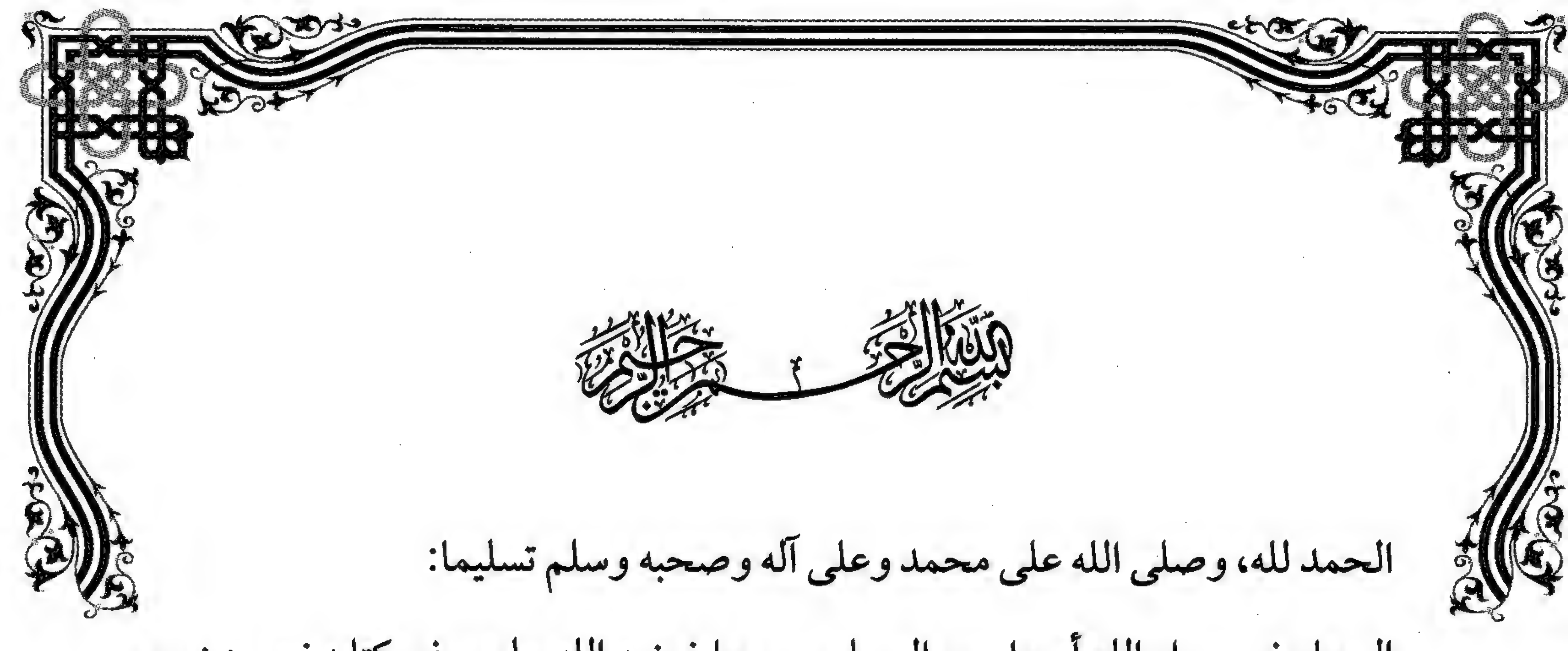
أو واجب المسلمين

تأليف

الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله



الحمد لله، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما:

الجهاد في سبيل الله أو واجب المسلمين، وما فرضه الله عليهم في كتابه نحو دينهم، وهيئتهم الاجتماعية:

قد أوجب الله على المؤمنين الجهاد في سبيله والاعتصام بدينه الذي هو حبله، والدعوة إلى ذلك، والألفة، والاجتماع، والتعاون على الخير والبر والتقوى والاستعانة بالله في جميع أمورهم، وقوة التوكل عليه والقيام بالمستطاع المقدور عليه من الدين والتقوى، وتعلم ما يحتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم من العلوم والفنون النافعة التي يحصل بها قيام الدين والأمة، والتمرن على القوة المعنوية، والشجاعة الإيمانية، وبالأسباب المقوية للإيمان كلها، وبالدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومجادلة المبطلين والضالين بالتي هي أحسن، والجهاد في الله حق جهاده.

فهذه الأوامر الإلهية في القرآن في مواضع كثيرة، وكلها داخلة في الجهاد في سبيله، لأن معنى الجهاد في سبيل الله بذل المجهود في تقوية المسلمين؛ تقوية معنوية، وتقوية مادية، وبذل المجهود في مقاومة الأعداء، وفي سلوك كل طريق يحصل به دفع شرهم والنكاية بهم، فعلى هذا يكون مجموع أصول الجهاد نوعين:

أحدهما: السعي الحثيث في تقوية المسلمين، والسعي في إزالة الضغائن والعدوات الواقعة بين أفرادهم وجماعاتهم وحكوماتهم بالدعايات والمواعظ المناسبة للحال.

وأن يكون صوت المسلمين واحدا يتكلم ويدعو إليه العلماء والكبراء وجميع طبقات

الناس كلهم يتفقون لهذه الدعوة بحسب إمكانهم.

ومما يسهل عليهم هذا الأمر مع صعوبته في بادئ الأمر، أن يعلموا أن هذا السعي والدعوة إلى جمع المسلمين وإلى إصلاح ذات بينهم هو أفضل الأعمال، وأنه أفضل من استغراق الزمان بالصوم والصلاة، وأنه من أعظم وأجل الجهاد في سبيل الله، فإن أصل الجهاد الذي لا يستقيم إلا به اتفاق الكلمة وارتباط المسلمين بالأخوة الدينية ارتباطا وثيقا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

وبه يحصل أسباب النصر؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]. فبين أنه يجب على المؤمنين الارتباط بالأخوة الدينية، وأن تحقيق هذا الأمر من مقتضيات الإيمان وشروطه، وأنه كلما قوي إيمان العبد عرف مقدار نفع هذا الأمر وعمل واجتهد عليه، وأن الله نصر نبيه بأمرين:

أمر سماوي: وهو نصره الذي ينزله على المتقين القائمين بدينهم.

وأمر معنوي: وهو اجتماع المسلمين وتآلف قلوبهم وحصول التحاب الذي يوجب لكل منهم أن يرى مصلحته ومصلحة إخوانه واحدة والغاية واحدة.

فالواجب على جميع طبقات الأمة - لا سيما الرؤساء، رؤساء الدين ورؤساء الدنيا - أن يجاهدوا أنفسهم وإخوانهم المسلمين لتحقيق الأخوة الإيمانية؛ وإذا سلكت طرقه وأبوابه التي تسهله، وشعر كل واحد بما يجب عليه لربه ودينه ولإخوانه، واستعانوا بالله ولم يخلدوا إلى الكسل والخور واليأس، أفلحوا. فإن هذين الأمرين أعظم الموانع لحصول المصالح ودفع المضار. فإن الكسل والخور ينافي الرغبة في الدين، وينافي الجهاد الحقيقي، وأما اليأس من حصول المصالح ومن دفع المضار فإنه الهلاك بعينه، وهل أخر المسلمين عن الأمم، إلا تفرقهم وكسلهم وجبنهم وخورهم ويأسهم من القيام بشئونهم حتى صاروا بذلك عالة على غيرهم. ودينهم قد حذرهم عن هذه الأمور أشد التحذير. وأمرهم أن يكونوا في

مقدمة الخلق في القوة، والشجاعة، والصبر، والملازمة للسعي في كل أمر نافع، والعزم، والحزم، والرجاء وحسن الثقة بالله في تحقيق مطالبهم، والدواعي لهم في ذلك متوفرة، فإن مجرد السعي في ذلك بحسب الإمكان من أفضل الأعمال المقربة إلى الله.

والقوة الإيمانية والأخوة الدينية ووجوب النصيحة وارتقاب مواعيد المولى الصادقة التي لا تتخلف عن أسبابها، حيث وعد المؤمنين القائمين بحقوق الإيمان بالعون والنصر والتسديد والتأييد. كل واحد من هذه الأمور يكفي وحده في حث المؤمنين على القيام بشئونهم ومصالحهم الكلية، فكيف وهي كلها حاصلة؟

ثم إن الكسلان الذي ملكه الخور واليأس، أي شيء يرتقب وأي خير ينتظر؟ أليس الوهن والضعف والجبن أكبر سلاح للأعداء، وهي الطريق الوحيد للذل والإهانة والسقوط إلى أسفل سافلين من تسفل النفس وهبوط الأخلاق؟ فأين الأنفة النفسية وأين الحمية الدينية، وأين الشهامة الإنسانية؟ فوالله إن موت هؤلاء خير من حياتهم حياة الذل وموت الأخلاق الطيبة، أليس هذا ميراثا تلقوه عن المنافقين الذين قال الله عنهم: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢].

أين هؤلاء ممن قال فيهم وفي نفوسهم الجميلة والجليلة: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ولكل قوم وارث، فقد ورثهم في الأرض رجال من المؤمنين من ملوكهم، ورؤسائهم وعلمائهم وأشرافهم وذوي النجدات منهم، صدقوا ما عاهدوا الله عليه، حيث عاهدوا ربهم على التمسك بدينه والقيام به أتم القيام والجهاد في سبيله.

فمنهم: الباذل لنفسه.

ومنهم: الباذل لماله.

ومنهم: الحاث لإخوانه المسلمين على القيام بما يقدرون عليه.

ومنهم: الساعي بينهم بالنصيحة والتأليف.

ومنهم: المنشط للمؤمنين بقوله وماله وجاهه.

منهم: الفذ الجامع لذلك كله.

فهؤلاء رجالات المؤمنين وخيار المسلمين الذين بهم قام الدين وبه قاموا، وهم الرواسي في إيمانهم وجهادهم، ولا يردهم عن مرادهم راد، ولا يصدهم عن المضي في سبيلهم صاد، لا تزعزعهم الحوادث، ولا تفزعهم الكوارث، تتوالى عليهم المصائب فيثبتون لها ثبوت الجبال، وتتتابعهم الأهوال المفظعة فيتلقونها بصدور منشرحة وأنفس مطمئنة فعل الكمل من الرجال. فواها لهؤلاء الأبطال، ما أعلى قدرهم، ولله درهم ما أعظم ثوابهم، وأجزل أجرهم.

ومما يجب على المؤمنين أن يحذروا غاية الحذر من المخذلين المرجفين ومن المفسدين بينهم في السعي في الفتن والتفريق بينهم؛ إن هؤلاء أضر عليهم من العدو المحارب، قال تعالى في وصف أمثال هؤلاء: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٧]. أي مستجيبون لهؤلاء المفسدين لا يفهمون مغزى مرادهم فيغترون بهم، فتحصل الفرقة بين المؤمنين. فعلى المؤمنين أن ينتبهوا لهؤلاء المفسدين. وعلى المسلمين أيضا ألا يجعلوا الاختلاف بينهم في الأقوال والمذاهب وفي الملك، والسياسات والأغراض الشخصية حائلا يحول بينهم وبين تحقيق الأخوة الدينية والرابطة الإيمانية، بل يجعلون الخلافات كلها والأغراض الجزئية تبعا لهذا الأصل الكبير، لأن مصلحة ذلك الكلية وما يطلبهم دينهم منهم من الوحدة والألفة وما يمنعهم منه من التفرق المفكك لوحدتهم وقوتهم يأتي على ذلك أجمع، ويقدم على كل شيء.

فالمصالح الكلية تتدرج فيها الأغراض الجزئية، فمتى صار الغرض الوحيد المصالح العامة تبعتها المصالح الخاصة.

قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦٠]. فهذه الآية وما أشبهها من الآيات بينت أن أمثال هؤلاء المرجفين ضررهم عظيم، وشرهم مستطير، وما أكثر وراثهم في هذه الأوقات التي اضطر المسلمون فيها إلى نصرة الأولياء، حيث يوجد طائفة من الناس يثبطون عن الجهاد في سبيله، ومقاومة الأعداء، ويخدرون أعصابهم ويؤيسون المسلمين، ويوهمونهم أن كل عمل يعملونه لا فائدة فيه، فهؤلاء لا خير فيهم؛ لا دين صحيح، ولا مروءة ولا إنسانية، ولا حمية قومية وطنية. ومع ذلك فهم صاروا أضر على المسلمين من الأعداء. فليعلم أمثال هؤلاء ومن يستجيب لهم أن الله لم يكلف المؤمنين إلا وسعهم وطاقتهم، وأن لهم في رسول الله أسوة حسنة. فقد كان ﷺ له حالان في الجهاد والدعوة، أمر في كل حال بما يليق بها ويناسبها، أمر لما كان في مكة والمسلمون قليل والقوة ضعيفة والأعداء كثيرون بالاقتصار على الدعوة إلى الدين وبيان محاسنه وجذب الناس إليه وجهادهم بالدعوة. وأمر أن يكف يده عن القتال باليد لما فيه من الضرر وخلاف الحكمة كما هو ظاهر لكل أحد، وأن يسالم الأعداء ويستدفع ضررهم بكل طريق ويتحمل كثيرا مما يعملون معه ومع الإسلام.

فلما هاجر إلى المدينة وقوي المسلمون وكثروا وعظمت وطأة الأعداء ومقاوماتهم العنيفة للإسلام والمسلمين، أمر بجهاد اليد مع جهاد الدعوة، فللمسلمين برسول الله أسوة حسنة، من كانت المصلحة تقتضي مهادنتهم ومسالمتهم من الأعداء سالموه وهادنوه، وتحملوا أضرارهم القليلة لدفع ما هو أعظم منها، ومن تعينت المصلحة في قتالهم بالسلاح لعدوانهم وشرهم وضررهم الكبير قاوموه بالسلاح والقوة، فيتبعون ما تعينت مصلحته الدينية ويستعينون على المضي في أحد الأمرين بالمشاورة والمراودة. والمشاورة أحد أصول السياسة الدينية بل هي أهم قواعدها، كما قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وهذا من أهم ما فرضه الله على المؤمنين في إصلاح وتدبير أمورهم الكلية، وله من

الفوائد ما لا يحصى.

منها: امتثال أمر الله والاقتداء برسول الله ﷺ إذ كان يشاور أصحابه في كل أمر مهم.

ومنها: أن المشاورة من أكبر الأسباب لإصابة الصواب وسلوك الطرق النافعة لاجتماع آراء المؤمنين وأفكارهم، وتنقيحها وتصفيتها، مع أن الله معهم في هذه الحال يسددهم ويؤيدهم.

ومنها: أن المشاورة تتنور فيها الأفكار وتترقى فيها العقول والآراء لأنها تمرين للأذهان، واستعمال للقوة العقلية فيما خلقت له وهيئت، واقتباس بعضهم من آراء بعض.

ومنها: أنه قد يكون الصواب من مجموع رأيين أو ثلاثة أو عدة آراء ولا سبيل إلى ذلك إلا بالمشاورة.

ومنها: أن المشاورة من أسباب المحبة بين المؤمنين، وتآلف قلوبهم وشعور جميعهم أن مصلحتهم واحدة، وتنبه الأذهان للفكر في ذلك، فإن من لا يشاور في الغالب فإنه لا يعمل فكره في هذه الأمور فضلا عن أن يهتدي إلى الصواب.

ففتح باب المشاورة بين المؤمنين في تعيين مصالحهم الكلية ودفع مضارهم، وفي أنسب الوسائل، والطرق التي يسلكونها لتحصيل ذلك عون كبير على القوة والصلاح والفلاح والنجاح. وقد اتفق العقلاء أن الطريق الوحيد للصلاح الديني والدنيوي هو طريق الشورى.

فالمسلمون قد أرشدهم الله أن يسعوا إلى مصالحهم، وعلمهم كيفية الوصول إليها بإعمالهم لأفكارهم مجتمعين، فإذا تعينت المصلحة في طريق سلكوه، وإذا ظهرت المضرة في أمر من الأمور سعوا إلى دفعها ومدافعتها، وإذا اشتبهت المصالح بما ينافيها من المضار وتعارضت قدموا راجحها على مرجوحها، فلا يدعون مصلحة داخلية ولا خارجية صغيرة ولا كبيرة إلا تشاوروا فيها وقدموا ما تقتضيه المصلحة. وقد أوجب الله على المسلمين أمرين عظيمين عليهما مدار الجهاد: الاستعداد لعدوهم بما يستطيعون من قوة عقلية ومعنوية

ومادية. ويدخل في ذلك تعلم الفنون الحربية من الرمي والركوب وعمل السلاح المناسب للوقت والمكان، وبما لا تتم هذه الأمور إلا به من تعلم الصناعات المعينة على هذا الأمر.

وأمرهم بأخذ الحذر من عدوهم وهو التحرز والتحصن منهم. وأن يكونوا منهم أبدا على حذر في وقت السلم فضلا عن وقت الحرب، وأن تكون لنا العيون والأرصاد عليهم لنعلم كل حركاتهم العلمية والحربية حتى لا يسبقونا إلى الأعمال والصنائع النافعة، فإن ضعف المسلمين وقصورهم وجهلهم بالصنائع وعمل الأسلحة من فرص الأعداء، فلنأخذ عليهم هذا الطريق الذي منه يدخلون علينا، لعل الله أن يكف بأس الذين كفروا، ولا نكون عالة فيها وفي غيرها عليهم، فإنهم بذلك يتمكنون مما يريدون، فإن لله في هذه الدنيا سننا لا تتغير، وإن الحياة العزيزة لا تكون لمن أذل نفسه وخذلها وتسول غيره.

ولئن قال متحذلق مخذل: إن أمة المسلمين الآن متعذر عليهم أن يسلكوا هذا الطريق فذاك من جهله وجبنه وخوره، فالله تعالى حكيم، وأمرنا بسلوك طرق الحكمة وليست الأمور العظيمة يقفز إليها قفزا. وقد علمنا تعالى أن نبدأ بما نقدر عليه، ولا نترك المقدور لعجزنا عن الكمال، فمتى أدينا ما علينا وقمنا بما فرض علينا وما نستطيعه، كنا مجاهدين ومحمودين وعزيزين، فإن من يسعى لعزه ولغاية مجده فطريقه وإن كان ضعيفا فهو طريق المجد وطريق الحزم وطريق القوة والشجاعة. فرحم الله من أعان على الإسلام ولو بشطر كلمة.

وقد أمر الله بالجهاد بالنفس، والمال وبالأقوال، والأفعال وبالمباشرة وإعانة المباشرين بالمال، والدعوة، والتشجيع، والتحريض؛ فكل من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق[1]، كما صح الحديث بذلك.

فأهل الحل والعقد والرياسة من الملوك، والأمراء، والوزراء، ورجال الدول الإسلامية

(١) أبو داود (٢٥٠٢)، النسائي (٣٠٩٧).

عليهم أن يسعوا أحث السعي لتحصيل القوتين؛ القوة المعنوية، والقوة المادية، بإزالة جميع الحواجز، والموانع التي حالت بين المسلمين وبين اتفاقهم واجتماع كلمتهم، وتآلف قلوبهم، وأن يفهموا الأسباب التي فرقتهم؛ من الأغراض الشخصية والمطامع والأغراض الردية، والأيدي الأجنبية، فإنهم متى فهموها حق الفهم عرفوا أنها تنافي مصالحهم الدينية والدنيوية، ومنافعهم الكلية، وتنافي ما يحث عليه العقل والحزم من وجوب تقديم المصالح العامة على الأغراض الخاصة. وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]. فتوعد الله من كانت هذه الأمور أحب إليه من الله ورسوله ومنعته من الجهاد في سبيله وقدمها عليه. وهذه المذكورات في هذه الآية الكريمة هي الموانع والحواجز عن القيام بالجهاد في سبيله قولا وفعلا، ومن أكبر أسباب الجبن، فلا يتحقق الإيمان إلا بتقديم حب الله ورسوله والجهاد في سبيله عليها، فإن الله قد وعد على الجهاد في سبيله مغفرة الذنوب والسيئات وحصول الخيرات ودخول الجنات والفتح في الدنيا والعز والنصر القريب. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف: ١٠] إلى قوله ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الصف: ١٣]. فأخبر تعالى أن من قام بالإيمان والجهاد فقد حصل التجارة الرابحة وأدرك الصفقة والغنيمة والخيرات المتتابعة.

تالله لقد حرم الناكلون عن الجهاد خيرا كثيرا، ولقد سعوا فيما يكسب الذل وخسروا خسرانا كبيرا، فأين الشهامة الدينية وأين الغيرة الإيمانية، وأين الرغبة في الخير؟

يا عجبا لمؤمن يرى أهل الباطل يجهدون ويألمون في نصر باطلهم، وهم لا غاية لهم شريفة يطلبونها، وهو مخلد إلى الكسل عن نصر الحق الذي يترتب على نصره من الخيرات العاجلة والآجلة ما لا يمكن التعبير عنه، كل ذلك خوفا من المشقة وزهدا في إعانة إخوانه المسلمين في ماله أو بدنه وقوله وفعله، بل زهدا في مصالح نفسه الحقيقية.

قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

وعلى أهل العلم من بيان فضل الجهاد ووجوبه وتبيين منافعه ومصالحه الضرورية وحض الناس على ذلك أعظم مما على غيرهم. وعليهم أن يوضحوا للمسلمين أن جميع حركاتهم وسكناتهم، وأقوالهم وأفعالهم ونفقاتهم المقوية للدين ودفع ضرر الأعداء، كلها داخلة في هذا الواجب العظيم، وأن يفهموهم أن الاختلاف في المذاهب والتباين في المشارب لا يمنع من اتفاقهم جميعا على هذا الأصل الذي يجمع قاصيهم لدانيهم، وأن المصالح العامة الكلية مقدمة على الأغراض الجزئية والمنافع الشخصية وأن هذا العمل مصلح لدين المسلمين ودنياهم. ثم على كل فرد أن يبدي مجهوده في نصر الدين وتقوية المسلمين بما استطاع من نفقة أو قول أن ينهض المسلمين ويقوي عزائمهم ويبعث هممهم.

وعلى الرؤساء، والمرءوسين الترغيب في تعلم الفنون الحربية والصناعات النافعة، وعمل الأسلحة والحصون الواقية واستجلاب ما تعذرت صناعته، والسعي في تنمية المصالح والمنافع الاقتصادية بالعمل بالأسباب الميسرة لها، المعينة على تحصيلها، فإن المصالح الاقتصادية هي العون على المصالح الدينية، فكل ما فيه تقوية المسلمين ودفع الأضرار والشرور من الأعداء عنهم فهو من الجهاد.

وعليهم أن يدرسوا أحوال الأمم الأجنبية وسياساتهم فإن معرفة ذلك من أسباب أخذ الحذر منهم والتوقي لشرهم.

وعليهم مع فعل الأسباب النافعة أن يتوكلوا على الله ويستعينوا به ولا يتكلوا على حولهم وقوتهم، ولا يغتروا بحالهم ويعجبوا بأنفسهم ولا يستهينوا بأعدائهم بل يحسبون لهم كل حساب.

ومن أعظم الجهاد، الجهاد المالي، والله تعالى قدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس، فإن النفقة في سبيل الله أفضل النفقات على الإطلاق وبها يستعان على قتال الأعداء

بتحصيل الأسلحة وصناعتها، والمراكب المناسبة لزمانهم، وإقامة جميع مؤن الجهاد. حتى إن دفع المال الذي يدفع للأعداء لوقاية شرهم من الجهاد بالمال، فبذل المال للأجانب، عند الاضطرار، مقدم على ما هو أخطر منه وأشد ضررا. وقد أمرهم الله أن يتعاونوا على البر والتقوى. فالبر اسم جامع لفعل الخير كله ووسائله وطرقه.

كما أن التقوى اسم جامع للتعاون على اتقاء ما يخشى ضرره في الدين والدنيا والآخرة، أي تعاونوا على فعل الخيرات وعلى ترك المنكرات، وتعاونوا على كل وسيلة تعين على ذلك، فالعالم بوعظه وتذكيره وتعليمه، والغني بماله، ذو السداد برأيه وعقله وتدبيره وسياسته، وأهل النجدة والشهامة بقوتهم وتحضيضهم لغيرهم والعامل بعمله وصناعته، وكل فرد يعين بنفسه ورعايته وتشجيعه وصاحب الجاه بجاهه، فيكون المؤمنون كالجسد الواحد والبنيان الذي يشد بعضه بعضا قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]. وهذا يشمل جميع الأوامر الدينية، فليس لأحد عذر في القيام بالمستطاع منها.

وقال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٨].

فإنه لما أمر بالجهاد أخبر بالطريق التي تسهله، والدواعي التي تدعو إليه، فكون الله اختار المؤمنين واجتباهم واختار لهم هذا الدين العظيم الذي هو دينه الذي يوصل إليه وإلى كل كرامة، وهذا من أكبر الدواعي إلى الجهاد حيث كان هذا العمل الجليل يوصل إلى كل خير ويدفع كل شر، ومع ذلك فما جعل عليكم في الدين من حرج، فلم تكلفوا من الجهاد إلا ما تستطيعون ويهون عليكم، كل على قدر حاله ومقدرته.

وقد أمرهم الله بالقيام بالقسط والوفاء بالعهود قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥]. ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤].

فهذان الأصلان العظيمان وهما:

القيام بالقسط: الذي هو العدل التام على الأنفس والأقربين والأبعدين.

والوفاء بالعهود: كلها من أكبر أصول الدين ومصالحه، وبالقيام بهما يتم الدين وتحصل الهداية والإعانة من الله والنصر والمدافعة، فما ارتفع أحد إلا بالعدل والوفاء، ولا سقط أحد إلا بالظلم والجور والغدر.

وهذه الأمور كلها مضطرة إلى قوة التوكل على الله والاقتداء بسيد المرسلين فيه، فهو سيد المتوكلين، ومع ذلك فقد كان يعمل بجميع الأسباب النافعة ويحض عليها.

فالتوكل هو: الثقة بالله. والاعتماد على قوته وحوله في تيسير الأمور التي يباشرها العبد. والالتجاء إلى الله في حصولها. وطمأنينة القلب فيكون المتوكل يعمل بجد واجتهاد، مطمئنا بالله واثقا به لا يخاف سواه، ولا يرجو غيره؛ لا يملكه اليأس، ولا يساوره القنوط، غير هياب ولا وجل ولا متردد لأنه يعلم أن الأمور بيد الله، وأن نواصي العباد وأزمَّة أمورهم تحت تدبيره ومشيئته فإنه القوي العزيز.

بهذا التوكل نال المسلمون الأولون العز والشرف والسلطان وصلاح الأحوال، ولم يكن زادهم في مضيهم في سبيلهم إلا قوة التوكل على الله. فهذه حال المسلمين، لا الخور والمهانة والتواكل والتخاذل والإخلاد إلى البطالة، فإنه ينافي التوكل كل المنافاة، كحال كثير من الناس في هذه الأوقات؛ يرون عدوهم يحاربهم وهم ساكتون لا يدفعونه بوسيلة من الوسائل، ولا يقاومونه فتكون النتيجة ضياع استقلالهم، وذهاب ملكهم وأموالهم، وحلول المصائب المتنوعة عليهم من كل جانب، ويزعمون أنهم متوكلون! كلا والله.

ومن أعظم وسائل الجهاد في هذه الأوقات عقد المعاهدات بين الحكومات الإسلامية، المحتوية على كمال الصداقة. وعدم الاعتداء. واحتفاظ كل حكومة بشخصيتها الدولية، وإدارتها داخلا وخارجا، والتكافل بينها والتضامن. وأن يكونوا يدا واحدة على من تعدى عليهم أو على حقوقهم. وتسهيل الأمور الاقتصادية فيما بينهم طلبا لمصلحة الكل، وتقريبا

لقلوبهم. وأن يعملوا لهذه الأسس والأصول أعمالها اللائقة بها، والمناسبة لها، ويسعوا أحث السعي لتحقيقه وإزالة العقبات الحائلة دونه.

وهذه وإن كانت في بادئ الرأي صعبة فإنها يسيرة بتيسير الله والتوكل عليه.

واليوم، وإن كان المسلمون مصابين بضعف شديد، والأعداء يتربصون بهم الدوائر - هذه الحالة أوجدت من بينهم أناسا ضعيفي الإيمان ضعيفي الرأي والقوة، يتشاءمون أن الأمل في رفعة الإسلام قد ضاع، وأن المسلمين إلى ذهاب واضمحلال، ولقد غلطوا في هذا أعظم غلط فإن هذا الضعف عارض، له أسباب، وبالسعي في زوال أسبابه تعود صحة الإسلام كما كانت، كما تعود إليه قوته التي فقدها منذ أجيال.

ما ضعف المسلمون إلا لأنهم خالفوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ وتنكبوا السنن الكونية التي جعلها الله مادة حياة الأمم ورقيها، فإذا رجعوا إلى ما مهده لهم دينهم فإنهم لا بد أن يصلوا إلى الغاية، كلها أو بعضها.

وهذا المذهب المهين، وهو التشاؤم والكسل، لا يعرفه الإسلام، ولا يرتضيه، بل يحذر عنه أشد تحذير، ويبين للناس أن النجاح مأمول وأن مع العسر يسرا، وأنه سيجعل الله بعد عسر يسرا، ويبين أنه لا أضر عليهم من اليأس والقنوط. فليتق هؤلاء المتشائمون ربهم، وليعلموا أن المسلمين أقرب الأمم إلى النجاح الحقيقي.

ويقابل هؤلاء طائفة يؤملون آمالا عظيمة، ويقولون ولا يفعلون، فتراهم يتحدثون بمجد الإسلام ورفعته، وأن له العاقبة الحميدة، وأن الرجوع إلى تعاليمه وهدايته هو السبب الوحيد لعلو أهله ورفعتهم، ولكن لا يقدمون لدينهم أدنى منفعة، بدنية ولا مالية، ولا يقدمون مساعدة جدية لتحقيق ما يقولون؛ فإن الأقوال لا تقوم إلا إذا قارنتها الأفعال.

ويا طوبى لطائفة هم غرة المسلمين، وهم رجال الدنيا والدين، قرنوا الأقوال والأفعال، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، وبأقوالهم وبإنهاض إخوانهم، وتبرءوا من مذهب المتشائمين

ومن أهل الأقوال دون الأفعال، فهؤلاء هم الذين يناط بهم الأمل، وتدرك المطالب العالية بمساعيهم المشكورة وأعمالهم المبرورة.

ومن أعظم أصول الجهاد والتربية الاعتناء والاهتمام التام بشبان الأمة، فإنهم محل رجائها وموضع أملها ومادة قوتها وعزتها. وبصلاح تربيتهم تصلح الأحوال كلها، فعليهم أن يعتنوا بتربيتهم العالية، وأن يبثوا فيهم روح الدين وأخلاقه الجميلة والحزم والعزم، وجميع مبادئ الرجولة. وتدريبهم على المصاعب والمشاق والصبر على الأمور النافعة والثبات عليها، وتحذيرهم من الجبن والخور والسير وراء المادة والطمع، والانطلاق في المجون والهزل والدعة؛ فإن ذلك مدعاة للتأخر العظيم، وشباب الحاضر هم رجال المستقبل؛ وبهم تعقد الآمال، وتدرك الأمور المهمة، فاجتهدوا أن يكونوا في خصال الخير والفضائل المثل الأعلى، وبأوصاف الحزم والمروءة والكمال القدوة المثلى.

ومن أهم أمور الجهاد وخصوصا في هذه الأوقات التعاون بين المسلمين في جميع شئونهم الدينية، والسياسية، والاقتصادية، واتصال بعضهم ببعض في تحقيق ذلك، لأن عددهم كثير وأعداؤهم جادون في الحيلولة بينهم في هذه الأمور، وقد تفننوا في تفريقهم وأقاموا الحواجز والسدود في اتصال بعضهم ببعض، حتى أوهنوا قواهم وساءت حالهم وهم مجدون في هذا الأمر.

فمن أكبر الجهاد السعي في الأسباب التي بها يتعارف المسلمون ويتفاهمون، حتى يعرفوا كيف يتعاونون على الحصول على حقوقهم. ودفع المعتدين عنهم بكل وسيلة؛ ولا ينبغي إذا رأوا أنهم لا يدركون كل ما يريدون أن يضعفوا عن بعض ما ينفعهم ويحصل به الدفاع؛ فمن جد واجتهد واستعان بالله فلا بد له من النجاح.

ومن أهم الجهاد السعي في إصلاح التعليم.

وأن تكون المدارس يعلم فيها الأهم فالأهم من العلوم النافعة للدنيا والدين. وأن يكون الدين هو الأصل الأعظم فيها والأساس الأقوم. وأن يكون غيره وسيلة وتبعا له. وأن يكون

الغرض الوحيد من الناجحين فيها المتخرجين أن يكونوا صالحين في أنفسهم، مصلحين لغيرهم، متربين بالأخلاق النافعة، مهتمين بتربية الأمة؛ فإن أكثر المدارس الآن إنما هي بالعكس من هذا الأمر: الفنون الدنيوية هي الأصل، وعلوم الدين يجعل لها جزء ضعيف من التعليم، ولا يعتنى بأخلاق التلاميذ وآدابهم، وإنما الغرض منها المادة، وأن يخرج منها تلاميذ يصلحون للوظائف الدنيوية المادية البحتة، وهذا أكبر نقص، وأكبر الدواعي للضعف والانحلال.

ولا شك أن السعي في إصلاح التعليم من أهم الأمور، وبه ترتفع الأمة الإسلامية وتنتفع بعلمائها وعلومها، فالتعاليم النافعة والتربية الصالحة تقود المسلمين إلى كل خير وفلاح، وتكون العلوم مقصودا بها حصول المنافع والصلاح والإصلاح.

ومن أهم أمور الجهاد، بل هو أصله وقاعدته أنه كما يلزم الاستعداد بالحصون المنيعة والسلاح القوي والجيوش العاملة والأهب الوافرة، فينبغي أن تولى الأكفاء من ذوي الرأي والحكمة والخبرة والتدبير والحزم والحذق. وأن يكونوا أهل دين وأصل راسخ؛ يقومون على شئون المملكة، يوطئون بساط الأمن وطرق الراحة، ويرفعون بناء الملك على طريق العدل، ويوقفون الرعية على حدود الشريعة، ويراقبون مع ذلك روابط المملكة مع سائر الممالك الأجنبية ليحفظوا المنزلة التي تليق بها بالمعاهدات السلمية والاقتصادية وغيرها.

ومن أكبر الخيانات تولية غير أهل الحمية الناصحين، أو غير الأكفاء الخبيرين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. وأعظم الأمانات أمانة الولايات كلها، صغيرها وكبيرها.

والحذر من تولية الأجانب، فإنهم إذا اؤتمنوا خانوا وإذا عزوا أهانوا، يقابلون الإحسان بضده ويتحينون الفرص ويكونون أعوانا لأبناء قومهم عند أول حادث: ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وأهم صفات قواد المسلمين الاقتداء بنبيهم ﷺ والاهتداء بسنته وهديه في الجد الكامل لتقوية الإسلام والمسلمين وتكوين الأمة، وتربية أخلاقهم وأن يكون على جانب من العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومعرفة بتاريخ الإسلام ورجاله، ومعرفة الأسباب المضعفة للأمة والسعي في إزالتها وتحقيقها حسب الإمكان، والسعي في طرق الإصلاح كلها.

وأن يكون ذا قوة وأمل ورجاء واسع، لا يملكه اليأس ولا يتطرقه الفتور، وأن يتصل بأفراد المسلمين، وجميع طبقاتهم اتصالا وثيقا، ويتعرف شئونهم ويسأل عن أحوالهم ويأخذ بآرائهم الصائبة، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، وأن يكون ذا فكر ثاقب وسياسة تامة، وانتهاز للفرص النافعة، وألا يزال نصب عينيه نفع المسلمين وإصلاح دينهم ودنياهم، ودفع الشر عنهم بكل طريق؛ وأن يكون خاليا من الطمع والجشع، موصوفا بالكرم والجود في محله، في إعلاء كلمة الحق ورفعة الإسلام، وأن يكون حسن العلاقات مع جميع العاملين من المسلمين في أنحاء العالم، يبدي لهم وده، ويستشيرهم ويأخذ بالناضج من آرائهم.

وأن يكون بصيرا بسياسات الأجانب، عارفا لحقوقهم آخذا الحذر من مكرهم وخداعهم، يعاملهم لمصلحة المسلمين، ويأخذ حذره منهم خوف الضرر. وأن يكون في ذلك كله مخلصا لله، مستعينا به، متوكلا عليه.

ومن أعظم وأجل الجهاد في سبيل الله الدعوة إلى الدين والإسلام، بشرح محاسنه وإظهار جماله، في عقائده، وأخلاقه، وآدابه، وتعاليمه العالية الراقية؛ فإن في ذلك قوة معنوية للمسلمين، فإنهم كلما فهموا دينهم وعرفوا ما يحتوي عليه من المحاسن التي تفوق الحد والإحصاء، ازداد إيمانهم وقوي يقينهم واندفعت عنهم شبه الملحدين، وعظم تمسكهم التام به، وعلموا أن السعادة والفوز منوط بإرشاداته وهدايته، وكان ذلك أيضا جهادا للأعداء من جهتين:

إحداهما: أن المنصف منهم أو من لم يملكه التعصب الشديد إذا أبصر حقائق الدين وهدايته، التي فاقت كل هداية، وصلاحه وإصلاحه للبشر كان من أكبر الدواعي لدخوله به إذا لم يحصل له موانع قوية.

الثانية: أن في ذلك إقامة الحجة على المعاندين من الأجانب وعلى الملحدين، الذين قلدوهم وخضعوا لهم، وفي ذلك من كف شرهم كله أو بعضه من المصالح ما لا يعد ولا يحصى.

فأكبر الجهاد الجهاد بالدين وهو أعظم سلاح للمسلمين، وأكبر جيش، إليه يلجأون، وبه يعتصمون، تبين أصوله الكلية ومصالحه العامة، وأنه يدعو إلى كل خير وصلاح وسعادة في المعاش والمعاد، وفي الظاهر والباطن، ويحث على إقامة العدل والقسط بكل طريق، ينهى عن كل شر وضرر وفساد، ويدعو إلى المقاصد النافعة، وإلى جميع وسائلها، وأن جميع أصوله وفروعه في غاية الإحكام والحسن. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ومن تتبع أصول الدين وفروعه وآدابه وأخلاقه وتعاليمه وإرشاداته العالية وجدها تدعو إلى كل خير وصلاح وفلاح، وعرف أنه لا يمكن الصلاح والإصلاح البشري إلا بالدين، وصلى الله على محمد وسلم.

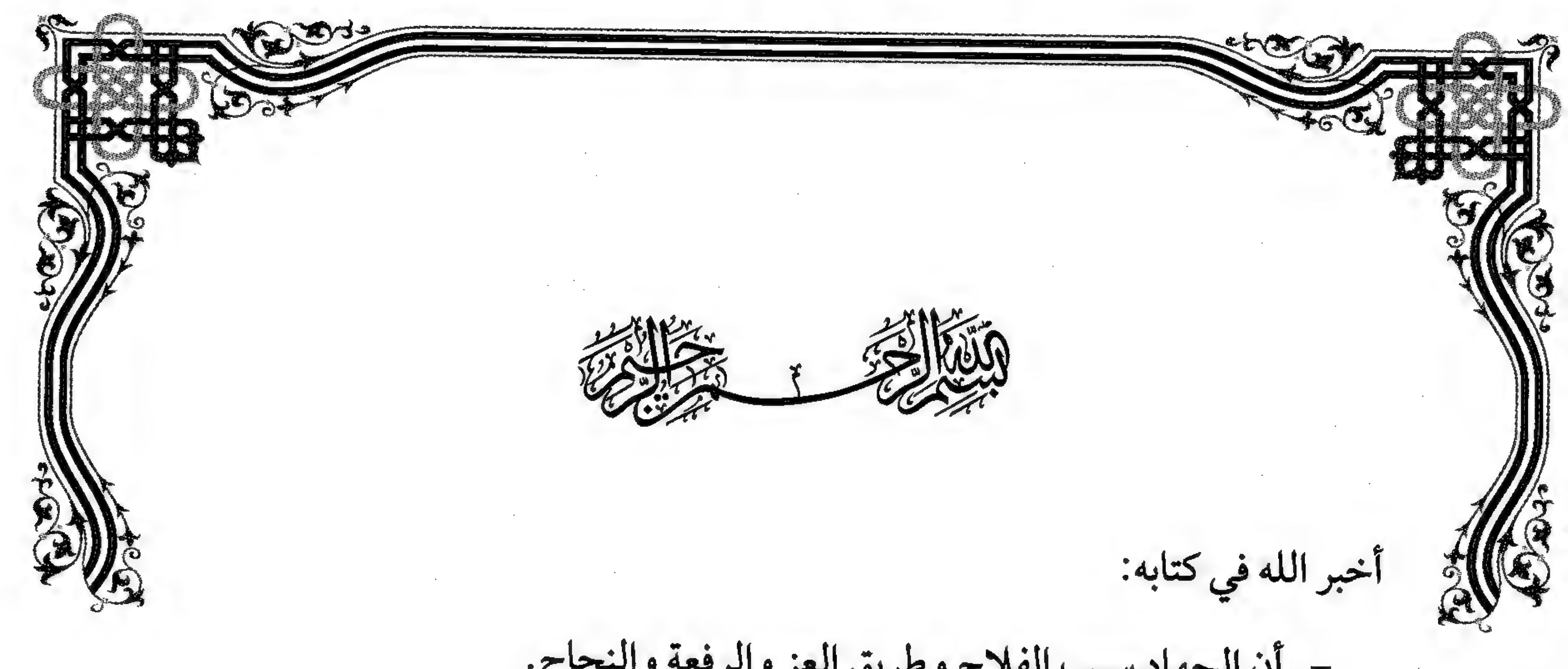
قال ذلك وكتبه عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

مجموع مؤلفات ابن سعدي (٧٥)

فضل الجهاد في سبيل الله

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
رحمه الله

يطبع لأول مرة



أخبر الله في كتابه:

- أن الجهاد سبب الفلاح وطريق العز والرفعة والنجاح.
- وأنه أفضل التجارات الرابحة.
- وأن أهله أرفع الخلق درجات في الدنيا والآخرة.

وأخبر النبي ﷺ:

- أن بالجهاد تتم النعم الباطنة والظاهرة وهو ذروة سنام الدين[1]، وأحب الأعمال إلى رب العالمين[2].
- وأن الروحة والغدوة، واليوم والليلة في الجهاد، ومصابرة الأعداء خير من الدنيا وما عليها[3].
- وأنه خير من استيعاب الليل والنهار بالصيام والقيام وأنواع التعبد.
- وأن المجاهد المصابر إذا مات وجبت له الجنة[4]، وأجري له عمله الذي كان يعمله

(١) كما في الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣).
(٢) كما في البخاري (٥٠٤)، ومسلم (٨٥).
(٣) كما في البخاري (٢٦٤١)، ومسلم (١٨٨١).
(٤) كما في مسند أحمد (٩٧٦٢) وغيره.

في الدنيا إلى يوم القيامة، وأمن من فتان القبر وعذابه[1].

- وأن ذنوبه كبارها وصغارها يغفرها الله ما عدا ديون العباد[2].
- وأن في الجنة مائة درجة؛ ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله[3].
- وما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار[4].
- ومن مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق[5]؛ أي: ومن غزا في سبيل الله أو استعد للغزو عند الحاجة إليه فقد كمل إيمانه وبرئ من النفاق.

وفضائل الجهاد لا تعد ولا تحصى، وثمراته العاجلة والآجلة لا تحد ولا تستقصى، وكيف لا يكون الجهاد في سبيل الله يحتوي على هذه الفضائل الجليلة، وفيه عز الدنيا وسعادتها، وفيه سعادة الآخرة وكرامتها؛ مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟

كيف لا يكون بهذه المثابة وفيه عز الإسلام والمسلمين، وفيه إقامة شعائر وشرائع الدين، وفيه قمع الطاغين والمعتدين؟

- فالمجاهد قد استعد وتصدى أن يكون من أنصار الله الذابِّين عن دين الله.
- والمجاهد قد سلك كل سبيل يوصله إلى الله.
- والمجاهد قد شارك المصلين في صلاتهم، والمتعبدين في عباداتهم، والعاملين لكل خير في أعمالهم؛ لأنه لا سبيل لقيام هذه الأمور إلا بالجهاد، والذبّ عن الأوطان

---

(١) الترمذي (١٦٦٥)، والطبراني (٦٠٧٧).

(٢) ابن ماجه (٢٧٧٨)، الطبراني (٧٧١٦).

(٣) البخاري (٢٦٣٧).

(٤) البخاري (٨٦٥).

(٥) مسلم (١٩١٠).

والأديان، فلولا المجاهدون لهدمت مواضع العبادات، ولولا دفع الله بهم لتصدع شمل الدين، واستولت الأعداء من الكافرين الطاغين.

فالجهاد سور الدين وحصنه وبه يتم قيامه وأمنه، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

فيا أنصار الدين، ويا حماة المسلمين، ويا خيرة المجاهدين هذه أيامكم قد حضرت، وهذه أمم الكفر والطغيان قد تجمعت على حربكم، وتحزبت؛ فقد أتوكم في عقر داركم غرضهم القضاء التام على دينكم وأقطاركم، فانفروا لجهادهم خفافًا وثقالًا، ﴿وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

ألم تروا كيف جعل الله الجهاد دار ربح التجارات، وطريقا إلى المساكن الطيبة في جنات النعيم، ووعدهم[1] بالنصر منه والفتح القريب، والله تعالى لا يخلف الميعاد؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

قوموا بالجهاد مخلصين لله قاصدين أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، حافظوا على الوحدة الدينية والأخوة الإيمانية والحماية العربية، ولتكن كلمتكم واحدة وأغراضكم متحدة، ومقاصدكم متفقة وسعيكم نحوها واحدا؛ فإن الاجتماع أساس القوة المعنوية ومتى اجتمع المسلمون واتفقوا وصابروا أعداءهم وثبتوا على جهادهم ولم يتفرقوا، وعملوا الأسباب النافعة، واستعانوا بربهم؛ متى كانوا على هذا الوصف

---

(١) أي المجاهدين.

فليبشروا بالعز والرفعة، والكرامة؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

إخواني، اعلموا أن الجهاد يتطور بتطور الأحوال، فكل سعي وكل عمل فيه صلاح المسلمين وفيه نفعهم وفيه عزهم، فهو من الجهاد، وكل سعي وعمل فيه دفع الضرر عن المسلمين وإيقاع الضرر بالأعداء الكافرين، فهو من الجهاد، وكل مساعدة للمجاهدين مالية فإنها من الجهاد؛ فمن جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا[1]، وإن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة؛ صانعه يحتسب فيه الأجر، والذي يساعد به المجاهدين، والذي يباشر به الجهاد[2].

ومن أعظم الجهاد وأنفعه:

- السعي في تسهيل اقتصاديات المسلمين والتوسعة عليهم في غذائياتهم الضرورية والكمالية، وتوسيع مكاسبهم وتجاراتهم وأعمالهم وعمالهم.
- كما أن من أنفع الجهاد وأعظمه مقاطعة الأعداء في الصادرات والواردات؛ فلا يسمح لوارداتهم وتجاراتهم، ولا تفتح لها أسواق المسلمين، ولا يمكنون من جلبها على بلاد المسلمين، بل يستغني المسلمون بما عندهم من منتوج بلادهم، ويوردون ما يحتاجونه من البلاد المسالمة.

وكذلك لا تصدر لهم منتوجات بلاد المسلمين ولا بضائعهم وخصوصًا ما فيه تقوية للأعداء؛ كالبترول فإنه يتعين منع تصديره إليهم، وكيف يصدر لهم من بلاد المسلمين ما به

(١) البخاري (٢٦٨٨)، مسلم (١٨٩٥).

(٢) أبو داود (٢٥١٣)، النسائي (٣٥٧٨).

يستعينون على قتالهم؟! فإن تصديره إلى المعتدين ضرره كبير، ومنعه من أكبر الجهاد، ونفعه عظيم، فجهاد الأعداء بالمقاطعة التامة لهم من أعظم الجهاد في هذه الأوقات، ولملوك المسلمين ورؤسائهم - ولله الحمد - من هذا الحظ الأوفر والنصيب الأكمل، وقد نفع الله بهذه المقاطعة لهم نفعًا كبيرا أوهنت الأعداء، وأجحفت باقتصادياتهم وصاروا من هذه الجهة محصورين مضطرين إلى إعطاء المسلمين كثيرًا من الحقوق التي لولا هذه المقاطعة لمنعوها، وحفظ الله بذلك ما حفظ من عز المسلمين وكرامتهم[1].

ومن أعظم الخيانات وأبلغ المعاداة للمسلمين تهريب أولي الجشع والطمع الذين لا يهمهم الدين، ولا عز المسلمين ولا تقوية الأعداء - نقودَ البلاد أو بضائعها أو منتوجاتها إلى بلاد الأعداء، وهذا من أكبر الجنايات، وأفظع الخيانات، وصاحب هذا العمل ليس له عند الله نصيب، ولا خَلاق[2]، فواجب الولاة الضرب على أيدي هؤلاء الخونة، والتنكيل بهم؛ فإنهم ساعدوا أعداء الإسلام مساعدة ظاهرة، وسعوا في إضرار المسلمين ونفع أعدائهم الكافرين، فهؤلاء مفسدون في الأرض، يستحقون أن ينزل بهم أعظم العقوبات.

والمقصود أن مقاطعة الأعداء بالاقتصاديات والتجارات والأعمال وغيرها ركن عظيم من أركان الجهاد، وله النفع الأكبر وهو جهاد سلمي، وجهاد حربي.

وفق الله المسلمين لكل خير وجمع كلمتهم، وألَّف بين قلوبهم، وجعلهم إخوانًا متحابين متناصرين، وأيدهم بعونه وتوفيقه، وساعدهم بمدده وتسديده؛ إنه جواد كريم رءوف رحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال ذلك وكتبه عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي.

---

(١) كما نفع الله تعالى المسلمين بانتصار المصريين على اليهود في حرب أكتوبر المجيدة بمساعدة الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله وطيب ثراه - وإخوانه من الملوك الشرفاء الذين منعوا تصدير البترول للأعداء وأمدوا الشعب المصري بكل المساعدات الممكنة.

(٢) الخَلاق: الحَظُّ والنَّصيب من الخير والصلاح.

معنى الجهاد

سؤال: نلتمس الإفادة عن تفصيل القول في معنى الجهاد في سبيل الله في هذه الأوقات.

الجواب وبالله التوفيق:

لا شك أن الجهاد في سبيل الله من أوجب الواجبات وأعلاها وهو ذروة سنام الدين ومن الأمور الضرورية لحفظ الإسلام والمسلمين، وحقيقته بذل الجهد والاجتهاد في إقامة دين الله ومقاومة أعداء الله وحفظ الدين والإسلام والمسلمين، وهذا المقصود يكون في كل وقت وزمان وحال بحسبه، تبعًا للحال والقدرة، فمنذ كان النبي ﷺ في مكة والمسلمون جهادهم في الدعوة إلى دين الله باللسان عند الإمكان والمدافعة عن أنفسهم، وقد أمروا بكف أيديهم عن أعدائهم؛ إذ الحال يقتضي ذلك فلما صارت الهجرة وكثر المسلمون واشتدت قوتهم، أذن لهم في قتال الكفار الذين يصدون عن سبيل الله بالحجة والبرهان والسيف والسنان، وهذا أمر معروف لا يحتاج إلى بيان.

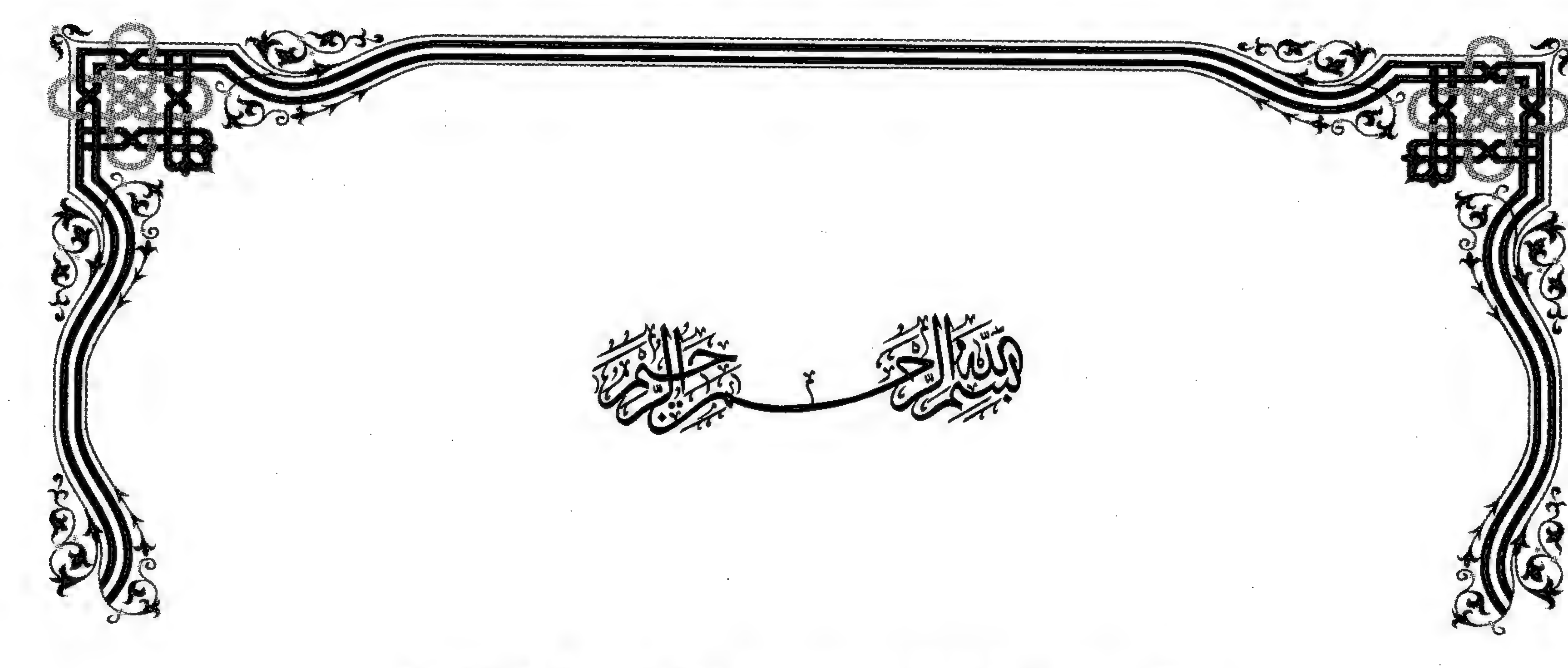
أما في هذه الأوقات التي اشتدت فيها وطأة الأعداء وبهرت قوتهم وتنوع استعدادهم وارتقت مخترعاتهم والمسلمون لم يجاروهم في شيء من هذه الأمور، بل لم يزل التفرق والتدهور ينزل بهم عن مقاومة أعدائهم شيئًا فشيئًا حتى ضعف الأمل في وجود قوة كافية يضارعون بها ولو بعض الأمم الراقية، لهذا تعين على ولاة المسلمين أن يتلافوا ما أمكن تلافيه، ويتداركوا ما قدروا على تداركه من كل سبب يعين على المدافعة عن المسلمين ودينهم وحقوقهم بحسب القدرة، قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

ومن أعظم الأسباب اتفاق المسلمين على طلب حقوقهم واحترام دينهم وعقد المحالفات التي يندفع بها ضرر الأعداء وكذلك السعي الحثيث في تعلم الفنون الحربية والنظامات

العسكرية واجتلاب الأسلحة العصرية التي تحفظ بها الأمور الداخلية، ويدافع بها كل معتد على المستضعفين، وكل هذا منوط بالقدرة، وما لا يدرك جميعه لا يفوت ما يستطاع منه، وإن الإخلاد واليأس التام وعدم السعي في كل وسيلة يستدفع بها الأعداء لهو الهلاك الدائم والعذاب الملازم.

وجوب التعاون بين المسلمين

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
رحمه الله



وجوب التعاون على جميع المنافع الكلية وخصوصًا الجهاد

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]. فالبر اسم جامع لكل ما أمر الله به ورسوله، وأحبه الله ورسوله؛ من التحقق بعقائد الدين وأخلاقه، والعمل بآدابه وأقواله وأفعاله، من الشرائع الظاهرة والباطنة، ومن القيام بحقوق الله وحقوق عباده، ومن التعاون على الجهاد في سبيله إجمالا وتفصيلا، فكل هذا داخل في التعاون على البر.

ومن التعاون على التقوى التعاون على اجتناب وتوقي ما نهى الله ورسوله عنه من الفواحش الظاهرة والباطنة، ومن الإثم والبغي بغير الحق، والقول على الله بلا علم، بل على ترك الكفر والفسوق والعصيان. ويدخل في ذلك التعاون على جميع الوسائل والأسباب التي يتقى بها ضرر الأعداء؛ من الاستعداد بالأسلحة المناسبة للوقت، وتعلم الصنائع المعينة على ذلك، والسعي في تكميل القوة المعنوية والمادية المعينة على ذلك. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]. فيدخل في هذا الاستعداد بكل المستطاع من قوة عقلية وسياسية وصناعية، وتعلم الآداب العسكرية، والنظام النافع، والرمي والركوب، والتحرز من الأعداء بكل وسيلة يدركها المسلمون، واتخاذ الحصون الواقية.

وقد أمر الله ورسوله بجهاد الكفار المعتدين - في آيات كثيرة وأحاديث متنوعة - بالنفس والمال والرأي، وفي حال الاجتماع، وفي كل الأحوال. والأمر بذلك أمر به وبكل أمر يعين عليه ويقويه ويقومه، وأخبر بما للمجاهدين في سبيله من الأجر والثواب العاجل والآجل، وما يدفع الله به من أصناف الشرور، وما يحصل به من العز والتمكين والرفعة، وما في تركه والزهد فيه من الذل والضرر العظيم؛ وتوعد الناكلين عنه بالخذلان والسقوط الحسي والمعنوي؛ وبين لهم الطرق التي يسلكونها في تقوية معنويتهم، فإنه حثهم على التآلف والاجتماع، ونهاهم عن التباغض والتعادي والافتراق. وذلك أن حقيقة الجهاد هو الجد والاجتهاد في كل أمر يقوي المسلمين، ويصلحهم ويلم شعثهم، ويضم متفرقهم، ويدفع عنهم عدوان الأعداء أو يخففه بكل طريق ووسيلة.

أقسام الجهاد وأنواعه

الجهاد نوعان:

- جهاد يقصد به صلاح المسلمين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم، وجميع شئونهم الدينية والدنيوية، وفي تربيتهم العلمية والعملية، وهذا النوع هو أصل الجهاد وقوامه، وعليه يتأسس.
- **النوع الثاني**: وهو جهاد يقصد به دفع المعتدين على الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين والملحدين، وجميع أعداء الدين ومقاومتهم. وهذا نوعان: جهاد بالحجة والبرهان واللسان، وجهاد بالسلاح المناسب في كل وقت وزمان.

هذا مجمل أنواعه على وجه التأصيل أما التفصيل فنقول:

الجهاد المتعلق بالمسلمين بقيام الألفة واتفاق الكلمة

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٣]، وقال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠]. وقال ﷺ في الحديث الصحيح: «**وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذبه ولا يخذله**»[١]، وقال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد**»[٢]. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على هذا الأصل العظيم، فإن من أعظم الجهاد السعي في تحقيق هذا الأصل في تأليف قلوب المسلمين، واجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية، في جمع أفرادهم وشعوبهم، وفي ربط الصداقة والمعاهدات بين حكوماتهم بكل وسيلة.

ومن أنفع الأمور أن يتصدى لهذا الأمر جميع طبقات المسلمين من العلماء والأمراء والكبراء وسائر الأفراد منهم، كل أحد يجد بحسب إمكانه. فمتى كانت غاية المسلمين واحدة وهي (الوحدة الإسلامية) وسلكوا السبل الموصلة إليها، ودافعوا جميع الموانع المعوقة والحائلة دونها، فلا بد أن يصلوا إلى النجاح والفلاح.

(١) مسلم (٢٥٦٤).

(٢) مسلم (٢٥٨٦).

ومما يعين على هذا الإخلاص وحسن القصد فيما عند الله من الخير والثواب، وأن يعلموا أن كل سعي في هذا الأمر من الجهاد، وفي سبيل الله، ومما يقرب إليه وإلى ثوابه. وأن المصلحة في ذلك مشتركة، فالمصالح الكليات العامة تقدم على المصالح الجزئيات الخاصة. ولهذا يتعين عليهم ألا يجعلوا الاختلاف في المذاهب أو الأنساب أو الأوطان داعيا إلى التفرق والاختلاف؛ فالرب واحد، والدين واحد، والطريق لإصلاح الدين وصلاح جميع طبقات المسلمين واحد، والرسول المرشد للعباد واحد، فلهذا يتعين أن تكون الغاية المقصودة واحدة.

فالواجب على جميع المسلمين السعي التام لتحقيق الأخوة الدينية والرابطة الإيمانية، فمتى علموا وتحققوا ذلك، وسعى كل منهم بحسب مقدوره، واستعانوا بالله وتوكلوا عليه، وسلكوا طرق المنافع وأبوابها، ولم يخلدوا إلى الكسل والخور واليأس، نجحوا وأفلحوا؛ فإن الكسل والخور واليأس من أعظم موانع الخير، فإنها منافية للدين وللجهاد الحقيقي، فمن استولى عليه الكسل والخور لم ينهض لمكرمة، ومن أيس من تحصيل مطالبه انشلت حركاته ومات وهو حي. وهل أخر المسلمين في هذه الأوقات إلا تفرقهم، والتعادي بينهم، وخورهم، وتقاعدهم عن مصالحهم والقيام بشئونهم، حتى صاروا عالة على غيرهم. ودينهم قد حذرهم من هذا أشد التحذير، وحثهم على أن يكونوا في مقدمة الأمم في القوة والشجاعة، والصبر والمصابرة، والمثابرة على الخير، والطمع في إدراكه، وقوة الثقة بالله في تحقيق مطالبهم، ودفع مضارهم، وكمال التصديق بوعد الله لهم بالنصر إذا نصروه، وبالنجاح إذا سلكوا سبله، وبالإعانة والتسديد إذا كمل اعتمادهم عليه: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

الفرق العظيم بين رجال الدين وبين المخذلين المرجفين

قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. هذا نعت رجال الدين: الصدق الكامل فيما عاهدوا الله عليه؛ من القيام بدينه وإنهاض أهله، ونصره بكل ما يقدرون عليه؛ من مقال ومال وبدن وظاهر وباطن. ومن وصفهم الثبات التام على الشجاعة والصبر، والمضي في كل وسيلة بها نصر الدين. فمنهم الباذل لنفسه، ومنهم الباذل لماله، ومنهم الحاث لإخوانه على القيام بكل مستطاع من شئون الدين، والساعي بينهم بالنصيحة والتأليف والاجتماع، ومنهم المنشط بقوله وجاهه وحاله، ومنهم الفذ الجامع لذلك كله، فهؤلاء رجال الدين وخيار المسلمين، بهم قام الدين وبه قاموا، وهم الجبال الرواسي في إيمانهم وصبرهم وجهادهم، لا يردهم عن هذا المطلب راد، ولا يصدهم عن سلوك سبيله صاد، تتوالى عليهم المصائب والكوارث، فيتلقونها بقلوب ثابتة، وصدور منشرحة لعلمهم بما يترتب على ذلك من الخير والثواب والفلاح والنجاح.

وأما الآخرون، وهم الجبناء المرجفون، فبعكس حال هؤلاء؛ لا ترى منهم إعانة قولية ولا فعلية ولا جدية، قد ملكهم البخل والجبن واليأس، وفيهم الساعي بين المسلمين بإيقاع العداوات والفتن والتفريق. فهذه الطائفة أضر على المسلمين من العدو الظاهر المحارب، بل هم سلاح الأعداء على الحقيقة، قال تعالى فيهم وفي أشباههم: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٧]. أي: يستجيبون لهم تغريرا أو اغترارا. فعلى المسلمين الحذر من هؤلاء المفسدين، فإن ضررهم

كبير وشرهم خطير، وما أكثرهم في هذه الأوقات، التي اضطر فيها المسلمون إلى التعلق بكل صلاح وإصلاح، وإلى من يعينهم وينشطهم.

فهؤلاء المفسدون يثبطون عن الجهاد في سبيل الله ومقاومة الأعداء، ويخدرون أعصاب المسلمين ويؤيسونهم من مجاراة الأمم في أسباب الرقي، ويوهموهم أن كل عمل يعملونه لا يفيد شيئا ولا يجدي نفعا. فهؤلاء لا خير فيهم بوجه من الوجوه؛ لا دين صحيح، ولا شهامة دينية، ولا قومية ولا وطنية، لا دين صحيح، ولا عقل رجيح. فليعلم هؤلاء ومن يستجيب لهم أن الله لم يكلف الناس إلا وسعهم وطاقتهم، وأن للمؤمنين برسول الله أسوة حسنة.

فقد كان له ﷺ حالان في الدعوة والجهاد: أمر في كل حال بما يليق بها ويناسبها؛ أمر في حال ضعف المسلمين وتسلط الأعداء بالمدافعة، والاقتصار على الدعوة إلى الدين، وأن يكف عن قتال اليد، لما في ذلك من الضرر المربي على المصلحة. وأمر في الحالة الأخرى أن يستدفع شرور الأعداء بكل أنواع القوة، وأن يسالم من تقتضي المصلحة مسالمته، ويقاوم المعتدين الذين تقتضي المصلحة، بل الضرورة، محاربتهم. فعلى المسلمين الاقتداء بنبيهم في ذلك، وهو عين الصلاح والفلاح.



وجوب المشاورة في كل الأمور الكلية وفوائدها

قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال في وصف المؤمنين: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى: ٣٨]. وهذا يشمل جميع الأمور التي يحتاجونها، وتتعلق بها منافعهم الدينية والدنيوية. فعلى المسلمين أن يتشاوروا في تقرير المصالح والمنافع، وفي كيفية الوصول إليها، وفي تقرير الخطط التي يتعين سلوكها في صلاح أحوالهم الداخلية، وإصلاحها بحسب الإمكان، وفي الحذر من أعدائهم، ومقاومتهم، وسلوك الطرق السلمية أو الحربية بحسب ما تقتضيه المصلحة، وبحسب الأحوال والظروف الحاضرة، وأن يعدوا لكل أمر عدته، وتجتمع قواهم كلها وعزائمهم على ما اتفقت آراؤهم على نفعه ومصلحته، فإن المشاورة من أعظم الأصول والسياسات الدينية.

وفيها من **الفوائد**: امتثال أمر الله، وسلوك الطريق التي يحبها الله حيث نعت المؤمنين بها، وفيها الاقتداء برسول الله ﷺ فإنه مع كمال عقله ورأيه وتأييده بالوحي كان يشاور أصحابه في الأمور المهمة.

ومن فوائدها: أنها من أكبر الأسباب لإصابة الصواب، وسلوك الوسائل النافعة لاجتماع آراء الأمة وأفكارها، وتنقيحها وتصفيتها. مع أن الله يعينهم في هذه الحال التي فعلوا فيها ما أمرهم به ويسددهم ويؤيدهم.

ومنها: أن المشاورة تتنور فيها الأفكار، وتترقى المعارف والعقول، فإنها تمرين للقوة العقلية وتربية لها، وتلقيح للأذهان، واقتباس لبعضهم من آراء بعض.

ومنها: أنه قد يكون الصواب من مجموع رأيين أو ثلاثة أو أكثر، وإذا تقابل الصواب والخطأ ووزنتها العقول السليمة بالموازين العقلية التي لا تركن إلا إلى الحقائق الصحيحة ظهر الفرق بين الأمرين، ولا سبيل لذلك إلا بالمشاورة.

ومنها: أن المشاورة من أسباب الألفة والمحبة بين المؤمنين، وشعور جميعهم أن مصالحهم واحدة مشتركة، وتنبيه للأفكار والآراء على النافع والأنفع، وعلى الصالح والأصلح؛ فإن ترك المشاورة يخمد الأفكار ويضيع الفرص التي يضر تضييعها. ففتح باب المشاورة عون كبير في إصلاح الأمور وإكمالها وتجنب المضار.

وقد اتفق العقلاء على أن الطريق الوحيد لتحقيق الصلاح الديني والدنيوي هو طريق الشورى؛ والله قد أرشد المسلمين إلى هذا الطريق، وأن يسعوا في ترقية أحوالهم بها، وعلمهم كيفية الوصول إلى كل أمر نافع، فإذا تعينت المصلحة في أمر سلكوه، وإذا ظهرت المضرة في طريق تركوه، وإذا تشابهت عليهم المسالك وتقابلت المنافع والمضار رجحوا ما ترجحت مصلحته من فعل وترك، فلا يدعون مصلحة داخلية ولا خارجية إلا بحثوا فيها وتشاوروا عليها وعملوا على ما اتفقت عليه آراؤهم، وبذلك يحمدون ويشكرون ويفلحون.

وجوب الاستعداد للأعداء بكل قوة وأخذ الحذر منهم

قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ [النساء: ٧١]. تضمنت هاتان الآيتان جميع ما يلزم المسلمين في مدافعة الأعداء ومقاومتهم، وذلك بالاستعداد بالمستطاع من قوة عقلية وسياسية ومعنوية ومادية، فدخل في ذلك تعلم أنواع الفنون الحربية، والنظام السياسي والعسكري، والاستعداد بالقواد المحنكين المدربين، وصناعة الأسلحة، وتعلم الرمي والركوب بما يناسب الزمان، وبأخذ الحذر من الأعداء بالتحرز والتحصن، وأخذ الوقاية من شرهم، ومعرفة مداخلهم ومخارجهم، ومقاصدهم وسياساتهم، وعمل الأسباب والاحتياطات للوقاية من شرهم وضررهم، وأن نكون منهم دائما على حذر في وقت السلم فضلا عن وقت الحرب، فإن جهل المسلمين بشيء من المذكورات نقص كبير فيهم، وقوة لعدوهم، وإغراء له بهم. فعلى المسلمين الأخذ بكل معنى من معاني الحذر، وبكل وسيلة من وسائل القوة والاستعداد، ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [النساء: ٨٤]. فإن جهل المسلمين بشيء من ذلك وكسلهم عن العمل ضرره كبير، وبذلك يكونون عالة على غيرهم، وهذا عنوان الذل؛ فإن لله سننا كونية جعلها وسائل للعز والرقي، من سلكها نجح، ودين الإسلام يحث عليها غاية الحث.

الوجوب يتعلق بقدر القدرة والاستطاعة

قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]. وقال ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»(١). فالله تعالى أمر بالجهاد بالنفس والمال، وبالأقوال والأفعال، وبالمباشرة وإعانة المباشرين، وبالدعوة والتحريض والتشجيع. وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق**»(٢). فكل من في قلبه إيمان فلا بد أن يكون له نصيب من هذا الجهاد، وكل أحد فرض عليه أن يقوم بما يستطيعه من ذلك، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها. فأهل الحل والعقد والرياسة من الملوك والأمراء والوزراء ورجال الدول الإسلامية عليهم أن يسعوا أحث السعي لتحصيل القوتين: القوة المعنوية والقوة المادية؛ وذلك بالسعي لإزالة الموانع والحواجز التي حالت بين المسلمين وبين اتفاقهم واجتماع كلمتهم، وأن يفهموا العوامل التي فرقتهم والأغراض المتباينة التي شتتتهم، وأن الأيدي الأجنبية تتوسل بذلك لتحصيل أغراضها، فمتى فهموها وعملوا على إزالتها بجد واجتهاد فلهم نصيب وافر من الجهاد في سبيل الله. وعلى أهل العلم من بيان فضل الجهاد ووجوبه، وتبيين منافعه الضرورية، وحض الناس عليه، والوعظ العام والخاص، أعظم مما على غيرهم. وعليهم أن يبينوا للناس أن جميع حركاتهم وأقوالهم وأفعالهم ونفقاتهم المقوية للدين المعينة للمسلمين في دفع اعتداء المعتدي، كل ذلك، داخل في الجهاد في سبيل الله؛ فمتى عرف المؤمنون موضوع الجهاد، وأنه اسم جامع لسلوك كل سبب ووسيلة في إعلاء كلمة الدين، وفي مقاومة الأعداء والحذر والتحرز منهم، نشطوا للقيام به وأخلصوا لله فيه، والعمل الخالص نفعه كبير، وأجره عظيم. وكذلك يجب على كل فرد من أفراد المسلمين

(١) البخاري (٧٢٨٨)، مسلم (١٣٣٧).

(٢) مسلم (١٩١٠).

أن يبدي مجهوده في نصر المسلمين بما يقدر عليه من قول وفعل ودعاية وحض لإخوانه عليه وكل أحد عليه من القيام بوظيفته الخاصة ما ليس على الآخر: فالملوك والأمراء وقواد الجيوش عليهم من الواجبات بحسب مراتبهم ومقاماتهم، والجيوش العاملة عليها النهوض بوظيفتها، والتزام القوة والشجاعة والصبر، وعلى أهل الأموال بذل ما يحتاج المسلمون إليه في المنافع الكلية، وعلى أهل الصنائع النصح والجد في تعليم الصناعات النافعة للجهاد، فمتى قام كل أحد بوظيفته لم يزالوا في رقي وصعود، في دينهم ودنياهم، وعزهم وشرفهم.

وجوب الاجتهاد في فعل الأسباب النافعة مع التوكل على الله والاستعانة به

قد أمر الله في عدة آيات بالقيام بجميع الأسباب النافعة، والسعي في كل وسيلة فيها صلاح الأحوال، كما أمر في عدة آيات بالتوكل عليه والاعتماد على حوله وقوته. فبالقيام بهذين الأصلين العظيمين تقوم الأمور كلها وتتم وتكمل. والنقص والقصور إنما يجيء من الإخلال بهما أو بأحدهما، فالتوكل الذي لا يصحبه جد واجتهاد ليس بتوكل، وإنما هو إخلاد إلى الكسل وتقاعد عن الأمور النافعة؛ كما أن العمل بالأسباب من دون اعتماد وتوكل على مسببها واستعانة به مآله الخسار والزهو والإعجاب بالنفس والخذلان. فالجمع بين التوكل على الله وبين الاجتهاد في فعل الأسباب هو الذي حث عليه الدين، وهو الذي كان عليه سيد المرسلين، وبهما يتحقق الإيمان، وتقوى دعائم الدين، وبهما تقوى معنوية المسلمين، حيث اعتمدوا على رب العباد، وأدوا ما في مقدورهم من جد واجتهاد.

معرفة أحوال الأمم ودراستها ومعرفة سياساتها داخل في الجهاد

قد علم من قواعد الدين أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وأن الوسائل لها أحكام المقاصد. ولا يخفى أنه لا يتم التحرز من أضرار الأمم الأجنبية والتوقي لشرورها إلا بالوقوف على مقاصدهم، ودراسة أحوالهم وسياساتهم، وخصوصا السياسة الموجهة منهم للمسلمين؛ فإن السياسة الدولية قد أسست على المكر والخداع، وعدم الوفاء، واستعباد الأمم الضعيفة بكل وسائل الاستعباد؛ فجهل المسلمين بها نقص كبير وضرر خطير؛ ومعرفتها والوقوف على مقاصدها وغاياتها التي ترمي إليها نفعه عظيم، وفيه دفع للشر أو تخفيفه، وبه يعرف المسلمون كيف يقابلون كل خطر. ولهذا كان من أركان السياسة والقيادة المعرفة والوقوف التام على أحوال الأعداء، فالسياسة الداخلية لا تتم إلا بإحكام السياسة الخارجية.



من الجهاد القيام بالقسط والوفاء بالعهود

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١]، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ [النحل: ٩٢]. فهذان الأصلان العظيمان وهما القيام بالقسط الذي هو العدل التام، على الأنفس والأقربين والأبعدين والأصدقاء والمعادين، والوفاء بالعهود والمعاقدات كلها من أكبر أصول الدين ومصالحه، وبها يتم الدين، ويستقيم طريق الجهاد الحقيقي، وتحصل الهداية والإعانة من الله تعالى، والنصر والمدافعة. فما ارتفع أحد إلا بالعدل والوفاء، ولا سقط أحد إلا بالظلم والجور والغدر. وبهذين الأمرين - مع بقية أصول الدين - حصل للدين الإسلامي من العز والشرف والرقي وقهر الأمم الطاغية ما لم يحصل لغيره. وبهذه الروح - روح الرحمة والعدل والوفاء - وصل الدين الإسلامي إلى مشارق الأرض ومغاربها، ودانت به الأمم المتباينة طوعا وانقيادا ورغبة، وبتركه انتقض الأمر، ولم يزل الهبوط مستمرا، إلا أنه يحصل نفحات في بعض الأوقات بها ينتعش الدين إذا تشبث المسلمون بشيء من هذه المقومات النافعة.

ولهذا تجد القوات والحضارات الهائلة، التي يزعم أهلها أنها راقية في كل أحوالها لما كانت مبنية على الظلم والجشع والطمع وعدم المبالاة في ظلم الأمم الضعيفة، وكانت إذا قطعت عهودها ونفذت معاهداتها لم تبال بعد ذلك وفت أو غدرت، وإنما تلاحظ أطماعها الخاصة وأغراضها الردية ولسان حالهم يقول: السياسة مبنية على المكر والخدع والختر والغدر. لما كانت مع قوتها الهائلة مبنية على هذه الأصول المنهارة كانت هذه المدنية المزعومة والحضارة المدعاة مهددة كل وقت بالفناء والهلاك والتدمير؛ والواقع أكبر شاهد

على ذلك؛ فلو أنها بنيت على الدين الحق والعدل واتباع الحق والوفاء بالمعاقدات ونصر المظلومين لكانت مدنية آمنة، ولكنها في الحقيقة مادية محضة، والقوة المادية إذا لم تبن على الحق فإنها منهارة لا محالة، وربما كان سلاحها الفتاك هو مادة هلاكها وعقوبتها.

والمقصود، أن المسلمين بالمعنى الحقيقي لا يغترون بقوة هؤلاء الماديين، وإنما يقومون بالعدل التام في جميع أمورهم، وبالوفاء الكامل في حق الصديق والعدو.

وهذه الأمور كلها [ضرورية في][1] إلى التوكل على الله، والاعتماد على حوله وقوته، وكمال الثقة به في تيسير الأمور وتذليل الصعاب، فيكون المتوكل يعمل بجد واجتهاد، مطمئنا بالله، واثقا بوعده وكفايته، لا يرجو غيره ولا يخاف سواه، لا يملكه اليأس ولا يساوره القنوط؛ غير هياب ولا وجل ولا متردد، لأنه يعلم أن الأمور بيد الله، وأن نواصي الخليقة في قبضته وتحت تدبيره.

بهذا التوكل التام والعمل الكامل نال المسلمون الأولون العز والشرف والسلطان وصلاح الأحوال. وهذا الذي يجب أن يكون عليه المسلمون الآن، وأن يكون العمل والتوكل نصب أعينهم، فلا يميلوا إلى التواكل والتخاذل والإخلاد إلى البطالة والكسل، فإن هذا ينافي التوكل الحقيقي غاية المنافاة؛ كحال كثير من الناس في هذه الأوقات: يشاهدون عدوهم يحاربهم، ويسلبهم حقوقهم، وهم ساكتون لا يدفعونه بوسيلة من الوسائل، ولا يبدون ما يقدرون عليه من مقاومته التي لا يعذرون عن القيام بها، فتكون النتيجة من هذا السكوت والتقاعد الضار ضياع استقلالهم، وذهاب ملكهم وأموالهم، والسيطرة على حقوقهم وحلول المصائب المتنوعة بهم من كل جانب، ويقولون: نحن متوكلون. كلا والله، بل هم كسالى متواكلون، قد استولى عليهم الخور، وأعقبه الذل واستعباد الأجانب لهم.

(١) في المطبوع: (مضطرة إلى). ولعل المثبت أنسب للسياق.

ربط الصداقات وعقد المعاهدات بين الحكومات الإسلامية من الجهاد في سبيل الله

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠]. فمن أهم مسائل الجهاد في هذه الأوقات عقد المعاهدات، وتوثيق المودة والصداقة بين الحكومات الإسلامية، مع احتفاظ كل حكومة بشخصيتها وحقوقها الدولية وإدارتها داخلا وخارجا، والتكافل بينها والتضامن، أن يكونوا يدا واحدة على من تعدى عليهم أو على شيء من حقوقهم، وأن يكون صوتهم واحدا، وتسهيل الأمور الاقتصادية فيما بينهم طلبا لمصلحة الكل وتقريب بعضهم من بعض، وأن يعملوا لهذا الموضوع أعماله اللائقة به، المناسبة للظروف الحاضرة، وأن يسعوا كل السعي لتحقيق هذا وإزالة جميع العقبات الحائلة دونه، والمعوقة له. وهذه الأمور وإن كانت في بادئ الرأي صعبة، وقد وضع الأعداء لها العراقيل المعوقة، فإنها يسيرة بتيسير الله وقوة العمل مع التوكل عليه.

واليوم وإن كان المسلمون مصابين بضعف شديد، والأعداء يتربصون بهم الدوائر، وهذه الحالة قد أوجدت في المسلمين أناسا ضعيفي الإيمان، ضعيفي الرأي والقوة والشجاعة، قد ملكهم اليأس والخور، يتشاءمون بأن الأمل في رفعة الإسلام قد ضاع، وأن المسلمين يتنقلون من ضعف إلى ضعف، فهؤلاء قد غلطوا أشد الغلط، فإن هذا الضعف عارض، له أسباب، وبالسعي في زوال أسبابه تعود صحة الإسلام كما كانت، وتعود إليه قوته التي فقدها منذ أجيال.

ما ضعف المسلمون إلا لأنهم خالفوا كتاب ربهم وسنة نبيه ﷺ وتنكبوا[1] السنن الكونية التي جعلها الله بحكمته مادة لحياة الأمم ورقيها في هذه الحياة. فإذا رجعوا إلى ما مهده لهم

(١) تنكبوا: تجنبوا الشيء وعدلوا عنه.

دينهم، وإلى تعاليمه النافعة وإرشاداته العالية، فلا بد أن يصلوا إلى الغاية كلها أو بعضها. وهذا المذهب المهين - مذهب التشاؤم - لا يرتضيه الإسلام، بل يحذر منه أشد التحذير، ويبين للناس أن النجاح مأمول، وأن مع العسر يسرا، وأن المسلمين إذا عملوا بتقوى الله وبالأسباب التي أرشدهم الله إليها واقتدوا بنبيهم فيها، وصبروا، فلا بد أن يفلحوا وينجحوا.

فليتق الله هؤلاء المتشائمون، وليعلموا أن المسلمين أقرب الأمم إلى النجاح الحقيقي والرقي الصحيح، لأن دينهم كله عروج وصعود في عقائده وآدابه، وأخلاقه ومقاصده وأسبابه، وجمعه بين مصالح الدنيا والآخرة، ومنافع الروح والجسد.

ويقابل هؤلاء طائفة يؤملون الآمال بلا قوة ولا أعمال، ويقولون ولا يفعلون، فتراهم يتحدثون بمجد الإسلام ورفعته، وأن الرجاء والطمع في ذلك غير بعيد، ولكنها أقوال بلا أفعال، ولا يصحبها سعي لا قوي ولا ضعيف، ولا يقدمون لدينهم منفعة بدنية ولا مالية، ولا يساعدون على مصلحة عامة كلية. وهذا كله غرور واغترار، ويترتب عليه أنواع من الشرور والمضار.

وأما رجال الدين الذين هم غرة المسلمين، وهم رجال الدنيا والدين، فهم الذين أبدوا جدهم واجتهادهم، وقرنوا بين الأقوال والأفعال، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأقوالهم ودعاياتهم، وإنهاض إخوانهم، وتبرءوا من مذهب المتشائمين، ومن أهل الأقوال الخالية من الأعمال. قد نهضوا بأمتهم، وقصدوا في سعيهم الغايات الحميدة، وسلكوا طريق المجد. فهؤلاء هم الرجال الذين يناط بهم الأمل، وتدرك المطالب العالية بمساعيهم المشكورة وأعمالهم المبرورة.

الاعتناء بالتربية والتعليم من أصول الجهاد

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم: ٦]. وذلك بالتعليم والتأديب والتربية. وقال تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]. وذلك أن من أعظم أصول الإصلاح والجهاد التربية الدينية والاهتمام التام والاعتناء الكامل بشباب الأمة، فإنهم محل رجائها وموضع أملها، ومادة قوتها وعزها. وبإصلاح تربيتهم تصلح الأحوال، ويكون المستقبل خيرا مما قبله. فعليهم أن يربوهم تربية عالية، ويبثوا فيهم روح الدين وأخلاقه الجميلة، والحزم والعزم، وجميع مبادئ الرجولة والفتوة والمروءة، وأن يدربوهم على الصبر وتحمل المشاق الذي يفضي إلى النجاح والمثابرة في كل عمل نافع، ويحذروهم من الجبن والكسل، والسير وراء الطمع والمادة، والانطلاق في المجون والهزل والدعة، فإن ذلك مدعاة للتأخر الخطير. وشباب الحاضر هم رجال المستقبل، وبهم تعقد الآمال وتدرك الأمور المهمة، فعليهم أن يجتهدوا ليكونوا في خصال الخير والفضائل المثل الأعلى، وبأوصاف الحزم والمروءة والكمال القدوة المثلى.

ومن أعظم أركان التربية العامة النافعة إصلاح التعليم، والاعتناء بالمدارس العلمية، وأن يختار لها الأكفاء من المعلمين والأساتذة الصالحين الذين يتعلم التلاميذ من أخلاقهم الفاضلة قبلما يتلقون من معلوماتهم العالية. ويختار لها من فنون العلم الأهم فالأهم من العلوم النافعة الدينية والدنيوية المؤيدة للدين. وأن تكون العلوم الدينية هي الأصل والأساس الأقوم، ويكون غيرها تبعا لها ووسيلة إليها؛ وأن يكون الغرض الوحيد من المتخرجين في المدارس الناجحين في علومها أن يكونوا صالحين في أنفسهم وأخلاقهم وآدابهم، مصلحين لغيرهم، راشدين مرشدين، مهتمين بتربية الأمة. فإن كثيرا من المدارس الآن التعليم فيها

قاصر جدا، لا يعتنى فيه بأخلاق التلاميذ، ويكون تعليم الدين فيها ضعيفا، ويكون الغرض منها المادة، وأن يخرج منها تلاميذ يصلحون للوظائف الدنيوية المادية البحتة؛ وهذا ضرره كبير، وسبب للضعف والانحلال. ولا ريب أن السعي في إصلاح التعليم من أهم المهمات، وبه ترتفع الأمة وتنتفع بعلمائها وعلومهم، فالتعاليم النافعة، والتربية الصالحة، تقود المسلمين إلى كل خير وفلاح، وتكون العلوم مقصودا بها الصلاح والإصلاح.

من الجهاد ورعاية الأمانة
تخير الأكفاء من الرجال في الولايات والأعمال

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، وقال: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦]. وأعظم وأولى ما يدخل في الأمانات الولايات كلها، كبيرة كانت أو صغيرة، وتخير الرجال الكمل من أعظم التعاون على البر والتقوى، ومن قواعد الجهاد وأصوله؛ فإنه لا يتم الجهاد إلا بذلك، بل لا تتم الأحوال كلها إلا بذلك. وكما أنه يلزم الاعتناء والاستعداد بالحصون المنيعة والسلاح القوي والجيوش المنظمة العاملة والأهب الوافرة فكذلك يلزم الاستعداد بالرجال الأكفاء على جميع الأعمال، وأن يولى في الولايات كلها أهل القوة والكفاءة والعقل، والرأي والسياسة والحزم والعزم، والتدبير الموفق، والدين القوي، والنصح الكامل، وأن يكونوا من أصل راسخ في الكمال، ومن أهل الشجاعة التامة؛ وإذا لم يدرك الرجل الكامل في هذه الأوصاف فيختار الأمثل فالأمثل. فهؤلاء الرجال هم الذين يقومون بشئون المملكة، ويوطئون بساط الأمن وطرق الراحة، ويرفعون بناء الملك على طريق العدل، ويوقفون الرعية على حدود الشريعة، ويراقبون مع ذلك روابط المملكة مع سائر الممالك الأجنبية، ليحفظوا لها المنزلة التي تليق بها، بالمعاهدات السلمية والاقتصادية وغيرها.

ومن أكبر الخيانة والخطر تولية غير الناصحين أو غير الأكفاء العارفين، فإن تمام الولاية مجموع بشيئين:

أحدهما، الخبرة والكفاية التامة بالقيام بشئون ذلك العمل، أي عمل كان، فيولى في كل عمل أكمل من يحصل به مقصود تلك الولاية، وإن كان ناقصا في غير ذلك العمل.

الثاني، الأمانة والنصح، فمتى اجتمع الأمران: القوة على ذلك العمل، والأمانة التامة تمت الأمور، واستقامت الأحوال. ومتى فقد الأمران أو أحدهما وقع النقص والخلل بحسب ما نقص منهما.

وتتعين المشاورة في انتخاب الرجال الكمل الذين أخص صفاتهم الاقتداء بنبيهم، والاهتداء بسيرته وهديه، في الجد الكامل لتقوية الإسلام والمسلمين وتكوين الأمة وتربية أخلاقها، وأن يكونوا على جانب من العلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومعرفة تاريخ الدول الإسلامية ورجالها، والعلم بأسباب الضعف والانحلال الداخل على الأمة، والسعي بإزالتها أو تخفيفها، مهما أمكن الأمر. وأن يكونوا ذوي قوة وأمل ورجاء واسع، لا يملكهم اليأس ولا يتطرق إليهم الفتور. وأن يكونوا متصلين بأفراد المسلمين وجميع طبقاتهم اتصالا وثيقا، ويتعرفون بشئونهم ويسألون عن أحوالهم ويأخذون بآرائهم الصائبة ويستمدون من عقولهم القوية. وأن يحبوا لهم من الخير ما يحبون لأنفسهم، ويسعوا في ذلك الخير لهم. وأن يكونوا أصحاب فكر ثاقب، وسياسة وخبرة، وانتهاز للفرص النافعة، وكثرة مشاورة للرجال الناصحين. وأن يكون لهم علاقات مع جميع العاملين من المسلمين في أنحاء العالم: يبدون لهم ودهم، ويستشيرونهم، ويستنيرون بآرائهم، ويأخذون بالناضج المصيب منها. وأن يكونوا مع ذلك عارفين بسياسات الأجانب، عارفين بحقوقهم، آخذين الحذر من مكرهم وكيدهم وخداعهم، يعاملونهم لمصلحة المسلمين، ويأخذون الحذر منهم خوف الضرر على المسلمين، عملهم كله لمصلحة الإسلام والمسلمين، وهم مع ذلك كله مخلصون لله متوكلون عليه معتمدون في جميع أمورهم عليه.

فهذه أوصاف الرجال الذين ينبغي تخيرهم؛ والواحد من أمثال هؤلاء يعدل أمة. وعلى أهل الحل والعقد أن يتقوا الله ما استطاعوا، ويولوا الأكمل فالأكمل. والله أعلم.

شرح محاسن الدين الإسلامي وبيان عقائده وأخلاقه وأحكامه وإصلاحه من أعظم الجهاد

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣]. وقال تعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]. أي بهذا القرآن، وبما جئت به من الدين، وذلك بالدعوة إليه وتبيين أنه دين العدل والرحمة والحكمة والخير والصلاح، للظاهر والباطن، والدين والدنيا.

وأعظم جهاد النبي ﷺ للخلق بهذا النوع، فإنه مكث مدة طويلة يدعو إلى الله، ويبين للعباد محاسن الدين، ويقابل بينه وبين ضده من أديان أهل الأرض المنحرفة، ومن جاهليتهم الجهلاء، حتى دخل الخلق العظيم فيه متبصرين، مقتنعين أنه الدين الحق، وأن ما سواه باطل، بالبراهين العقلية والفطرية، والآيات الأفقية والنفسية. قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وهذا الجهاد هو الأصل، وقتال اليد والسلاح تبع لهذا لكل معتد على الدين. قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. فهذا الدين الإسلامي، بعقائده وحقائقه وأخلاقه وأعماله، وما جاء به من القرآن، أكبر البراهين القواطع الضرورية الدالة على أن الله هو الحق، ورسوله حق، ودينه حق، وما عارض ذلك هو الباطل. وهو بنفسه جذاب لكل من قصده الحق ومعه إنصاف. فإنه إذا نظر وحقق عقائده فإنه يدعو إلى الإيمان الصحيح بالله، وبأوصافه العظيمة، وأسمائه الحسنى، وبكل كتاب أنزله الله، وبكل رسول أرسله الله، وبكل حق أخبر الله به ورسوله. وبذلك تمتلئ القلوب إيمانا ويقينا ونورا وطمأنينة بالله، وقوة توكل واعتماد عليه. وذلك يوجب كمال الإخلاص لله، والقيام بعبوديته الظاهرة والباطنة والتبرؤ من الشرك كبيره وصغيره.

وإذا نظر إلى أخلاق الإسلام وجدَه رآه يحث على كل خلق جميل، ويحذر من كل خلق رذيل، ويدعو إلى القيام بحقوق الله وحقوق عباده وبالمعاملة الحسنة. وإذا نظر إلى تعاليمه وإرشاداته العالية رآه يحث على كل علم نافع مزك للقلوب، مطهر للأخلاق، نافع للدين والدنيا، وأنه مرشد إلى كل صلاح وإصلاح.

فشرح هذه الأمور للناس من أعظم الجهاد، فإنه يقوي إيمان المؤمنين، وتزداد به بصائرهم ورغبتهم، ويحمدون الله الذي من عليهم بهذا الدين الكامل الذي حوى كل خير علمي وعملي، وكل هداية ورحمة، وهو السبب الوحيد إلى سعادة الدنيا والآخرة.

وكذلك هو أكبر داع لمن وقف على حقيقته من الأجانب، وخصوصا المنصفين منهم: فمريد الحق إذا وقف على حقيقته لم يتوقف في تفضيله على كل دين، والمكابر يزلزل عقيدته ويخفف شره، وبه تندفع شبه المبطلين من الملحدين وغيرهم، فإن الحق يستولي على القلوب ويزهق الباطل، فإنه من عرف الحق معرفة صحيحة امتنع أن يقوم بقلبه باطل يقدمه عليه، إلا إذا عارض ذلك غرض فاسد من كبر أو حسد أو رياسة أو تعصب أو غيرها.

ومن تأمل هذا الدين رآه يدعو إلى الصلاح والرشد والفلاح، والكتاب والسنة كفيلان ببيان ذلك كفالة تامة، فيهما الآيات والبراهين على أنه محال أن يحصل الصلاح الحقيقي، ولا سبيل للبشر إلى الإصلاح والخير والسعادة إلا بهذا الدين، فإنه ما من مصلحة دقيقة ولا جليلة إلا أرشد إليها هذا الدين، ولا خير إلا دل عليه، ولا شر إلا حذر منه: يأمر بتوحيد الله والإيمان به، ويحث على العلم والمعرفة والإذعان، ويأمر بالعدل والصدق في الأقوال والأفعال، وبالبر والصلة والإحسان إلى الأقارب والجيران والأصحاب والمعاملين وجميع الخلق، وينهى عن الكذب، والظلم والقسوة، والعقوق والبخل، وسوء الخلق مع الأولاد والأهل والأصحاب وغيرهم، ويأمر بالوفاء بالعقود والعهود والمحالفات، وينهى عن النكث[1] والغدر، ويأمر بالنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وينهى

(١) النَّكْثُ: نَقْضُ ما تَعْقِدُه وتُصْلِحُه من بَيْعَةٍ وغيرها.

عن الغش. يأمر بالاجتماع والتآلف والتحابب والاتفاق، وينهى عن التعادي والتباغض والافتراق. يأمر بالمعاملات الحسنة وأن توفي ما عليك كاملا موفرا لا بخس فيه ولا نقص ولا مماطلة، وينهى عن المعاملات السيئة والمطل والغش والبخس والتطفيف وأكل المال بالباطل وبغير حق. يأمر بأداء الحقوق الخاصة والمشتركة، ينهى عن ضدها، وعن التعدي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم بغير حق. يأمر بكل معروف وطيب ونافع ومستحسن شرعا وعقلا وفطرة. وينهى عن كل فاحشة ومنكر وخبيث شرعا وعقلا وفطرة. يبيح كل طيب، ويحرم كل خبيث. يأمر بالتعاون على البر والتقوى، وينهى عن التعاون على الإثم والعدوان. يأمر بعبادة الله وحده، وخوفه ورجائه وحده، والطمع في جوده وفضله، والتنوع في فعل الأسباب المحصلة لخيره وثوابه، وينهى عن التعلق بالمخلوقين والعمل لأجلهم. يأمر بنبذ الوثنيات والخرافات المفسدة للعقول والأديان. وبالجملة يأمر بكل خير وصلاح، وينهى عن كل شر وضرر.

فشرح الدين على نحو هذه الطريقة شرحا وافيا، وتطبيق تعاليمه وهدايته على أحوال البشر، وبيان أنها صالحة لكل زمان ومكان ولكل أمة، وأن الانحراف والشر والضرر إنما يكون بفقد روح الدين أو نقصها، وكذلك شرح أوصاف النبي ﷺ ونعوته وأخلاقه التي من تدبرها وعرفها وفهمها حق الفهم علم أنه ﷺ أعلى الخلق في كل صفة كمال، وأن كل صفة كمال له منها أعلاها وأكملها، وأن الكمالات الموجودة في الرسل، صلى الله عليهم وسلم، قد جمعت فيه على الوجه الذي لا يماثله فيه أحد، وبذلك صار سيد الخلق ومقدمهم وإمامهم وأرفعهم عند الله قدرا وأعظمهم جاها.

نبذة من أخلاقه وأوصافه ﷺ وشيء من سيرته الدالة على أنه رسول الله حقًّا وأن ما جاء به من الدين هو الحق على وجه الإيجاز

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. ومن نظر إلى سيرته ﷺ في مبدأ أمره ومنتهاه وبين ذلك وتطورات أحواله، وما حصل بذلك من الأحوال والانقلاب العجيب في العقائد والأخلاق والآداب والتشريع العادل الرحيم والخير والرحمة مما لم يعهد له نظير في تاريخ البشر، وبعدما كانت الأرض مملوءة من الشرك والوثنية المستولية على عقول أكثر الخلق، والإلحاد والظلم والشر والفساد وسفك الدماء وقطيعة الأرحام والمعاملات السيئة بكل وجوهها، استبدلت بأضدادها من عبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص الدين لله، والقيام بعبوديته التي خلق لها الخلق، وبالقسط والعدل في جميع الحقوق، وبصلة الأرحام، والإحسان إلى جميع طبقات الخلق - عرف[1] أن هذا من أكبر براهين رسالته ﷺ، وكمال دينه وشريعته، وأنه أعظم مرشد ومصلح للبشر على الإطلاق.

فقد كان ﷺ معروفا بين قومه بشرف النسب، وأن بيته أعظم بيوت العرب وخيرها. وكان معروفا بين قومه قبل بعثته بالصدق الكامل، والأمانة التامة، والبر والعدل ومكارم الأخلاق، متربيا على الأخلاق الجميلة، متنزها عن الأخلاق الرذيلة، لا يعرف له شيء يعاب به لا قليل

(١) السياق: ومن نظر إلى سيرته .... عرف.

ولا كثير، ولا جرب عليه كذبة واحدة ولا خيانة ولا ميلًا في شيء من أقواله وأفعاله. وكان نقي القلب، ناصحا للقريب والبعيد، وصولا للأرحام، موفيا بالعهد والذمام، حاملا للكَلّ، معينا على نوائب الحق، متواضعا لله ولعباد الله. حليما صبورا عفوا محسنا، كامل العقل والرأي، حازما مسددا موفقا في حركاته وسكناته، مع أنه قد نشأ مع أمة أمية لا تعرف الكتب ولا تدرس الشرائع، وهو في نفسه لا يقرأ ولا يكتب: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [القصص: ٨٦]. فلم يزل محببا له الخير، فعالا له، متنزها عن جميع الشرور، حتى فاجأته الرسالة والوحي من الله تعالى، ورحم الله به الخلق فجاءهم برسالة عظيمة عامة فيها صلاح البشر كلهم وسعادتهم، وجاءهم بكتاب كريم لم يطرق العالم كتاب أعظم منه ولا أجل ولا أجمع لكل خير ولا أغزر علما منه. وأخبرهم بأمور عظيمة وتفاصيل جمة لم يكن في قومه من كان يعرفها، ولا في الأرض أحد عنده علم صحيح ينافيها وينكرها. وأعلن بهذه الرسالة غاية الإعلان لعلمه اليقيني الذي لا ريب فيه أنها الحق، واعتماده على الحق، ووثوقه بوعد الله بالظهور. مع كثرة الأعداء وتوفر المعارضين، من أهل الكتاب والأميين وغيرهم، فبادأهم وصرح لهم بإنكار ما هم عليه من الشرك والشرور والأخلاق الرذيلة، وأن شريعته نسخت جميع الكتب، وهيمنت على كل الشرائع السابقة. فرماه الجميع بقوس العداوة، وجدوا واجتهدوا في رد ما جاء به، ونصر باطلهم. وتحدى قاصيهم ودانيهم وأولهم وآخرهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فما استطاعوا ذلك، ولا قدروا على رد شيء من دينه، مع أنهم مكروا مكرا كبارا، وأتوا بكل وسيلة وحيلة، فرجعوا منهزمين أمام الحق خائبين، والمنصف منهم لم يجد بدا من الاعتراف، والجاحد المعاند المكابر طفق ينصر باطله، فلم يبد حجة ولا برهانا، بل ولا شبهة يتكئ عليها.

ومن أكبر أدلة الحق معرفة ما قاله أعداؤه ومعرفة حججهم التي لا تغني من الحق شيئا. وجاء ﷺ للخلق وحده، لم يكن له في أول الأمر أعوان ولا أنصار، إلا الحق الذي هو نعم

العون على الأمور كلها، فلم يزل يتبعه الواحد بعد الواحد من أولي البصائر والألباب والعقول الرزينة، على شدة عظيمة، ومقاومات من الأعداء عنيفة، فلم تزعجهم الكوارث، ولا عوقهم عن قبول الحق خوف ولا ضغط من الأعداء، وأعداؤه هم أهل الرياسة ولهم السيطرة، فعادوه وعادوا أتباعه، وآذوهم أشد الأذية، وحرصوا على صرفهم عن دينهم، فلم يكن لهم بذلك طاقة ولا اقتدار، لأن إيمانهم صحيح ويقينهم تام، لم يؤمنوا لرغبة بذلها الرسول ولا رهبة، وإنما الرغبة والرهبة في ذلك الوقت عند أعدائه، ولكن هو الإيمان الحق متى وقر في القلوب لم يرتد عنه صاحبه سخطة له، بل يراه أحب الأشياء إليه، وألذها لقلبه، وأعظمها فوزا وسعادة. فلم يزل ﷺ يدعو إلى هذا الدين بعزم صادق، وهمة لا تني ولا تضعف، ويقين وثقة بوعد الله، مع قوة المعارضات وشدة المقاومات من جميع الأعداء، ويتتبع العرب في مواسم الحج وغيره في منازلهم يدعوهم إلى الله وإلى دينه، والمتبع له إذ ذاك أفراد من الموفقين أولي البصائر، وأكثرهم معرضون ومعارضون مقاومون، وهو صامد لأمر الله، مصمم على الدعوة لعباد الله، مستقيم على أكمل طريقة من الصدق والعدل، والوفاء بالعهد، لا يتزعزع عن الاستقامة والأخلاق الفاضلة، والنصح والقوة في أمر الله، والشجاعة التي لا نظير لها في الأولين والآخرين، مع اختلاف الأحوال عليه من خوف وأمن، وفقر وغنى، ويسر وعسر، وضيق وسعة. فدخل الناس في دين الله أفواجا، وانتشر الإسلام في مكة مع الضغط العظيم، وانتشر في المدينة أكثر من ذلك، فأذن لأصحابه في الهجرة إلى المدينة ليتمكنوا من إقامة دينهم، فجعلوا يهاجرون إليها أفرادا وجماعات. وفي ذلك الوقت عقد الرؤساء من قومه المجالس المتعددة للإيقاع به، وإطفاء النور الذي جاء به، ومكروا المكرات العظيمة، والله يكلؤه ويحفظه. وحين بلغ الأمر أشده، وعزموا على الإيقاع والفتك به، ورتبوا أمرهم وأجمعوا كيدهم أذن الله له بالهجرة فخرج في تلك الحال الحرجة إلى الغار هو وأبو بكر مختفيين وبوعد الله واثقين. واشتد الطلب، وعز التخلص والهرب، ولكن لطف الله ونصر الله فوق مكر الماكرين، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]،

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة: ٤٠] الآية. وهذا النصر من أكبر الآيات والبراهين على عناية الله به وحفظه إياه ووعده الصادق بتمام أمره ودينه. ثم هاجر إلى المدينة وعناية الله تصحبه، وحفظه وتوفيقه يرافقه، فتلقاه المسلمون، وكل قبيلة من قبائل الأنصار تدعوه إلى النزول عندها وتقول: هلم يا رسول الله إلى العدد والعديد، فاختار الله له ذلك المنزل الذي بركت فيه ناقته ليكون مسجدا له ومساكن لنسائه، فاختط مسجده هناك، وعمل فيه مع المسلمين، وبنى مساكن زوجاته بجواره، وسر المسلمون بقدومه. ولم يزل الله يشرع له الشرائع الكبار شريعة بعد أخرى بحسب المناسبات، ثم أذن له في القتال لما اشتدت مقاومات الأعداء بكل طريق، فلم يزل معهم يدال عليهم ويدالون عليه حتى صارت له العاقبة والنصر عليهم. ودخل الناس في دين الله أفواجا حين شاهدوا أنوار الإسلام وهداية القرآن وإرشادات الدين، وكان دينه الحق وما جاء به من أكبر الأسباب لدخول الخلق في الدين، فإنه يدعوهم بنفس الحق الذي جاء به، والذي تنقاد له القلوب السليمة والعقول الصحيحة، وتلين له الصعاب، ويختاره أولو البصائر والألباب الرزينة والآراء الصائبة، لما يرون من إصلاحه العقائد والأخلاق والأعمال كلها، ودعوته للصلاح المطلق بكل وجه واعتبار. وهذا وجه إدخاله في الجهاد، إذ هو أصله وأساسه، فإن الغرض من الجهاد انقياد الخلق للحق، ودخولهم في الدين الحق، وأكبر وسيلة لذلك معرفة ما جاء به الرسول، والوقوف التام على حقائق الدين. وما زال ﷺ يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وبكل طريق يوصل إلى الهداية، ويجادل المبطلين بالتي هي أحسن، حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على المؤمنين، وجمع الله به أمما متباينة وقلوبا متفرقة وأهواء متشتتة، وأصلح الله به الظواهر والبواطن وكل أمر فاسد. وبعدما كانت الأرض مملوءة من جميع أصناف الشرور، محقها الحق الذي جاء به، حتى امتلأت من الحق والعدل والرحمة والخير والنور،

فمحا الظلمات المتراكمة، وحق الحق، واضمحل الباطل وزهق، إن الباطل كان زهوقا. فمعرفة الآثار والمنافع العامة العظيمة التي حصلت لأهل الأرض برسالته ودينه من أكبر البراهين الدالة على رسالته، وصحة ما جاء به من الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، وهو دين جميع الرسل وأتباعهم، فهو الدين الذي أخباره في أعلى درجات الصدق، وهو الذي ما أمر بشيء فقال العقل ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به، بل لو اجتمعت عقول الحكماء وسائر العقلاء على اقتراح دين أحسن منه وأصلح وأنفع للعباد لعجزت أفكارهم عن أن تصل إلى ما يقاربه. وأكمل الناس عقلا من حصلت له به الهداية والرشاد، فإنه تنزيل من حكيم حميد. ولهذا سمى الله ما أنزل على رسوله هدى ورحمة ونورا وحكمة ورشدا، وحث فيه على كل إصلاح في أصوله وفروعه، وأرشد إلى المنافع الدينية والدنيوية.

ثم إنك إذا تأملت أحوال النبي ﷺ وتنقلاته في دعوة الخلق ومعاملاتهم من أوليائه وأعدائه رأيت فيها الهدى الكامل والنصح التام، ورأيت آثار دعوته ملأت قلوب المسلمين علما ويقينا ومعارف ربانية، واهتدوا بها إلى كل خلق جميل وتنزهوا عن كل خلق رذيل، فكما كانت آثار رسالته في نفسه أكمل الآثار فتجمعت فيه أصناف الفضائل والكمالات على أكمل وجه، وصار بذلك أكمل البشر في كل الأمور مطلقا، فكذلك كانت آثار رسالته في أصحابه وأمته أكمل الآثار وأفضلها وأجلها، فلم يصل أحد من الأمم إلى ما وصل إليه أصحابه وأئمة الهدى من أمته وطبقات أهل العلم والإيمان من المعارف الصحيحة، والعلوم النافعة، والمعارف الربانية، والإيمان الصحيح، واليقين الكامل، والقيام بحقوق الله وحقوق خلقه، والرحمة بالخلق، والإحسان والعدل، وهذا من براهين صدقه وصحة ما جاء به.

وكذلك من براهين رسالته أنه في هذه المدة القصيرة مكنه الله وبارك في عمره الشريف حتى أسس هذا الدين الذي هو أكمل الأديان وأعمها وأهداها للخلق، فقرر أصوله وفروعه، وحصل به صلاح الدين وصلاح الدنيا، وصار المثل الأعلى والقدوة للخلق فيما يأتون

وما يذرون، وما يقولون ويفعلون. إن حُققت العقائد الصحيحة، والأخلاق الرجيحة النافعة المصلحة للقلوب، جعل الميزان فيها عقيدته وأخلاقه، وإن فصلت علوم الشريعة على سعتها وتنوعها كانت كلها مأخوذة من شريعته وتعليمه، وإن أريد الوصول إلى علم السياسة وفنون الحرب والسلم ومعاملة الأعداء من جميع الوجوه كان المدار فيها على هديه وعمله وإرشاده، وإن طلب علم الولايات كلها صغارها وكبارها: من الإمامة العظمى إلى ولاية الإنسان على عائلته وأهل بيته لم يوجد أكمل من طريقته فيها، وإن حصل البحث في أحوال القلوب ووسائل إصلاحها ودائها ودوائها لم يكن لذلك سبيل إلا بسلوك الطرق التي أرشد إليها. فلا يوجد علم صحيح ولا عمل ظاهر ولا باطن إلا وقد هدى الخلق إليه وأرشدهم إليه.

فهذه جمل مختصرة تدل على رسالته ﷺ، وصحة دينه، وأنه الدين الحق الذي لا يصلح البشر غيره، وأنه لا دين إلا دينه، ولا طريق إلا طريقه، ولا تصلح الأمور كلها إلا باتباعه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

قال ذلك وكتبه الفقير إلى الله في كل أحواله عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، آمين. ببلدة عنيزة من الديار النجدية في ٢٠ رمضان ١٣٦٧ هـ.



التعليق وكشف النقاب على

نظم قواعد الإعراب

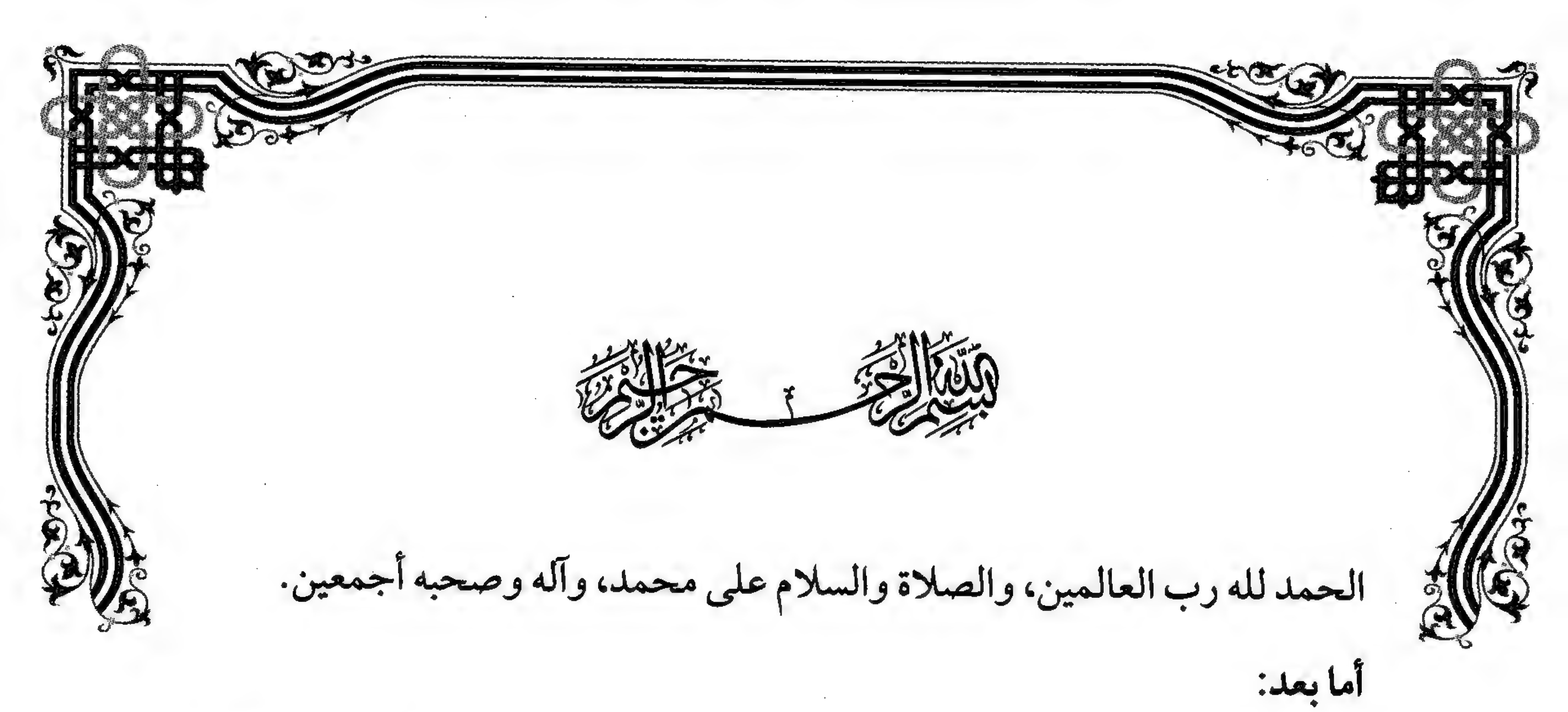
تأليف
الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله

تم الاعتماد في تحقيق هذا الكتاب على
نشرة الشيخ

محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام
رحمه الله



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد، وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذا تعليق على نظم قواعد الإعراب نقلته من شرح الشيخ خالد الأزهري على أصله، ذكرت منه ما يتعلق بهذا النظم، وحذفت منه ما يستغنى عنه، ونقلت عبارته إلا في شيء يسير، وأسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم

قال المؤلف:

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول راجي رحمة الإله　　محمد هو ابن عبد الله[1]
الحمد لله العليم الفاطر　　ثم الصلاة من مليك قادر
على النبي الهاشمي الهادي　　وآله والصحب والأولاد
وهاك في قواعد الإعراب　　نظم الكتاب المبدع الإعراب
وأسأل الله به أن ينفعا　　قارئه وسامعًا ومن دعا

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يوسف فتح الدين بن الجمال بن المحب بن الجمال ابن هشام الأنصاري القاهري الحنبلي الماضي أبوه والآتي جده. قاله في الضوء وقال: نشأ فحفظ القرآن، واشتغل بالفرائض وغيرها، حين كان عند البدر المارداني: وأذن له وكذا قرأ قليلًا على العلاء البغدادي الدمشقي حين كان بالقاهرة، وحضر دروس القاضي الحنبلي. انتهى.
انظر: السحب الوابلة وتسهيل السابلة، وعلماء الحنابلة، والضوء اللامع.

فصل

في الجملة وأحكامها

ذكر المصنف في هذا الباب أربع مسائل:

المسألة الأولى:

في شرح الجملة: ويتبع ذلك ذكر أقسامها وأحكامها وأشار إليه بقوله:

لفظ مفيد بالكلام يدعى   وجملة فهي أعم قطعا

كل كلام جملة لا تنعكس   ....

يعنى أن الكلام: هو اللفظ المفيد، والجملة: هي المركب الإسنادي أفاد أو لم يفد، فإذا كان كذلك صار كل كلام جملة، لأن الكلام لا بد أن يكون مركبا، ولا يكون كل جملة كلاما، لأن الجملة لا يشترط فيها الإفادة، فإذا قلت: زيد قائم، فهو كلام وجملة لأنه مركب مفيد، وإذا قلت: إن قام زيد، فهو جملة لأنه مركب، ليس بكلام لأنه لم يفد، والمفيد هو ما يحسن السكوت عليه.

....   وجملة قسمان ليس تلتبس

اسمية فهي بالاسم تبتدا   فعلية بالفعل فابدأ أبدا

يعني أن الجملة تنقسم إلى قسمين: اسمية، وفعلية. وذلك أنها تسمى اسمية: إن بدئت باسم صريح، كـ (زيد قائم)، أو مؤول: نحو ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤]. أي: صومكم، أو بوصف رافع لمكتف به نحو: أقائم الزيدان، أو اسم فعل نحو: هيهات العقيق،

وإذا دخل عليها حرف فلا يغير التسمية؛ سواء غير الإعراب دون المعنى، أم المعنى دون الإعراب، أم غيرهما معا، أم لم يغير واحدا منهما، فالأول: نحو: إن زيدا قائم، والثاني: نحو: هل زيد قائم، والثالث: نحو: ما زيد قائما، والرابع: لزيد قائم.

وأما الجملة الفعلية فهي التي تبتدأ بالفعل؛ سواء كان ماضيا، أو مضارعا، أو أمرا، وسواء كان الفعل متصرفا، أم جامدا، تاما أو ناقصا، مبنيا للفاعل أو للمفعول، كـ(قام زيد)، ويضرب عمرو، واضرب زيدا، ونعم العبد، وكان زيد قائما، و ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]. وسواء كان الفعل مذكورا كما مثلنا، أو محذوفا تقدم معموله عليه أم لا، تقدم عليه حرف أم لا، نحو: هل قام زيد، ونحو: زيدا ضربته، ويا عبد الله، (فزيدا) و (عبد الله) منصوبان بفعل محذوف، لأن التقدير: ضربت زيدا ضربته، وأدعو عبد الله.

ثم اعلم أن الجملة: صغرى وكبرى، فالصغرى هي: المخبر بها عن مبتدأ في الأصل، والكبرى هي: التي خبرها جملة[1]، وقد تكون صغرى باعتبار ما هي خبر عنه، وكبرى باعتبار أن خبرها جملة نحو[2]: زيد أبوه غلامه منطلق، وقد تكون لا كبرى ولا صغرى لفقد الشرطين كـ(قام زيد).

المسألة الثانية:

في الجمل التي لها محل من الإعراب، وأشار إليها بقوله: (والجملة التي لها محل) من الإعراب الذي هو الرفع والنصب والخفض والجزم (سبع) جمل على المشهور:

إحداها: (فخذها خبر يحل) لمبتدأ في الأصل[3]، أو في الحال وموضعها: إما رفع،

---

(١) قوله: خبرها جملة مثال ذلك: زيد أبوه قائم، فأبوه قائم جملة صغرى وهي خبر عن زيد فيكون الجميع جملة كبرى.

(٢) قوله: زيد ... إلخ. بيان ذلك أن جملة أبوه غلامه منطلق هي جملة صغرى باعتبار أنها خبر عن مبتدأ في الأصل وهو زيد، كبرى باعتبار أن خبرها جملة.

(٣) قوله في الأصل: أي إذا لم يدخل عليه ناسخ، أو في الحال: أي إذا دخل عليه ناسخ.

أو نصب، فموضعها رفع في بابي المبتدأ الأصلي وخبر إن، وفي موضع نصب في بابي كان، وكاد نحو: ﴿كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾[الأعراف: ١٦٢]. ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[البقرة: ٧١].

الجملة الثانية، والثالثة الواقعة حالا، والواقعة مفعولا به؛ وقد ذكرهما بقوله (حال ومفعول) ومحلهما النصب، فالحالية نحو قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]. وقوله، ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»[1]. والجملة المفعولية تقع في أربعة مواضع:

الأول: أن تقع محكية بالقول نحو: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠].

والثاني: أن تقع تالية للمفعول الأول في باب ظن، نحو: ظننت زيدا يقرأ.

والثالث: أن تقع تالية للمفعول الثاني في باب أعلم، نحو: أعلمت زيدا عمرا أبوه قائم.

والرابع: أن تقع معلقا عنها العامل نحو: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾[الكهف: ١٢]. ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾[الكهف: ١٩].

الرابعة: من الجمل (مضاف) إليه ومحلها الجر؛ فعلية، أو اسمية نحو قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]. ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ﴾ [غافر: ١٦]. وكذلك كل جملة وقعت بعد (إذ) أو (إذا) أو (حيث) أو (لما) الوجودية عند من قال باسميتها، أو بعد (بينا) أو (بينما) فإنها في موضع خفض بإضافتهن إليها.

الجملة الخامسة الواقعة جواب شرط جازم، وقد ذكرها بقوله: (واقع جواب شرط جازم). ومحلها الجزم إذا كانت مقرونة بـ (الفاء) أو بـ (إذا) الفجائية نحو: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦]. ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦].

الجملة السادسة: التابعة لمفرد، وقد ذكرها بقوله: (وتابع لمفرد) كالجملة المنعوت بها، ومحلها بحسب منعوتها: رفعا، ونصبا، وخفضا.

---

(١) مسلم(٤٨٢).

فالرفع نحو قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

والنصب نحو قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

والخفض نحو قوله تعالى: ﴿لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩].

الجملة السابعة: التابعة لجملة لها محل من الإعراب، وقد ذكرها بقوله (وجملة ذات محل) وذلك في بابي النسق، والبدل، نحو: زيد قام أبوه، وقعد أخوه. ومثال البدل قول الشاعر:

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا وإلا فكن في السر والجهر مسلما

فجملة (لا تقيمن) في موضع نصب على البدلية من ارحل.

المسألة الثالثة:

في الجمل التي لا محل لها من الإعراب، وهي سبع أيضا كما قال:

. . . . وسبعة بلا محل في الجمل

الأولى منها: (ذات ابتداء) أي: إذا وقعت الجملة في ابتداء الكلام؛ اسمية أو فعلية فإنها لا محل لها من الإعراب، وهي نوعان:

أحدهما: المفتتح بها النطق نحو: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ [يوسف: ٢]. **والثاني**: المنقطعة عما قبلها نحو: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]. بعد قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥]. وليست محكية بالقول لفساد المعنى.

والثانية: من الجمل التي لا محل لها من الإعراب: (ذات اعتراض) بين شيئين متلازمين، وهي إما للتقوية، أو للتبيين، ولا يعترض بها إلا بين الأجزاء المنفصل بعضها من بعض، المقتضي كل منها الآخر؛ فتقع بين الفعل وفاعله كقوله:

ولقد أدركتني والحوادث جمة أسنة قوم لا ضعاف ولا عزل

أو مفعوله كقوله:

وبُدلت والدهر ذو تبدل هيفا دبورًا بالصبا والشمال

وبين المبتدأ والخبر كقوله:

وفيهن والأيام يعثرن بالفتى نوادب لا يمللنه ونوائح

وما هما أصله وجوابه كقوله:

إن سليمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

وبين الشرط وجوابه كقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وبين الموصول وصلته كقوله[1]:

إن الذي وأبيك يعرف مالكا ....

وبين أجزاء الصلة نحو: جاء الذي جوده والكرم زين مبذول، وبين المجرور وجاره؛ اسما كان نحو: هذا غلام والله زيد، أو حرفا نحو: اشتريته بوالله ألف درهم، وبين الحرف وتوكيده نحو:

ليت وهل ينفع شيئًا ليت ليت شبابًا بوع فاشتريت

وبين قد والفعل كقوله:

أخالد قد والله أوطأت عِشوة ....

وبين الحرف النافي ومنفيه كقوله:

فلا وأبي دهماء زالت عزيزة ....

(١) قوله: إن الذي وأبيك يعرف مالكًا. في المغني: ذاك الذي .... إلخ، وفي ديوان جرير، ذاك الذي وأبيك تعرف مالكًا.

وبين القسم وجوابه، والموصوف وصفته[1]، وجمعهما قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٧٧].

والجملة الثالثة: مما لا محل لها من الإعراب الواقعة (صلة) الموصول نحو: جاء الذي قام أبوه.

الجملة الرابعة: مما لا محل لها من الإعراب الواقعة (جواب شرط ليس جزم دخله) كجواب (إذا) الشرطية نحو: إذا جاء زيد أكرمتك، وجواب (لو) الشرطية نحو: لو جاء زيد أكرمتك، وجواب (لولا) الشرطية نحو: لولا زيد أكرمتك، أو الواقعة جوابا لشرط جازم، ولم تقترن بـ (الفاء) ولا بـ (إذا) الفجائية نحو: إن جاءني زيد أكرمته[2].

والجملة الخامسة: مما لا محل لها من الإعراب الواقعة جوابا لـ (قسم) سواء ذكر فعل القسم وحرفه، أم الحرف فقط، أم لم يذكر، **فالأول:** أقسم بالله لأفعلن، **والثاني:** ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بعد قوله: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ١ - ٢]. **والثالث:** ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ بعد قوله: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القلم: ٣٩].

الجملة السادسة: مما لا محل لها من الإعراب الواقعة (وذات تفسير لهل) وهي الجملة الكاشفة لحقيقة ما تليه، وليست عمدة نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣] بعد قوله: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء: ٣]. فجملة الاستفهام مفسرة للنجوى.

---

(١) قوله: والموصوف وصفته: زاد في المغني لابن هشام: أن تقع بين حرف التنفيس والفعل كقوله:

وما أدري وسوف إخال أدري … أقوم آل حصن أم نساء

وبين جملتين مستقلتين: نحو ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٢، ٢٢٣]. فإن: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ تفسير لقوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾، أي: إن المأتي الذي أمركم الله به هو مكان الحرث، ودلالة على أن الغرض طلب النسل لا محض الشهوة.

(٢) قوله: إن جاء زيد أكرمته، أي: فجملة أكرمته لا موضع لها من الإعراب؛ لأن العامل وهو (إن) إنما تسلط على الفعل وحده، فمحل الفعل جزم على أنه جواب الشرط وجزاؤه مغنٍ كما صرح بذلك ابن هشام في المغني.

الجملة السابعة: مما لا محل لها من الإعراب جملة (تابعة لجملة بلا محل) من الإعراب نحو: قام زيد وقعد عمرو؛ إن لم تقدر الواو للحال.

المسألة الرابعة:

في حكم الجملة إذا وقعت بعد المعارف، أو بعد النكرات كما أشار إليها بقوله:

وإن أتتك بعد محض النكره جمل أخبار لها مشتهره

فهي لدى النحاة كلهم صفه وما يجيء بعد محض المعرفه

فتلك أحوال وقد تتصل بغير محض منهما فيحتمل

يعني أن الجمل الواقعة بعد النكرات المحضة، أي: الخالصة من المعرفة فإنها تكون صفات للنكرات، وإن وقعت بعد المعارف المحضة، أي: الخالصة من شائبة التنكير فإنها تكون أحوالا لتلك المعارف، وإن وقعت بعد غير المتحمض منها فإنها محتملة للصفات والأحوال، وذلك مع وجود المقتضي وانتفاء المانع، والمقتضي للوصفية تمحض التنكير والمقتضي للحالية تمحض التعريف، والمقتضي لهما عدم تمحض التعريف والتنكير.

والمانع للوصفية[1]: الاقتران بالواو ونحوها، والمانع للحالية: الاقتران بحرف الاستقبال ونحوه، والمانع للوصفية والحالية: فساد المعنى.

(١) قوله: والمانع للوصفية: نحو قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٦]. ومثال المانع للحالية: زارني زيد سأكافئه، أو لن أنسى له ذلك. والمانع لهما، مثال قوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ [الصافات: ٧، ٨]. قاله ابن هشام في المغني، وزعم أنه لا معنى للحفظ من شيطان لا يسمع، فيفسد المعنى إذا جعلت جملة ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾. صفة أو حالًا من كل شيطان. انتهى. ومثال الواقعة حالًا: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]. ومثال الواقعة صفة: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]. فجملة (أنزلناه) محتملة للوصفية والحالية لوقوعها بعد التخصص.

مثال الواقعة صفة قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣]. ومثال الواقعة حالا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]. ومثال المحتملة للوجهين بعد النكرة نحو قولك: مررت برجل صالح يصلي، فإن شئت قدرت [يصلي] صفة ثانية لرجل؛ لأنه نكرة، وإن شئت قدرته حالا منه؛ لأنه قد قرب من المعرفة باختصاصه بالصفة.

ومثال المحتملة للوجهين الواقعة بعد المعرفة قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]. فإن المراد بالحمار هنا الجنس لا حمار بعينه، وذو التعريف الجنسي يقرب من النكرة في المعنى فيحتمل قوله: ﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ أن يكون حالا؛ لأن الحمار وقع بلفظ المعرفة، ويحتمل أن يكون صفة؛ لأنه كالنكرة في المعنى من حيث الشيوع.

فصل
في الجار والمجرور

وفي هذا الباب أيضا أربع مسائل:

الأولى:

أنه لا بد للجار والمجرور من التعلق بفعل أو معناه كما قال: (لا بد للجار من التعلق بفعل) نحو: مررت بزيد (أو معناه) أي: معنى الفعل من مصدر، أو صفة، أو اسم فاعل (نحو: مرتقي)، وقد اجتمع الفعل، وما في معناه في قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة: ٧]. فعليهم الأول متعلق بالفعل وهو أنعمت ومحله النصب، وعليهم الثاني متعلق بما في معنى الفعل وهو المغضوب ومحله الرفع على النيابة عن الفاعل.

واستثن كل زائد له عمل كالبا ومن والكاف أيضا ولعل

(لدى عُقيل) يستثنى من حروف الجر[1] أربعة فلا تتعلق بشيء:

أحدها: الحرف الزائد كالباء الزائدة في الفاعل، نحو: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ [النساء: ٧٩]. ونحو: أحسن بزيد. عند الجمهور، والأصل: كفى الله شهيدا، وأحسن زيد بالرفع، فزيدت الباء فيهما. والزائدة في المفعول نحو ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وفي المبتدأ نحو: بحسبك درهم، وفي خبر الناسخ المنفي نحو: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]. ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤]. وكمن الزائدة[2] في الفاعل نحو:

---

(١) ذكر ابن هشام في المغني أنها ستة فزاد على ما هنا: رُبّ، وحرف الاستثناء، وهو: خلا وعدا وحاشا.

(٢) قوله: كمن الزائدة، شروط زيادتها ثلاثة أمور، أحدها: أن يتقدم عليها نفي، أو نهي، =

﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]. وفي المفعول: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]. وفي المبتدأ نحو: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٩]. ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

الحرف الثاني: كاف التشبيه نحو قولك: زيد كعمرو، فزعم الأخفش وابن عصفور أنها لا تتعلق بشيء وفيه نظر.

الحرف الثالث: لعل في لغة من جر بها، وهم عقيل بالتصغير، ولهم في لامها الأولى: الإثبات، والحذف، وفي لامها الأخيرة: الفتح، والكسر قال شاعرهم:

وداعٍ دعا يا من يجيب إلى النَّدى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة ... لعل أبي المغوار منك قريب

وقوله:

.... ثم لولاي كذا ... لولاك لولاه فعمرو قال ذا

لولا أنا الفصيح عند الأكثر ... وأنت أيضًا فاعلم هذا واذكر

هذا هو الحرف الرابع مما لا يتعلق بشيء وهو: لولا الامتناعية إذا وليها ضمير متصل: لمتكلم، أو مخاطب، أو غائب في قول بعضهم: لولاي، ولولاك، ولولاه. قال يزيد بن الحكم:

وكم موطن لولاي طحت[1] ... .

وكقول الآخر:

= أو استفهام بـ (هل)، وزاد الفارسي الشرط **الثاني**: تنكير مجرورها، **الثالث**: كونه فاعلًا، أو مفعولًا به، أو مبتدأ، ولو دخل عليه ناسخ، وقد اجتمع المنصوب والمبتدأ المنسوخ في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

(١) تمامه: كما هوى على رأسه من قلة النيق منهوي.

. . . .   لولاك في ذا العام لم أحجج[1]

وكقول جحدر:

ولولاه ما قلت لدي الدراهم   . . . .

فمذهب سيبويه أن لولا في ذلك كله لا تتعلق بشيء؛ فإنها بمنزلة (لعل) الجارة في أن ما بعدها مرفوع المحل بالابتداء، وذهب الأخفش إلى أن (لولا) في ذلك غير جارة، وأن الضمير بعدها مرفوع المحل على الابتداء، ولكنهم استعاروا ضمير الجر مكان ضمير الرفع، والأكثر أن يقال: لولا أنا، ولولا أنت، ولولا هو؛ بانفصال الضمير فيهن، كما قال تعالى: ﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٣١].

المسألة الثانية:

في حكم الجار والمجرور إذا وقع بعد المعارف والنكرات وحكمه حكم الجملة الخبرية كما قال:

والحكم للجار والمجرور   كجمل الأخبار في المشهور

فهو بعد النكرة المحضة صفة، كما في قولك: رأيت طائرا على غصن. وهو حال بعد المعرفة المحضة في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ [القصص: ٧٩]. وهو محتمل الأمرين: الوصف، والحال في قولك: يعجبني الزهر في أكمامه، وفي نحو: هذا ثمر يانع على أغصانه، لأن الزهر معرف بـ (ال) الجنسية فهو قريب من النكرة، وقولك: ثمر يانع موصوف فهو قريب من المعرفة، فيجوز في كل من الجار والمجرور في المثالين: أن يكون صفة، وأن يكون حالا.

وإن أتى المجرور والجار صله   أو حالًا أو جا صفةً مكمله

أو خبرًا فإنه قد علقا   بكائن أو استقر مطلقًا

(١) صدر البيت: أومت بعينها من الهودج.

خلا الصلة فهي باستقرًا   قد علقت عند النحاة طرًّا

هذه المسألة الثالثة:

من مسائل هذا الباب وهي: أنه متى وقع الجار والمجرور صلة لموصول، أو صفة لموصوف، أو حالا لذي حال، أو خبرا لمخبر عنه تعلق بمحذوف تقديره، كائن، أو استقر؛ إلا الواقعة صلة فيتعين فيه تقدير استقر اتفاقا؛ لأن الصلة لا تكون إلا جملة، والوصف مع مرفوعه المستتر فيه مفرد حكما. فمثال الصفة رأيت طائرا على غصن، ومثال الحال: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ﴾ [القصص: ٧٩]. ومثال الخبر: الحمد لله، ومثال الصلة: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنبياء: ١٩]. ويسمى الجار والمجرور في هذه المواضع الأربعة: بالظرف المستقر، بفتح القاف؛ لاستقرار الضمير فيه بعد حذف عامله، وفي غيرها بالظرف اللغو؛ لإلغاء الضمير فيه.

وجاز في المجرور بعد الجر   في خبر وما تلا في الذكر
وبعدما استفهام أو نفي بدا   أن يرفع الفاعل هذا أبدا
واختاره بغير شرط قد مضى   نحاة كوفة والأخفش الرضى
وقيل فيه خبر ومبتدأ   . . . .

هذه المسألة الرابعة وهي:

أنه إذا وقع الجار والمجرور بعد هذه الأربعة وهي: الصفة، والصلة، والحال، والخبر، وإذا وقع بعد الاستفهام وبعد النفي؛ فإنه يجوز أن يرفع الفاعل لاعتماده على ذلك، تقول: مررت برجل في الدار أبوه، فلك في (أبوه) وجهان: **أحدهما:** أن تقدره فاعلا بالجار والمجرور؛ لنيابته عن استقر أو مستقر محذوفا، وهو الراجح عند الحذاق من النحويين كابن مالك، وحجته في ذلك أن الأصل عدم التقديم والتأخير، **والوجه الثاني:** أن تقدره مبتدأ مؤخرا، وتقدر الجار والمجرور خبرا مقدما، والجملة من المبتدأ والخبر صفة لرجل، والرابط

بينهما الهاء من (أبوه)، وكذا تقول في الصلة والخبر والحال، وتقول في الواقع بعد النفي والاستفهام: ما في الدار أحد، وهل في الدار أحد، فلك في (أحد) الوجهان، قال الله تعالى ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ [إبراهيم: ١٠]. وأجاز الأخفش والكوفيون رفع الجار والمجرور للفاعل، في غير هذه المواضع[1] نحو: في الدار زيد. فزيد عندهم يجوز أن يكون فاعلا، ويجوز أن يكون مبتدأ مؤخرا، والجار والمجرور خبره، وأوجب البصريون غير الأخفش ابتدائيته.

تنبيه: جميع ما ذكرناه في الجار والمجرور من أنه لا بد له من تعلقه بفعل أو ما في معناه؛ ومن كونه صفة للنكرة المحضة، وحالا من المعرفة المحضة، ومحتملا للوصفية والحالية بعد غير المحضة منهما، وغير ذلك فإنه ثابت للظروف كما قال (وللظروف حكم جر وردا) فلا بد من تعلقه بفعل؛ زمانيا كان الظرف أو مكانيا.

فالأول نحو: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف: ١٦]. والثاني نحو: ﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ [يوسف: ٩]. أو بمعنى فعل، فالزماني نحو: زيد مبكر يوم الجمعة، والمكاني: زيد جالس أمام الخطيب، فالظرفان متعلقان باسم الفاعل، ومثال وقوعه صفة: مررت بطائر فوق غصن، ومثال وقوعه حالا: رأيت الهلال بين السحاب، ومثال وقوعه محتملا لهما: يعجبني الثمر فوق الأغصان، ورأيت ثمرة يانعة فوق غصن، ومثال وقوعه خبرا ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٢]. ومثال وقوعه صلة ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾ [الأنبياء: ١٩]. ومثال رفعه الفاعل الظاهر: زيد عنده مال، ويجوز تقديرهما مبتدأ وخبرا، ويجري في نحو: عندك زيد المذهبان.

---

(١) قوله: في غير هذه المواضع، هو معنى قول الناظم: واختاره بغير شرط، أي: ولو لم يتقدمه استفهام أو نفي.

فصل
في تفسير كلمات يحتاج إليها المعرب

يكثر في الكلام دورها، ويقبح بالمعرب جهلها وهي اثنتان وعشرون كلمة وهي على ثمانية أنواع:

أحدها: ما جاء على وجه واحد، وهي أربعة أشار إليها بقوله[1]:

قط وعوض أبدًا ظروف   لكنما استغراقها معروف

قط لما مضى وعوض أبدا   حتمًا للاستقبال حيث وردا

أحدها: (قط)[2] بفتح القاف وتشديد الطاء وضمها في اللغة الفصحى، وهي ظرف لاستغراق ما مضى من الزمان ملازم للنفي، تقول: ما فعلته قط. أي: لم يصدر مني فعله في جميع أزمنة الماضي. واشتقاقها من القط وهو القطع، فمعنى ما فعلته قط: ما فعلته فيما انقطع من عمري؛ لانقطاع الماضي عن الحال والاستقبال، فلا تستعمل إلا في الماضي، وقول العامة: لا أفعله قط لحن.

الثاني: عوض بفتح أوله وسكون ثانيه وتثليث آخره وإعجامه، وهو ظرف لاستغراق

---

(١) قوله: وهي أربعة. الصواب خمسة.

(٢) قوله: قط. أقول: جعل قط مما يأتي على وجه واحد، وقد ذكر ابن هشام في المغني أنها تأتي على ثلاثة أوجه، فذكر الوجه الذي ذكره المؤلف، والثاني: أن تكون بمعنى حسب، وهذه مفتوحة القاف ساكنة الطاء، والثالث: أن تكون اسم فعل بمعنى: يكفي، فيقال: قطني بنون الوقاية كما يقال: يكفيني، وتجوز نون الوقاية على الوجه الثاني؛ حفظًا للبناء على السكون، وقال في الوجه الأول: وبنيت لتضمنها معنى (مذ) و (إلى).

ما يستقبل من الزمان غالبا، ويسمى الزمان عوضا، لأنه كلما ذهبت منه مدة عوضتها مدة أخرى، تقول: لا أفعله عوض، أي: لا يصدر مني فعله في جميع أزمنة المستقبل وهو مبنى فإن أضفته أعربته ونصبته على الظرفية فقلت: لا أفعله عوض العائضين، كما تقول: دهر الداهرين، وكذلك مثل عوض في استغراق المستقبل (أبدا)[1] تقول فيها ظرف لاستغراق ما يستقبل من الزمان إلا أنها لا تختص بالنفي ولا تبنى.

أجل بها يـراد تصديق الخبر   بلى للايجاب لنفي قد ظهر

الثالث[2]: مما جاء على معنى واحد: (أجل) بفتح الهمزة والجيم وسكون اللام، ويقال فيها: بجل وهو حرف لتصديق الخبر مثبتا كان الخبر أو منفيا، يقال: جاء زيد وما جاء زيد، فتقول في الجواب: أجل، أي: صدقت.

الرابع[3]: مما جاء على وجه واحد: (بلى) وهو حرف موضوع لإيجاب الكلام المنفي أي لإثباته، وتختص بالنفي وتفيد إبطاله مجردا كان عن استفهام كقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ﴾ [التغابن: ٧]. أو مقرونا بالاستفهام الحقيقي نحو: أليس زيد بقائم؟ فيقال: بلى، أو التوبيخي نحو ﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ ﴾ [الزخرف: ٨٠]. أو التقريري نحو ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. أي: أنت ربنا.

النوع الثاني: ما جاء على وجهين وأشار إليه بقوله:

ظـرف للاستقبال خافض إذا   لـشـرطـه ولـلـمـفـاجـاة كـذا

(إذا) على وجهين: فتارة يقال فيها: ظرف مستقبل خافض لشرطه منصوب بجوابه في نحو: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [النصر: ١]. وتختص هذه بالدخول على الجملة الفعلية

---

(١) قوله: أبدًا، هي الكلمة الثالثة مما جاء على وجه واحد.

(٢) الرابع.

(٣) الخامس.

نحو: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [الرحمن: ٣٧]. وأما نحو: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الإنشقاق: ١]. فمحمول على إضمار الفعل كقوله: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ﴾ [النساء: ١٢٨]. وقد تخرج (إذا) عن المستقبل، فتكون ظرفا للماضي نحو: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجمعة: ١١]. ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١].

الوجه الثاني: لـ (إذا) أن يقال فيها: حرف مفاجأة فلا تحتاج إلى جواب، وتختص بالدخول على الجملة الاسمية نحو: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٨]. واختلف في (إذا) الفجائية: هل هي حرف، أو اسم، وهل هي ظرف مكان، أو ظرف زمان؛ أقوال وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥].

النوع الثالث: من الكلمات: ما جاء على ثلاثة أوجه، وهي سبعة أشار إليها بقوله:

وإذ فـظـرف للمضي واطـئـه وحــرف تعليل وللمفاجأة

تأتي (إذ) على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون ظرفا لما مضى من الزمان فتدخل على الجملتين: الاسمية والفعلية فالأولى نحو: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦]. والثانية نحو ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلًا﴾ [الأعراف: ٨٦]. وتستعمل للمستقبل نادرا نحو: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾ [غافر: ٧٠، ٧١].

والثاني: أن تكون للمفاجأة إذا وقعت بعد (بينا) أو (بينما)، فالأول نحو قولك: بينا أنا في ضيق إذ جاء الفرج، والثاني كقوله:

استقدر الله خيرًا وارضين به فبينما العسر إذ دارت مياسير

الثالث: أن تكون للتعليل كقوله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩]. أي: لأجل ظلمكم.

حـــرف وجـــود لـــوجـــود لما كـــذا لـلاسـتـثـنـا تـفـيـد جزما

هذه الثانية من الكلمات، وهي (لما) فتأتي على ثلاثة أوجه:

(فتارة) يقال فيها: حرف وجود لوجود في نحو: لما جاء زيد جاء عمرو، وتختص بالدخول على الماضي على الأصح، وذهب الفارسي أنها ظرف بمعنى حين.

وتارة يقال فيها: حرف جزم لنفي المضارع وقلبه ماضيا متصلا نفيه بالحال، متوقعا ثبوته في نحو: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص: ٨]. ألا ترى أن المعنى: أنهم لم يذوقوه إلى الآن، وأن ذوقهم له متوقع.

وتارة يقال فيها: حرف استثناء بمنزلة (إلا) الاستثنائية؛ في لغة هذيل في قولهم: أنشدك الله لما فعلت كذا، أي: ما أسألك إلا فعلك كذا، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]. ألا ترى أن المعنى: ما كل نفس إلا عليها حافظ.

حـــرف لتصديق وإعـــلام نعم وحرف وعد إي كذا مع القسم

الثالثة: من الكلمات التي جاءت على ثلاثة أوجه: (نعم) بفتحتين، فيقال: فيها حرف تصديق إذا وقعت بعد الخبر المثبت والمنفي، نحو: قام زيد، ما قام زيد، فيقال: نعم، ويقال فيها: حرف وعد إذا وقعت بعد الطلب نحو: أحسن إلى فلان فتقول: نعم، ومن مجيئها للإعلام بعد الاستفهام قوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤]. وهذا المعنى لم ينبه عليه سيبويه.

الرابعة: مما جاء على ثلاثة أوجه: (إي) بكسر الهمزة وسكون الياء المخففة وهي حرف جواب بمنزلة نعم فتكون لتصديق الخبر ولإعلام المستخبر ولوعد الطالب، فتقع بعد نحو قام زيد؟ وما قام زيد، وهل قام زيد؟ واضرب زيدا، كما تقع (نعم) بعدها، هذا مقتضى التشبيه إلا أنها تفارق (نعم) من حيث كونها تختص بالقسم بعدها، نحو قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣].

.... حتى لجر ولعطف وابتدا

هذه الكلمة الخامسة مما جاء على ثلاثة أوجه وهي (حتى).

فأحد أوجهها: أن تكون جارة؛ فتدخل على الاسم الصريح فتكون بمعنى إلى نحو: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥]. وتدخل على الاسم المؤول من أن مضمرة، ومن الفعل المضارع، وهي في ذلك على وجهين: فتكون تارة بمعنى إلى نحو: ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١]. لأن الأصل: حتى أن يرجع. وتارة تكون بمعنى كي نحو أسلم حتى تدخل الجنة وقد تحتملهما كقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. أي إلى أن تفيء أو كي تفيء.

والوجه الثاني: من أوجه (حتى): أن تكون حرف عطف تفيد مطلق الجمع كالواو، إلا أن المعطوف بها مشروط بأمرين.

أحدهما: أن يكون بعضا من المعطوف عليه.

والأمر الثاني: أن يكون المعطوف بها غاية له في شيء كالشرف نحو: مات الناس حتى الأنبياء، وعكسه نحو زارني الناس حتى الحجامون، وكالقوة والضعف كما قال الشاعر:

قهرناكم حتى الكماة فأنتم تهابوننا حتى بنينا الأصاغرا

والضابط أن يقال ما صح استثناؤه صح دخول حتى عليه وما لا فلا.

والوجه الثالث: من أوجه (حتى) أن تكون (حتى) ابتدائية فتدخل على ثلاثة أشياء على الجملة المبدوءة بالفعل الماضي نحو قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ [الأعراف: ٩٥]. وعلى المبدوءة بالمضارع نحو ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤]. في قراءة من رفع وعلى الجملة الاسمية كقوله:

حتى ماء دجلة أشكل كلا لردع ولتصديق بدا

ونحو كلا لا تطعه يحتمل معنى ألا أو حقًّا فافهم ما نقل

هذه الكلمة السادسة مما جاء على ثلاثة أوجه وهي:

كلا: فيقال فيها تارة: حرف ردع وزجر كالتي في قوله تعالى ﴿ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّا ﴾ [الفجر: ١٦،١٧] : أي انته وانزجر عن هذه المقالة، ويقال فيها تارة: حرف جواب وتصديق بمنزلة إي بكسر الهمزة، كالتي في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴾ [المدثر: ٣٢]. ويقال فيها تارة: حرف بمعنى حقا أو ألا بفتح الهمزة، واللام المخففة الاستفتاحية على خلاف في ذلك نحو ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾[العلق: ١٩]. فالمعنى على الأول حقا لا تطعه، وعلى الثاني ألا لا تطعه، والصواب الثاني لكسر الهمزة في قوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦] كما تكسر بعد ألا الاستفتاحية، ولو كانت بمعنى حقا لفتحت الهمزة كما في قوله: (أحقا أن جيرتنا استقلوا).

تجيء لا نافية وناهيه زائدة فكن لذاك واعيه

هذه الكلمة السابعة مما جاء على ثلاثة أوجه، وهي (لا) فتكون: تارة نافية، وتارة ناهية، وتارة زائدة فالنافية تعمل في النكرات عمل إن كثيرا؛ فتنصب الاسم، وترفع الخبر إذا أريد بها نفي الجنس على سبيل التنصيص، نحو: لا إله إلا الله، وتارة تعمل عمل (ليس) قليلا، فترفع الاسم، وتنصب الخبر إذا أريد بها نفي الجنس على سبيل الظهور، أو أريد بها نفي الواحد.

فالأول كقوله:

تعز فلا شيء على الأرض باقيا ولا وزر مما قضى الله واقيًا

والثاني كقولك: لا رجل قائما بل رجلان.

والناهية تجزم المضارع نحو: ﴿ وَلَا تَمْنُن ﴾ [المدثر: ٦]. ﴿ فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ﴾ [الإسراء: ٣٣]. والزائدة دخولها كخروجها، وفائدتها التقوية والتأكيد، نحو: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾[الأعراف: ١٢]. أي: أن تسجد.

النوع الرابع: ما جاء على أربعة أوجه، وهو أربع:

إحداها: (لولا) كما ذكرها بقوله:

لولا امتناع لوجود مثبتًا وحرف تحضيض وتوبيخ أتى
كذا للاستفهام والنفي ترد ....

(لولا) تأتي على أربعة أوجه:

أحدها: أن يقال فيها: حرف يقتضي امتناع جوابه لوجود شرطه، وتختص بالجملة الاسمية المحذوفة الخبر وجوبا غالبا، وذلك إذا كان الخبر كونا مطلقا نحو: لولا زيد لأكرمتك، ومن هذا: لولاي لكان كذا، أي لولا أنا موجود.

الثاني: أن يقال فيها: حرف تحضيض، ويقال فيها: حرف عرض، والتحضيض هو: الطلب بإزعاج، والعرض: الطلب برفق، فتختص فيهما بالجملة الفعلية المبدوءة بالمضارع، أو ما في تأويله، نحو: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ [النمل: ٤٦]. ونحو: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨]. والعرض نحو: لولا تنزل عندنا فتصيب خيرا، ونحو: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠].

الثالث: أن يقال فيها: حرف توبيخ فتختص بالجملة الفعلية المبدوءة بالماضي، نحو ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

الرابع: أن يقال فيها: حرف استفهام تختص بالماضي، نحو: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾. ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الفرقان: ٧]. قاله الهروي، والظاهر أنها في الآية الأولى للعرض، وفي الثانية للتحضيض، وزاد الهروي معنى آخر وهو أن تكون نافية بمنزلة (لم)، وجعل منه ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ [يونس: ٩٨]. أي لم تكن، والظاهر أن المراد بـ(لولا) هنا هلا، ويلزم منه معنى النفي.

.... وإن لنفيٍ ولشرطٍ قد عهد
كذا لتخفيف من الثقيل زائدةً أيضًا فحقق قيلي

الثانية: مما جاء على أربعة أوجه، (إن) المكسورة الهمزة المخففة النون، فيقال فيها تارة: شرطية ومعناها تعليق حصول مضمون جملة بحصول مضمون جملة أخرى، كالتي في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾[آل عمران: ٢٩]. وحكمها أن تجزم فعلين مضارعين أو ماضيين أو مختلفين، يسمى الأول شرطا والثاني جوابا وجزاء، وتارة يقال فيها: نافية، وتدخل على الجملة الاسمية والفعلية الماضية، نحو: ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ﴾[يونس: ٦٨]. ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ﴾[التوبة: ١٠٧]. والمضارعية كالتي في نحو: ﴿إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ ﴾[فاطر: ٤٠]. وأهل العالية يعملونها عمل ليس، نحو: إن أحد خيرا من أحد إلا بالعافية، وقول الشاعر:

إن هو مستوليًا على أحد ... إلا على أضعف المجانين

وقد اجتمعت الشرطية والنافية في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ﴾[فاطر: ٤١]. وتارة يقال فيها: مخففة من الثقيلة، كالتي في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ ﴾[هود: ١١١]. في قراءة من خفف الثقيلة، ويقل إعمالها إذا خففت، ومن إهمالها قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[الطارق: ٤]. في قراءة من خفف (لما)، وأما من شدد فهي عنده نافية. وتارة يقال فيها: زائدة والغالب أن تقع بعد ما النافية نحو: ما إن زيد قائم، وتكف ما الحجازية عن العمل، وحيث اجتمعت ما وإن؛ فإن تقدمت ما على إن فما نافية، وإن زائدة؛ وإن تقدمت إن على ما، فإن شرطية وما زائدة؛ نحو: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾[الأنفال: ٥٨].

وأن بفتح فهو حرف مصدر ... وحرف تفسير فأوحينا اذكر

مخفف من الثقيل زائد ... .

هذه الثالثة مما جاء على أربعة أوجه وهي: (أن) بفتح الهمزة وسكون النون فتارة تكون حرف مصدري تؤول مع صلتها بالمصدر وتنصب المضارع نحو: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾[النساء: ٢٨]. و (أن) هذه هي الداخلة على الماضي في قولك: أعجبني أن صمت،

بدليل أنها تؤول بالمصدر، أي: صيامك، وتارة تكون زائدة لتقوية المعنى وتوكيده، كالتي في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦]. وكذا حيث جاءت بعد لمّا، أو وقعت بين فعل القسم ولو كقوله: وأقسم أن لو التقينا، أو بين الكاف ومجرورها كقوله: كأن ظبية تعطو. في رواية الجر. وتارة يقال فيها: مفسرة[1] فتكون بمنزلة (أي) التفسيرية كالتي في نحو: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ [المؤمنون: ٢٧]. وكذا حيث وقعت بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه، ولم تقترن بخافض وتتأخر عنها جملة اسمية أو فعلية، فالفعلية كالمثال المتقدم، والاسمية نحو: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾ [الأعراف: ٤٣]. وليس منها ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]. لأن المتقدم عليها غير جملة، وإنما هي أن المصدرية ولا نحو: ذكرت عسجدا أن ذهبا، لأن المتأخر عنها مفرد لا جملة، فيجب أن يؤتى بأي مكانها، ولا نحو: قلت له أن افعل، لأن الجملة المتقدمة عليها فيها حروف القول، ويقال فيها: تارة مخففة من الثقيلة كالتي في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ [المزمل: ٢٠]. ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [المائدة: ٧١]. في قراءة الرفع، وكذا حيث وقعت بعد (علم) أو (ظن) ينزل منزلة العلم:

....	ومن للاستفهام لفظ وارد
نكرة موصوفة شرطيه	موصولة أقسامها مرعيه

الرابعة: مما جاء على أربعة أوجه: (من) بفتح الميم فتكون تارة استفهامية كالتي في قوله تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]. فتحتاج إلى جواب، وتكون تارة نكرة موصوفة

(١) قوله: مفسرة، قال في المغني: وعن الكوفيين إنكار أن التفسيرية البتة وهو عندي متجه؛ لأنه إذا قيل: كتبت إليه أن قم. لم يكن (قم) نفس (كتبت) كما كان الذهب نفس (العسجد) في قولك: هذا عسجد، أي: ذهب، ولهذا لو جئت بـ (أي) مكان (أن) في المثال لم تجده مقبولًا في الطبع، ولها عند مثبتها شروط، قلت ذكرها خمسة: **أحدها:** أن تسبق بجملة، **الثاني:** أن يتأخر عنها جملة، **الثالث:** أن يكون في الجملة السابقة معنى، **القول الرابع:** ألا يكون فيها حروف **القول الخامس:** ألا يدخل عليها جار.

كالتي في نحو: مررت بمن معجب لك أي بإنسان معجب لك، فتحتاج إلى صفة، وتكون تارة شرطية كالتي في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]. وتارة تكون موصولة كالتي في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ [البقرة: ٨].

النوع الخامس: ما يأتي على خمسة أوجه وذكرها بقوله:

أي على معنى الكمال دلت — موصولة للشرط قد تولت

مستفهم بها ووصلة إلى — نداء لفظ ما به أل وصلا

كذا في الاستفهام حرف شرط — مرادف لإن فحقق ضبط

(أي) تأتي على خمسة أوجه: فتارة تكون شرطية فتحتاج إلى شرط وجواب، والأكثر أن تتصل بها ما الزائدة نحو: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ [القصص: ٢٨]. وتقع تارة استفهامية، فتحتاج إلى جواب نحو: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]. وتقع تارة موصولة نحو: ﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ [مريم: ٦٩]. أي: الذي هو أشد، وتقع تارة دالة على معنى الكمال للموصوف بها في المعنى، فتقع صفة لنكرة قبلها نحو: هذا رجل أي رجل، وتكون حالا لمعرفة قبلها كمررت بعبد الله أي رجل: بنصب (أي) على أنه حال من عبد الله وتقع تارة وصلة لنداء ما فيه (أل) نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الإنفطار: ٦].

وبعد ود لو فهو حرف مصدر — مرادف لإن ولكن قد عري

من نصب أو جزم وللتمني — والعرض والتحضيض يا ذا الذهن

الكلمة الثانية مما جاء على خمسة أوجه (لو).

فأحد أوجهها: أن تكون حرف شرط في الماضي نحو: لو جاءني زيد أكرمته وإذا دخلت على المضارع صرفته إلى الماضي نحو: لو يفي كفى، فيقال فيها حرف يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه نحو: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٦].

والثاني: من أوجه (لو): أن تكون حرف شرط في المستقبل مرادفا لـ (إن) الشرطية إلا أن (لو) لا تجزم، كقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾ [النساء: ٩]. أي: إن تركوا، أي: شارفوا أو قاربوا أن يتركوا.

الوجه الثالث: أن تكون حرفا مصدريا مرادفا لـ (أن) المصدرية إلا إنها لا تنصب، وأكثر وقوعها بعد (ود) نحو: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ [القلم: ٩]. أو بعد (يود) نحو: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾ [البقرة: ٩٦].

الرابع: أن تكون للتمني بمنزلة (ليت) إلا أنها لا تنصب، ولا ترفع نحو: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [الشعراء: ١٠٢].

الخامس: أن تكون للعرض نحو: لو تنزل عندنا فتصيب خيرا.

وذكر بعضهم لها معنى سادسا، وهو أن تكون للتقليل نحو قوله ﷺ: **«تصدقوا ولو بظلف محرق»**(١).

النوع السادس: ما يأتي على سبعة أوجه وهو (قد).

قد بمعنى حسب وهي اسم ... كذاك يكفي وهي أيضًا قسم
تفيد للتحقيق والتوقع ... كذا لتقريب المضي فاسمع
كذاك للتقليل والتكثير ... وقد يُرى في كلم القدير

(قد) تأتي على سبعة أوجه:

أحدها: أن تكون اسما بمعنى حسب، وفيها مذهبان أحدهما: أنها معربة فيقال فيها: إذا أضيفت إلى ياء المتكلم: قدي بغير نون، كما يقال: حسبي درهم، **والثاني**: أنها مبنية على السكون لشبهها بالحرفية لفظا.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وهو بلفظ: **«ردُّوا السائل ولو بظلف محرق»**. أحمد(٢٧٤٥٠).

الوجه الثاني: أن تكون بمعنى يكفي، وهي مبنية اتفاقا، وتتصل بها ياء المتكلم، فيقال قدني درهم بالنون وجوبا كما يقال: يكفيني درهم.

الوجه الثالث: أن تكون للتحقيق، فتدخل على الفعل الماضي نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [المؤمنون: ١]. قيل: وعلى المضارع نحو: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٨].

الوجه الرابع: أن تكون للتوقع فتدخل عليهما أيضا تقول: قد يخرج زيد، فدل على أن الخروج منتظر متوقع، وتقول في الماضي: قد خرج زيد لمن يتوقع خروجه، وفي التنزيل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]. لأنها كانت تتوقع سماع شكواها، وزعم بعضهم أنها لا تكون للتوقع في الماضي.

الوجه الخامس: أن تكون لتقريب زمن الماضي من زمن الحال نحو: قد قام، فإنك قربت الماضي من الحال، ولهذا تلزم (قد) مع الماضي الواقع حالا إما ظاهرة في اللفظ نحو: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩]. أو مقدرة نحو: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥].

الوجه السادس: أن تكون للتقليل وهو ضربان: **الأول**: تقليل وقوع الفعل نحو: قد يصدق الكذوب، وقد يجود البخيل، **والثاني**: تقليل متعلقه نحو: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤]. أي: إنما هم عليه أقل معلوماته.

الوجه السابع: أن تكون للتكثير كما في قوله:

قد أترك القِرن مصفرًا أنامله   كأن أثوابه مُجَّت بفِرصاد

وقاله الزمخشري في قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ [البقرة: ١٤٤]. ربما نرى، ومعناه: كثرة الرؤية[1].

النوع السابع: ما يأتي على ثمانية أوجه.

---

(١) الكشاف ١/ ٢٣٨.

واو للاستئناف ثم الحال كذا المفعول له وجمع تالي

لقسم ورب عطف زائده فهذه الأقسام فيها وارده

الواو تأتي على ثمانية أوجه، وذلك أن لنا واوين يرتفع ما بعدهما من الاسم والفعل المضارع، وهما واو للاستئناف، وواو للحال، فواو الاستئناف هي الواقعة في ابتداء كلام آخر غير الأول، نحو: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ [الحج: ٥]. فإنها لو كانت للعطف لانتصب الفعل، وواو الحال هي الداخلة على الجملة الحالية اسمية كانت أو فعلية، وتسمى واو الابتداء نحو: جاء زيد والشمس طالعة. ولنا واوان ينتصب ما بعدهما من الاسم والفعل المضارع وهما: واو المفعول معه، نحو: سرت والنيل، وواو الجمع الداخلة على المضارع المسبوق بنفي أو طلب نحو: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]. وقول أبي الأسود:

لا تنه عن خلق وتأتيَ مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ولنا واوان ينجر ما بعدهما وهما: واو القسم نحو: ﴿وَٱلتِّينِ﴾ [التين: ١]. وواو رب كقوله:

وبلدةٍ ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

أي: ورب بلدة: ولنا واو يكون ما بعدها على حسب ما قبلها وهي واو العطف، وهذه هي الأصل، ولنا واو يكون دخولها في الكلام كخروجها وهي الزائدة نحو: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣][(١)].

الثامن: ما يأتي على اثني عشر وجها وهو (ما) وقد ذكرها بقوله:

معرفة ذات تمام ما قل وذات نقص ولشرط فاقبل

(١) قلت: وبعضهم يسميها واو الثمانية كهذه الآية وكآية أصحاب الكهف: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

نكرة موصوفة تعجب ... نكرة فصف بها ما تطلب
موصولة كذا للاستفهام ... واسمًا أتت في هذه الأقسام
وإن تكن حرفًا فمصدريه ... ظرفية وغير ما ظرفيه
زائدة نافية وكافه ... عن رفع او نصب وجر كافه

هذه آخر الأنواع، وهي (ما) وهي على ضربين: اسمية وحرفية، فالاسمية أوجهها سبعة:

أحدها: أن تكون معرفة تامة فلا تحتاج إلى شيء، وهي ضربان: عامة وخاصة.

فالعامة: هي التي لم يتقدمها اسم تكون هي وعاملها صفة له في المعنى نحو قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]. **والخاصة:** هي التي يتقدمها اسم تكون هي وعاملها صفة له في المعنى، وتقدر من لفظ ذلك الاسم المتقدم نحو: غسلته غسلا نعمّا، ودققته دقا نعمًّا، أي نعم الغسل، ونعم الدق.

والثاني: أن تكون معرفة ناقصة وهي الموصولة، وتحتاج إلى صلة وعائد نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ [الجمعة: ١١].

والثالث: أن تكون شرطية نحو: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧].

والرابع: أن تكون استفهامية نحو: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧]. ويجب في ما الاستفهامية حذف ألفها إذا كانت مجرورة بحرف نحو: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ: ١]. ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]. فحذفت الألف فرقا بين الاستفهامية والخبرية.

والخامس: أن تكون نكرة تامة غير محتاجة إلى صفة وذلك في ثلاثة مواضع:

أحدها: الواقعة في باب نعم وبئس نحو: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾. ونعم ما صنعت أي: نعم شيئا شيء صنعته.

والثاني: قولهم إذا أرادوا المبالغة في الإكثار من فعل: إني مما أن أفعل، أي: أني مخلوق من

أمر هو فعل كذا وكذا وذلك على سبيل المبالغة مثل: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

الثالث: التعجب نحو: ما أحسن زيدا! فما نكرة تامة.

والسادس: أن تكون ما نكرة موصوفة كقولهم: مررت بما معجب لك، أي: شيء معجب، ومنه: نعم ما صنعت. أي: نعم شيء صنعت.

والسابع: أن تقع ما نكرة موصوفة بها نكرة قبلها؛ إما للتحقير، أو التعظيم، أو للتنويع نحو: ﴿ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾ [البقرة: ٢٦]. وقول العرب. لأمر ما: جدع قصير أنفه، وقولهم: ضربته ضربا ما.

والضرب الثاني: أن تكون حرفية وأوجهها خمسة.

أحدها: أن تكون نافية فتعمل في دخولها على الجمل الاسمية عمل ليس في لغة الحجازيين نحو: ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾ [يوسف: ٣١].

والثاني: مصدرية غير ظرفية نحو: ﴿ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦]. أي بنسيانهم إياه.

والثالث: مصدرية ظرفية، نحو: ﴿ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣١].

والرابع: تكون كافة عن العمل إما عن عمل الرفع كقوله:

صددت فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

فـ (قلَّ) فعل ماض، وما كافة له عن طلب الفاعل، وأما وصال فهو فاعل بفعل محذوف يفسره الفعل المذكور وهو يدوم، ولم يكف ما من الأفعال إلا قل وطال وكثر.

وإما أن تكون كافة عن عمل النصب والرفع وذلك مع إن وأخواتها، نحو: ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [النساء: ١٧١].

وإما أن تكون كافة عن عمل الجر نحو: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢].

والوجه الخامس: أن تكون زائدة وتسمى هي وغيرها من الحروف الزوائد صلة وتأكيدا: نحو: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠]. أي: فبرحمة، وعن قليل، وما صلة مؤكدة.

فصل

في ألفاظ محررة

أي مهذبة منقحة.

قل فعل ما لم يسم فاعله   في نحو هذا قبلت أنامله

ونائبًا عن فاعل فيما يلي   ....

أي: ينبغي لك أن تقول في نحو: ضُرب زيد، فعل ماض لم يسم فاعله، أو فعل ماض مبني للمجهول، ولا تقل: مبني لما لم يسم فاعله لما فيه من التطويل والخفاء، وينبغي أن تقول في (زيد): نائب عن الفاعل، ولا تقل: مفعول لما لم يسم فاعله لخفائه وطوله وصدقه على (درهما) من أعطي زيد درهما.

....   (وقد لتقليل وتحقيق تلي)

أي: ينبغي أن تقول في (قد): حرف لتقليل زمن الماضي، وتقريبه من الحال وتقليل حدث المضارع ولتحقيق حدثيهما.

لن حرف نصب قد نفى المستقبلا   ....

أي: ينبغي أن تقول في (لن): حرف نفي ونصب واستقبال، وينبغي أن تقول في: (لم حرف جزم قد نفاه جاعلا معناه ماضيا). أو قل فيها: حرف جزم ونفي للمضارع وقلبه ماضيا.

(و) أن تقول (في أما) المفتوحة الهمزة المشددة الميم (حرف شرط وتفصيل وتوكيد أمّا) من نحو: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]. وأما نحو: أما زيد فمنطلق، فأما حرف شرط وتوكيد بدون تفصيل (و) ينبغي أن نقول في (أن فحرف مصدري ينصب مضارعا).

ويخلصه للاستقبال (وفاء شرط تعرب) أي قل في الفاء التي بعد الشرط: الفاء رابطة لجواب الشرط، ولا تقل: جواب الشرط؛ لأن الجواب الجملة بأسرها لا الفاء وحدها، فلهذا قال:

جـــوابـــه رابـــطـــة ولا تـــقـــل جواب شرط بل كما قلت فقل

أمـــام زيـــد بـــإضـــافـــة خفض فلا تقل بالظرف فهو قد رفض

ينبغي أن تقول في نحو (زيد) بالجر من: جلست أمام زيد، مخفوض بالإضافة، ولا يقال: مخفوض بالظرف، لأن المقتضي للخفض إنما هو الإضافة، أو المضاف لا كون المضاف ظرفا بخصوصه.

فـــاء فـــصـــل لا تـــقـــل للعطف فـــاء ســـبـــبـــيـــة فـــقـــل لـــعـــرف

يعني أنه ينبغي أن تقول بالفاء في نحو: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ١، ٢]. فاء السببية، ولا تقل: فاء العطف؛ لأنه لا يجوز عطف الطلب على الخبر، ولا العكس.

لمطلق الجمع بواوٍ قد عطف حـــتـــى لـــجـــمـــع ولـــغـــايـــة عـــرف

ينبغي أن تقول بالواو العاطفة: الواو حرف عطف لمطلق الجمع، وأن تقول في (حتى) من قولك: قدم الحجاج حتى المشاة: حتى حرف عطف للجمع والغاية والتدريج (و) أن تقول في ثم للمهلة والترتيب (و) أن تقول في (الفاء للترتيب) به (والتعقيب) وإذا اختصرت فيهن فقل: عاطف ومعطوف.

أكـــد بـــأن وانـــصـــبـــن وارفـــعـــا زد مـــصـــدريًّـــا إن بفتح وقعا

ينبغي أن تقول في (إن) المكسورة المشددة: حرف توكيد ينصب الاسم ويرفع الخبر، وتزيد في (أن) المفتوحة الهمزة فتقول في (أن): حرف توكيد ومصدر، ينصب الاسم ويرفع الخبر، وتقول في (كأن): حرف تشبيه ينصب الاسم ويرفع الخبر، وفي (لكن): حرف

استدراك ينصب الاسم ويرفع الخبر، وفي (لعل): حرف ترج ينصب الاسم ويرفع الخبر، وفي (ليت): حرف تمن ينصب الاسم ويرفع الخبر.

خاتمة

وينبغي للناس في الإعراب بحث عن المهم في الأبواب
كمثل فاعل لفعل أو خبر كذا إذا مر بظرف أو بحرف جر
بين محذوفًا به تعلقا وصلة الموصول أيضًا حققا
وإن أتى بجملة فيذكر لها المحل فهو حقا أجدر
كذاك في الذي وذا لا يقتصر بقول موصول إشارة ذكر
بل ليقول فاعل وهو كذا كذاك في المضاف فاعرفن ذا
جزء المضاف الجر فيه وارد ولا تقل في الذكر لفظ زائد
وبعضهم عبر عنه بصله وبعضهم مؤكدًا قد جعله
وكملت والحمد للرحمن ثم صلاة الملك الديان
على النبي المصطفى المختار وآله وصحبه الأطهار

اعلم أنه يعاب على الناشئ في صناعة الإعراب أن يذكر فعلا: ماضيا أو مضارعا أو أمرا، ولا يبحث عن فاعله إن كان له فاعل، ولو قال المؤلف أن يذكر عاملا، ولا يبحث عن معموله لكان أشمل، ليدخل في العامل جميع الأفعال وأسمائها والمصادر وأسمائها والصفات وما في معناها.

ويدخل في المعمول الفاعل ونائبه، واسم كان وأخواتها، وخبر إن وأخواتها، وما أشبه ذلك، ولا ينبغي أن يذكر مبتدأ ولا يبحث عن خبره، أهو مذكور أو محذوف؟ وجوبا أو جوازا؟ أو يذكر ظرفا أو مجرورا لهما متعلق، ولا ينبه على متعلقه أهو فعل أو شبهه،

أو يذكر جملة: اسمية أو فعلية، ولا يذكر ألها محلا من الإعراب أم لا، وهل المحل رفع أم نصب أم خفض أم جزم؟ أو يذكر موصولا ولا يذكر صلته وعائده.

ومما يعاب على الناشئ في صناعة الإعراب أن يقتصر في إعراب الاسم المبهم من نحو: قام ذا أو قام الذي أن يقول: ذا اسم إشارة أو الذي اسم موصول، فإن ذلك لا ينبني عليه إعراب، فالصواب أن يقال: فاعل، وهو اسم إشارة أو: فاعل، وهو اسم موصول، ومما لا ينبني عليه إعراب أن تقول في (غلام) من نحو: (غلام زيد): مضاف مقتصرا عليه فإن المضاف ليس له إعراب مستقر كما في الفاعل ونحوه، وإنما إعرابه بحسب ما يدخل عليه، فالصواب أن يبين فيقال: فاعل أو مفعول، أو نحو ذلك بخلاف المضاف إليه فإن له إعرابا مستقرا وهو الجر بالمضاف، فإذا قيل: مضاف إليه. علم أنه مجرور لفظا أو محلا.

وينبغي للمعرب ألا يعبر عما هو موضوع على حرف واحد بلفظه، فيقول في الضمير المتصل بالفعل من نحو: ضربت. (ت): فاعل، إذ لا يكون اسم هكذا، فالصواب أن يعبر عنه باسمه الخاص أو المشترك، فيقول التاء أو الضمير فاعل، أما ما صار بالحذف على حرف واحد فلا بأس بذلك فتقول: في (مُ) مبتدأ حذف خبره لأنه بعض أيمن وفي (قِ) من نحو قولك: قِ نفسك، فعل أمر لأنه من الوقاية، فإن كان موضوعا على حرفين ينطق به فتقول: (مَنْ) اسم استفهام وما أشبه ذلك.

ولا يحسن أن يعبر عن الكلمة بحروف هجائها فلا يقول: الميم والنون اسم استفهام، ولذلك كان قولهم (أل) في أداة التعريف أقيس من قولهم الألف واللام، وينبغي أن يجتنب المعرب أن يقول في حرف من كتاب الله زائدا، تعظيما له؛ لأنه يسبق إلى الأذهان أن الزائد هو الذي لا معنى له أصلا، وكلامه منزه عن ذلك، ومن فهم خلاف ذلك فقد وهم، وقد وقع هذا الوهم للرازي.

والزائد عند النحويين هو الذي لم يؤت به إلا لمجرد التقوية والتوكيد، لا أن الزائد هو المهمل كما توهمه الرازي. وكثير من النحويين المتقدمين يسمون الزائد (صلة) ... وبعضهم

يسميه (مؤكدا) وفي هذا القدر كفاية لمن تأمله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

كتبه الفقير إلى الله عبد الرحمن بن ناصر السعدي، غفر الله له، ولوالديه ولجميع المسلمين.

حرر ١٠ ربيع أول سنة ١٣٣٤هـ ونقلته من خط شيخنا، وأنا الفقير إلى عفو الله ومغفرته محمد بن سليمان بن عبد العزيز آل بسام، وكان الفراغ من كتابتها ليلة السبت الخامس عشر من رجب عام ١٣٦٥هـ وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

نظم معنى حديث

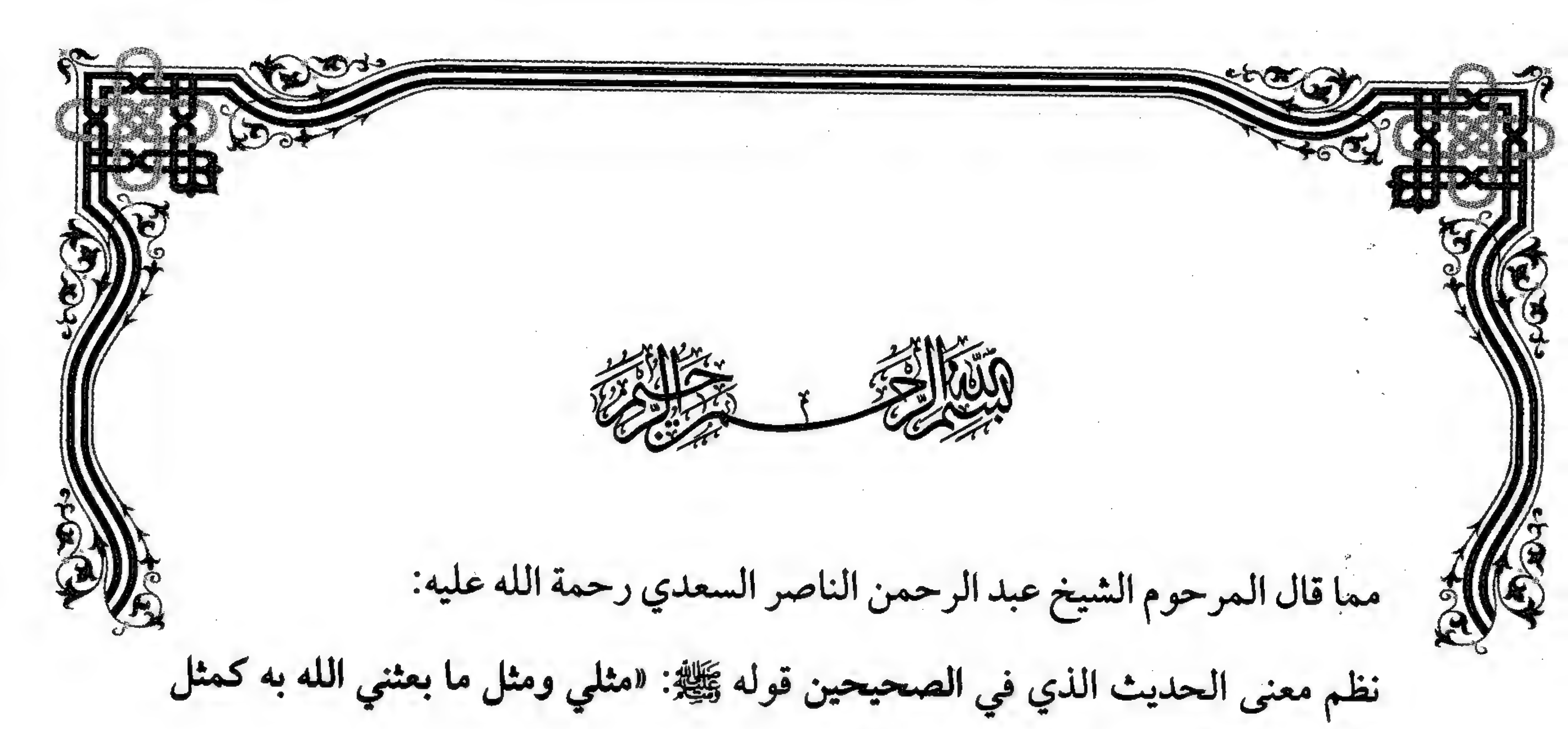
مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل غيث أصاب أرضًا...

تأليف

الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله



مما قال المرحوم الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي رحمة الله عليه:

نظم معنى الحديث الذي في **الصحيحين** قوله ﷺ: **«مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل غيث أصاب أرضًا...»** إلى آخر الحديث[1].

قال رحمه الله يحث على طلب العلم: [من البسيط]

قد طال شوقي إلى الأحباب والفكر — وقد عراني لذاك الهمُّ والسهرُ
وكم يجيش الهوى قلبي فيتركني — لا أستفيق لما آتي وما أذر
وكم نصيح أتى يوما ليعذلني — فصار يعذرني فيهم ويعتذر
يا لائمي في الهوى صعبا أضر به — طول البعاد عن الأحباب مذ هجروا
فبات يرعى الدراري من تشوقه — قد بات منه الحشا والقلب ينفطر
لو كنت تدري الهوى أو قد بليت به — وذقت آلامه كالنار تستعر
لما نطقت ولم ينطق بلائمة — لوم المحبين ذنب ليس يغتفر

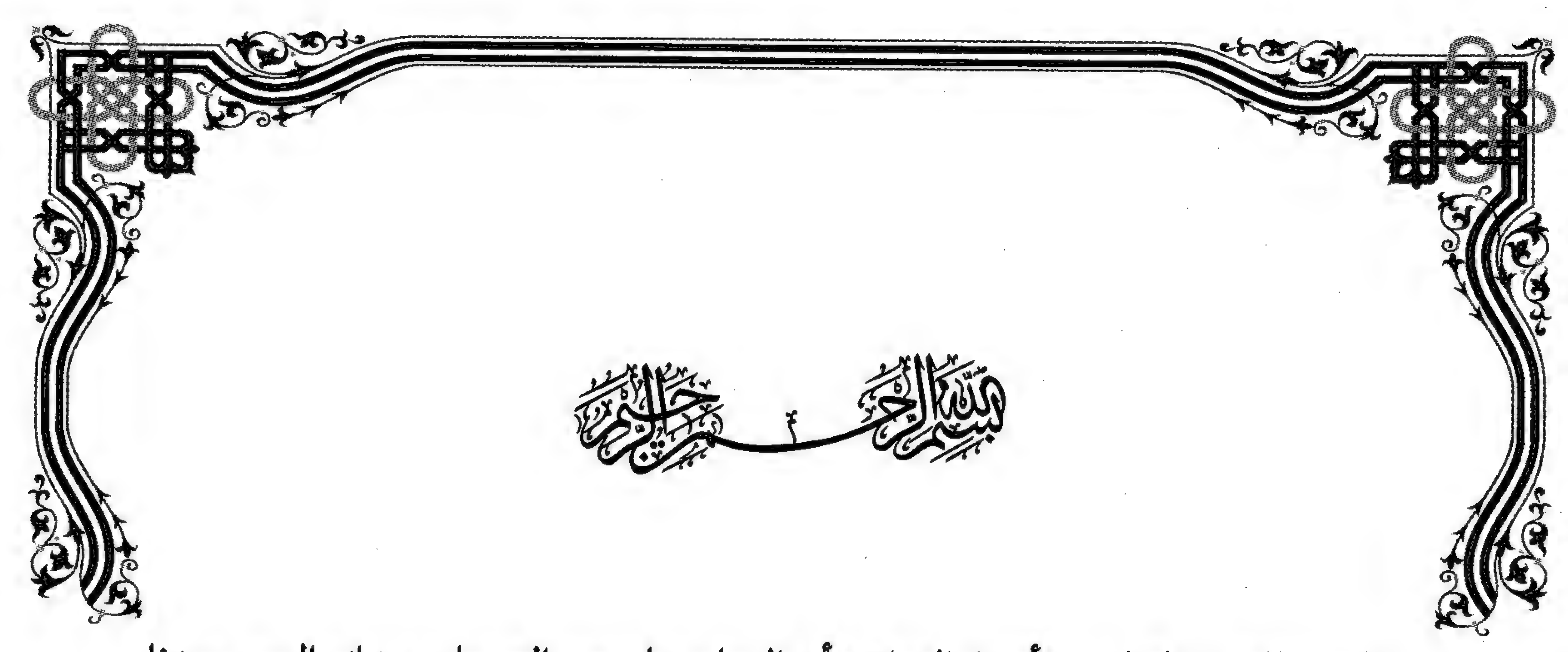
(١) الحديث: عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان؛ لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».
أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

دع عنك ذكر الهوى والمولعين به   وانهض إلى منزل عال به الدرر
تسلو بمربأه عن كل غالية   وعن نعيم لدينا صفوه كدر
وعن نديم به يلهو مجالسه   وعن رياض كساه النور والزهر
انهض إلى العلم في جدٍّ بلا كسل   نهوض عبد إلى الخيرات يبتدر
واصبر على نيله صبر المجد له   فليس يدركه من ليس يصطبر
فكم نصوص أتت تثني وتمدحه   للطالبين بها معنى ومعتبر
أما نفى الله بين العالمين به   والجاهلين مساواة إذا ذكروا
وقال للمصطفى معْ ما حباه به   ازدد من العلم في علم به بصر
وخصص الله أهل العلم يشهدهم   على العبادة والتوحيد فاعتبروا
وذم خالقنا للجاهلين به   في ضمنه مدح أهل العلم منحصر
وفي الحديث ان يرد رب الورى كرما   بعبده الخير والمخلوق مفتقر
أعطاه فقها بدين الله يحمله   يا حبذا نعمًا تأتي وتنتظر
أما سمعت مثالا يستضاء به   ويستفز ذوي الألباب إن نظروا
بأن علم الهدى كالغيث ينزله   على القلوب فمنها الصفو والكدر
أما الرياض التي طابت فقد حسنت   منها الربى بنبات كله نضر
فأصبح الخلق والأنعام راتعة   بكل زوج بهيج ليس ينحصر
وبعضها سبخ ليست بقابلة   إنبات عشب به نفع ولا ضرر
يكفيك بالعلم فضلا أن صاحبه   بالعز نال العلا والخير ينتظر
يكفيك بالجهل قبحا أن صاحبه   ينفيه عن نفسه والعلم يبتكر
يكفيك بالجهل قبحا أن مؤثره   قد آثر المطلب الأدنى ويفتخر

أي المفاخر ترضى أن تزان بها ... أجهلك النفس جهلا ما له قدر
أم بالجهالة منك في شريعته ... كيف الصلاة وكيف الصوم والطهر
أم كيف تعقد عقدا نافذا أبدا ... كيف الطلاق وكيف العتق يا غدر
أم افتخارك بالجهل البسيط نعم ... وبالمركب لا تبقي ولا تذر
تبًا لعقل رزين قد أحاط به ... مع الجهالة دين الذنب والغرر
كم بين من هو كسلان أخو ملل ... فما له عن ضياع الوقت مزدجر
قد استلان فراش العجز مرتفقا ... حتى أتى المضعفات الشيب والكبر
وبين من هو ذو شوق أخو كلف ... على العلوم فلا يبدو له الضجر
يرعى التقي ويرعى من تحفظه ... أوقاته من ضياع كله ضرر
لا يستريح ولا يلوي أعنته ... عن الوصول إلى مطلوبه وطر
يلفيه طورا على كتب يطالعها ... يحلو له من جناها ما حوى الفكر
تلهيه عن روضة غناء مزهرة ... أطيارها غردت والماء منهمر
وباحثا تارة مع كل منتسب ... يبغي الرشاد فلا يطغى ويحتقر
واهـا لـه رجـلا فـردا محاسنه ... بالحزم والعزم هان الصعب والعسر

منظومة القواعد الفقهية

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
رحمه الله



الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

يقول فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله:

١. الحمدُ للَّـهِ العليِّ الأَرفـقِ — وجامعِ الأَشيـاءِ والمفـرّقِ
٢. ذي النعمِ الواسعةِ الغزيره — والحِكَمِ الباهرة الكثيره
٣. ثُمَّ الصلاةُ معْ سلامٍ دائمِ — على الرسولِ القرشي الخاتمِ
٤. وآلـهِ وصحبهِ الأَبـرارِ — الحائزي مراتبَ الفَخارِ
٥. اعلمْ هُديت أنَّ أَفضلَ المننْ — علمٌ يزيلُ الشكَّ عنكَ والدَّرنْ
٦. ويكشفُ الحقَّ لذي القلوبِ — ويُوصِلُ العبدَ إلى المطلوبِ
٧. فاحرِصْ على فَهمِكَ للقواعِدِ — جامِعَة المسائلِ الشوارِدِ
٨. لِتَرتقي في العلمِ خيرَ مُرتقى — وتَقْتَفِي سُبْلَ الذي قد وُفِّقَا
٩. وهـذه قـواعـدٌ نظمتُها — من كُتُبِ أهلِ العلمِ قد حصَّلتُها
١٠. جزاهُمُ المولى عظيمَ الأجرِ — والعفوَ معْ غُفرانِهِ والبرِّ
١١. والنيَّةُ شرطٌ لسائرِ العَمَلْ — بها الصلاحُ والفسادُ للعملْ
١٢. الدينُ مبْنيٌّ على المصالحِ — في جلبِها والدرءِ للقبائحِ

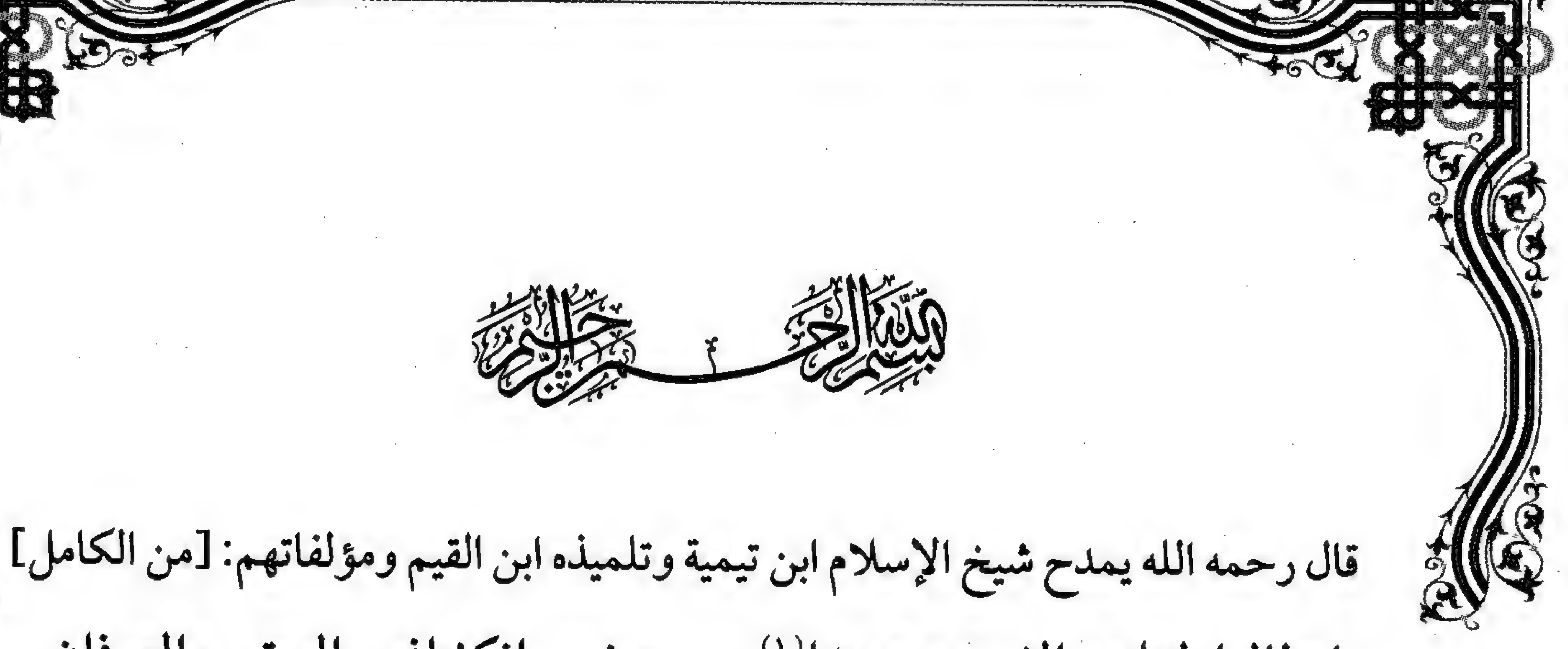
١٣. فإنْ تَزَاحَمْ عَدَدُ المصالحِ ... يُقدّمُ الأعلى من المصالحِ
١٤. وضِدُّهُ تزاحمُ المفاسِدِ ... يُرتكَبُ الأدنى من المفاسِدِ
١٥. ومن قواعدِ الشريعةِ التيسيرُ ... في كلِّ أمرٍ نابَهُ تعسيرُ
١٦. وليس واجبٌ بلا اقتدارِ ... ولا محرمٌ معَ اضطرارِ
١٧. وكلُّ محظورٍ معَ الضروره ... بقدرِ ما تحتاجُهُ الضروره
١٨. وترجِعُ الأحكامُ لليقينِ ... فلا يُزيلُ الشكُّ لليقينِ
١٩. والأصلُ في مياهِنَا الطهاره ... والأرضِ والثيابِ والحجاره
٢٠. والأَصلُ في الأَبضاعِ واللحوم ... والنفسِ والأموالِ للمعصوم
٢١. تحريمُها حتى يَجِيءَ الحِلُّ ... فافهمْ هداكَ اللهُ ما يُمَلُّ
٢٢. والأصلُ في عاداتِنا الإباحَةْ ... حتى يَجِيءَ صارفُ الإباحَةْ
٢٣. وليس مشروعًا من الأُمُورْ ... غيرُ الذي في شرعِنا مذكورْ
٢٤. وسائلُ الأُمورِ كالمقاصدِ ... واحْكُمْ بهذا الحكمِ للزوائدِ
٢٥. والخطأ والإِكراهُ والنسيانُ ... أسْقَطَه معبودُنا الرحمانُ
٢٦. لكنْ مع الإتلافِ يثبتُ الْبَدَل ... وينتفي التأْثيمُ عنه والزللْ
٢٧. ومن مسائلِ الأَحكامِ في التَّبعْ ... يثبتُ لا إذا استقلَّ فوقَعْ
٢٨. والعُرْفُ معمولٌ بهِ إذا وَرَدْ ... حكمٌ من الشرعِ الشريفِ لم يُحَدْ
٢٩. مُعاجِلُ المحظورِ قبلَ آنِـهِ ... قد باءَ بالخُسرانِ معْ حِرمانِهِ
٣٠. وإن أتى التحريمُ في نفسِ العَمَلْ ... أو شرطِه، فذو فسادٍ وخَلَلْ
٣١. ومُتْلِفُ مؤذيهِ ليس يضمَنُ ... بعد الدفاعِ بالتي هِي أَحْسَنُ
٣٢. و«ألْ» تفيدُ الكلَّ في العمومِ ... في الجمعِ والإفرادِ كالعليمِ

٣٣. والنكراتُ في سياقِ النفيِ تُعطِي العمومَ أوْ سياقِ النَّهْيِ
٣٤. كذاك «مَن» و«مَا» تفيدان مَعَا كلَّ العمومِ يا أُخَيَّ فاسْمَعَا
٣٥. ومِثلُهُ المفردُ إذ يضافُ فافهمْ هُدِيتَ الرشدَ ما يُضافُ
٣٦. ولا يتمُّ الحكمُ حتَّى تجتمعْ كُلُّ الشروطِ والموانعْ ترتفعْ
٣٧. ومن أتى بما عليه من عملْ قد استحق ماله على العملْ
٣٨. ويُفعلُ البعضُ من المأمورِ إن شقَّ فعلُ سائرِ المأمورِ
٣٩. وكل ما نَشَا عن المأذونِ فذاك أمرٌ ليس بالمضمونِ
٤٠. وكلُّ حكمٍ دائرٌ معْ علَّتِهْ وَهْيَ التي قدْ أوجبَتْ لِشِرْعتِهْ
٤١. وكلُّ شرطٍ لازمٌ للعاقِدِ في البيعِ والنكاحِ والمقاصِدِ
٤٢. إلا شروطًا حَللت محرّما أو عكسُهُ فباطلاتٌ فاعلما
٤٣. تُستعملُ القرعةُ عندَ المبهمِ من الحقوقِ أو لدى التزاحمِ
٤٤. وإن تساوى العَملانِ اجتمعا وفعلُ أحْدهما فاستمعا
٤٥. وكلُّ مشغولٍ فلا يشغَّلُ مثالُه المرهونُ والمُسَبّلُ
٤٦. ومن يؤدِّ عن أخيهِ واجبا له الرجوعُ إن نوى يطالبا
٤٧. والوازعُ الطبْعي عن العصيانِ كالوازعِ الشرعي بلا نكرانِ
٤٨. والحمدُ للَّهِ على التمامِ في البدءِ والختامِ والدوامِ
٤٩. ثم الصلاةُ معْ سلامٍ شائعِ على النبي وصحبِهِ والتابعِ



نظم وأشعار منوعة للشيخ

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
رحمه الله



قال رحمه الله يمدح شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومؤلفاتهم: [من الكامل]

يا طالبا لعلوم الشرع مجتهدا[1] يبغي انكشاف الحق والعرفان
احرص على كتب الإمامين اللذيـ ـن هما المحك لهذه الأزمان
الْعَالِمَيْنِ العامليْن الحافظيـ ـن المعرضين عن الحطام الفاني
عاشا زمانا داعيين إلى الهدى من زائغ ومقلد حيران
صَبَرَا النفوس على جهاد عدوها للقلب والأقوال والأركان
كم نالهم من نكبة وأذية هانت لذات الخالق الديان
نشر الإله لهم ثناء صادقا إذ أحسنوا في العلم والإيمان
فقلوب أهل الخير من حب لهم قد أشربت وثناؤهم بلسان
أعني به شيخ الورى وإمامهم يعزى إلى تيمية الحران
والآخر المدعو بابن القيم بحر العلوم العالم الرباني
فهما اللذان قد اودعا في كُتْبهم غرر العلوم كثيرة الألوان
فيها الفوائد والمسائل جمعت من كل فاكهة بها زوجان
إن رمت معرفة الإله وما له من وصفه وكماله الرباني
أو رمت تفسير الكتاب وما حوى من كثرة الأسرار والتبيان

(١) يلاحظ أن هذا الشطر من بحر البسيط، وباقي القصيدة من بحر الكامل.

أو رمت معرفة الرسول حقيقة ... وجلاله المبعوث بالفرقان
أو رمت فقه الدين مرتبطا به ... أصل الدليل أدلة الإتقان
أو رمت معرفة القصائد كلها ... للمبطلين وردها ببيان
أو رمت معرفة الفنون جميعها ... من نحوها والطب للأبدان
تلق الجميع مقررا وموضحا ... قد بيناها أحسن التبيان
جمعت على حسن العبارة رونقا ... وبهاء معنى جل ذو الإتقان
تدعو القلوب إلى محبة ربها ... والذكر للرحمن كل أوان
يدري بهذا من له نوع اعتنا ... في كتبهم مع صحة العرفان
فاحمد إله الخلق إن كنت امرأ ... تشتاقها وتحبها بجنان
واحمد إله الخلق أيضا ثانيا ... في نشرها في هذه الأزمان
حتى غدت بين العباد كثيرة ... مشهورة في سائر البلدان
فعسى الذي بعث القروم لنشرها ... أن يبعث العزمات بعد توان
حتى تكون إلى العلوم سريعة ... مشتاقة للعلم والعرفان
ويزيل عن هذي القلوب موانعا ... عاقت وصول العلم والإيقان
ويلم هذا الدين بعد تشعث ... قد كاد أن ينهدَّ للأركان
ويفتح الأبواب بعد مضيها ... دهرا على التغليق والأدران
ويؤلف الرحمن بعد تفرق ... أرواح أهل العلم والإيمان
بجلاله وجماله متوسلا ... يا دائم المعروف والإحسان
وعلى الرسول مصليا ومسلما ... والصحب والأتباع بالإحسان

في رثاء بعض الأصحاب

وقد توفي ثلاثة من أخصاء أصحابه وهم مشتغلون في طلب العلم ودائبون عليه مع الديانة والصيانة وحسن الأخلاق، وقال في مرثيتهم وقد وقف على مرثية الموفق لعز الدين وشرف الدين ومحب الدين المقدسيين مع سلب أبياتها وتغيير الروي وزيادة بعض الأبيات، وأول نظم موفق بن قدامة:

مات المحب ومات العز والشرف ... أئمة سادة ما منهمُ خلف

إلى آخره.

فقال الشيخ عبد الرحمن السعدي يرثي أصحابه: [من البسيط]

مات المحب ومات الخل يتبعه ... ومات ثالثهم والوقت مقترب
ماتوا جميعا وما ماتت فضائلهم ... بل كان فضلهمُ للناس يكتسب
كانوا نجوم دياج يستضاء بهم ... لهفي على فقدهم من بعد ما ذهبوا
كانوا جميعا ذوي فضل ومنقبة ... كل إلى عالي الأخلاق ينتدب
كانوا جميعا ذوي حلم ومكرمة ... وفعل خير وإحسان كما يجب
وقد تربوا على الخيرات مذ نشئوا ... وعن فعال الردى والزور قد رهبوا
ما ودعوني غداة البين إذ رحلوا ... بل أودعوا قلبي الأحزان وانقلبوا
شيعتهم ودموع العين ساكبة ... لفقدهم وفؤادي حشوه لهب
أكفكف الدمع من عيني فيغلبني ... وأحبس الصبر في قلبي فلا يجب
وقلت ردوا سلامي أو قفوا وَهَنًا ... رفقا بقلبي فما ردوا ولا اقتربوا

ولم يعوجوا على صب بهم دنف ... يخشى عليه لما قد مسه العطب
أحباب قلبي ما هذا بعادتكم ... ترك السلام مع الهجران والغضب
ما كان عادتكم يوما سوى أدب ... يبدي ودادًا صفا من غشه الذهب
لله ما أورث البين المشت لنا ... من صدعة في سواد القلب تنشعب
كانوا أحبة قلبي إن هُم رحلوا ... وإن أقاموا إذا تنتابنا نوب
لما رأيت فؤادي غير ساليهم ... ولم يزل لصنوف الحزن ينجذب
فقلت للقلب يا قلبي على مهل ... ألا اصطبارا عن الأحباب تكتسب
اصبر على فرقة الأحباب محتسبا ... فضل الثواب فعند الله يحتسب
واسأل إلهك خلفا عاجلا بهم ... هو المجيب لمن يدعو ويرتقب

وقد كان بعض أصحابه معه فتور عن الاجتهاد في طلب العلم فكتب إليه بهذه الأبيات:

[من الوافر]

سلام الله يتبعه سلام ... على من في الضمير له مقام
على الحب المكرم من ترقى ... إلى أعلى مكارم لا ترام
وفاق الطالبين ذكًا وحرصًا ... وآدابًا ومعرفة تُسام
وفارق للقواطع باشتياق ... ومن طلب المكارم لا يلام
وخلًّا كل مشتغل ينادي ... ألا ليتي بمنزله أقاموا
فبعد الدأب ترضى أن تساوي ... لأرباب البطالة أو تنام
وبعد صعودك الدرج العوالي ... تجاذب للنزول فذا سقام
فما ألهاك عن علم تسامى ... إلى تحصيله الغر الكرام
أألهاك اشتغالك بالدنايا ... وعز عليك يا هذا العظام

أَمَ الْهاك اقتداؤك بالكسالى   فضاع الوقت وانفرط النظام

لصاحب في بلدة نائية

وقال أيضًا في جواب لصاحب له قد كتب إليه وهو في بلدة نائية فقال: [من الوافر]

وقفت على كتابك يا حبيبي ... فأذكى الشوق من حسن الخطاب
تـريـد حـبـيـبـنـا مـنـا جـوابًـا ... ودمـع العين أحـرى بالجواب
متى ذكـرت ضمائرنا زمانًا ... مـسـر بـاجـتـمـاع بـالـجـنـاب
سكتنا بهتة ورضـا وصـبـرًا ... كفعل الصابرين على المصاب
لـعـل الـلـه يلطف ثـم يدني ... فلطف الـلـه يـأتـي باقتراب
فـكـم لـلـه مـن لـطـف خفي ... يصيب العبد من غير احتساب

في السيارة

وقال رحمه الله أيضًا أول ما ركب السيارة مسافرًا للحج: [من الكامل]

يا راحلين إلى الحمى برواحل   تطوي الفلا والبيد طيَّ المسرع
ليست تبول ولا تروث وما لها   رُوحٌ تحن إلى الربيع الممرع
ما استولدت من نوقنا بل صنعها   من بعض تعليم اللطيف المبدع
كم أوصلت دار الحبيب وكم سرت   بحمولها نحو الديار الشُّسَّع

في الوداع

وكتب إليه بعض الأصحاب حين خرج للحج عام ١٣٣١ يعتذر عن الوداع وأنه لا يقدر على تحمل ألمه وتجرع غصصه، فكتب إليه هذه الأبيات وأرسلها مع المشيعين: [من الطويل].

إلى الله أشكو ما ألم فأوجعا ... من البين والتفريق بين أحبتي
لقد أسف القلب المعنى لبعدكم ... وكاد من الوجد العظيم يفتت
وقد كان وقتي عامرًا بلقائكم ... بكم ينجلي همي وتحصلُ مسرتي
فنرجو الذي قد قدر البعد بيننا ... يعيض ثوابًا للنوى والمصيبة
فلولا حبيب يستحق جميعنا ... حوته القلوب من صفا ومودة
لما رحلت يومًا من الدار رحلنا ... وخل الديار بالأحبة نزهتي
ولكنه كيف التخلف بعدما ... توالت دواعي الشوق نحو الخليقة
فلبى لها قوم أصاخت قلوبهم ... فحنت إلى ذاك الحمى فاستمرت
فخلت جميع الإلف مع حبها له ... تسير بهم عيس السرا مستقلة
ولما دنا منهم وصول ربوعه ... تبين ما في القلب من عظم صبوة
تأدبت الأقوام عند ازدلافهم ... إلى بابه نعم المرجا لشدة
يريدون من رب كريم تفضلا ... وعفوًا وتقريبًا لأعظم حضرة
ونحن وإن كنا بغير صفاتهم ... فقد يسعد المصحوب عنهم بصحبة
عسى وعسى من فضل ربي يعمنا ... بمغفرة من فضله وسعادة

في إجابته
على بعض الأصحاب

وورد عليه كتاب من بعض أصحابه فيه نظم أبيات يرثي بها بعض المحبين الذي هو وإياهم في محبتهم مشتركون، فأجابه بهذه الأبيات: [من الكامل]

صدع الفؤاد وهاج للأحزان ... خط أتى من شاسع البلدان
من بلدة بالهند يبكي إلفه ... وينوح نوح الفاقد الثكلان
ويعدد الأوصاف في كلماته ... ندب الحمام على غصون البان
يبكي لمن ملكوا الفؤاد وفارقوا ... بالروح والأشباح والسلوان
يبكي لمن ملك الضمير بحبهم ... والصبر عز لفقدهم للعاني
يبكي لمن لو كان يمكن عدلهم ... لفديتهم بالروح والولدان
يبكي لمن كانوا لعين قرة ... ومسرة للواله الحيران
أرجو من الرحمن أن قد خصهم ... بوفاتهم بالروح والريحان
أرجو من الرحمن أن قد عمهم ... من فضله بالجود والإحسان
أرجو من الرحمن يجمعنا بهم ... في جنة الفردوس والرضوان
أرجو من الرحمن يعظم أجرهم ... ويزيدهم من واسع الغفران
أرجو من الرحمن يجعل قبرهم ... ذا بهجة ومسرة وأمان
هيجتنا يا خلنا وحبيبنا ... وبعثت منا كامن الأحزان
وفجعتنا برسالة تذكي الحشا ... وتشب فيها موقد النيران

لـولا الـرجـا لـجزائـه لرأيتنا قـد هدمت منا قـوى الأركـان
لكننا نـرجـو جـزيـل عطائه فـيـهـون عـنـا متلف الأحـزان
أومـا علمت بأنـه وعـد الـذيـن صبروا لوجه الله بالرضوان
أومـا عـلـمـت بـأنـه سبحانه أعـطـاهـمُ أجـرًا بـلا حسبان
أومـا عـلـمـت بـأنـه أولاهـمُ غرف الجنان ومنزل الرضوان
وحـبـاهـمُ مـن فضله صلواته مـع رحـمـة وهـدايـة الـمـنـان
وتسلم الأملاك في دار الرضا حـقًّـا عليه بصبرهم بتهان
والصبر خير للعباد إذا نووا وجـه الإلـه ومـنـة الـمـنـان
والصبر في حكم الإله وأمره فـرض علينا لازم الإنـسـان
والـعـبـد إن عـرف الإلـه وأنـه مـولًى حكيم دائـم الإحسان
صبر النفوس على البلاء لعلمه بفضيلة الصبر الجميل الشان
يا دائم الإحسان يا مولي الثنا يا صاحب المعروف كل أوان
يا خالقي يا رازقـي ومدبِّري ومصرّفي فـي سائر الأحيان
يا سيدي وذخيرتي في شدتي يا مبدعي من أضعف الأركان
أنت الذي أعطيتني ومنحتني وبلوتني بلوى القريب الداني
فاربط على قلبي وثبت خاطري وارزقني التسليم مع رضوان
واجعل ثوابي يا إلهي مضعفًا مـتـجـددًا بـتـجـدد الأزمـان
واقذف بقلبي من ودادك ما به أسلو عن الأهلين والـولـدان
واجعل لساني دائمًا مترطبًا بالذكر في الإسـرار والإعـلان
واجعل صلاتك والسلام على الذي قـد جـاء بـالـقـرآن والتبيان

ما ناحت الأحباب عند فراقهم ... أحبابهم أو ما استقال الجاني

وقال أيضًا: [من الكامل]

بين العقيق وبين سلع موضع ... للقلب فيه والنواظر مرتع
يا منزلًا فيه لأرباب الهوى ... مرأى يروق من الجمال ومسمع
ويعرض الحادي بجرعاء الحمى ... والجزع من وادي الأراك فأجزع
شوقًا لبانات العقيق وإنما ... وجه اشتياقي بالحجاز مبرقع
أسفًا لجسم بالقصيم مخلف ... وفؤاده مغرى بطيبة مولع
ولكيف لا تحنو الأضالع نحوها ... شوقًا وتذرف في هواها الأدمع
وبها رسول الله خير منبأ ... تحدو الركاب إلى حماه وتوضع
أزكى البرية عنصرًا وأعزهم ... بيتًا وأولى بالفخار وأجمع
وأمدهم بالجود ثم أتمهم ... حلمًا وأصدق في المقال وأبرع
وأشدهم بأسًا إذا التقت الوغى ... والسمهرية بالأسنة تشرع
جمعت له كل المناقب مفخرًا ... وله المقامات التي تترفع

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الشيخ السعدي[1]: [من الكامل]

أذكــرت ربــعًــا مــن خليطك ... أقفرا وأسلت ربعًا ذا رذاذٍ قطّرا
أم هاجك الغادون عنك صبيحة ... [عشية] لما مشوا وتيمموا أم القرى
لـزمـوا الـمـواتـر واغـتـدوا في ... سيرهم لله دمعي خلفهم يا ما جرى
فكان ظهر البيد بطن صحيفة ... ومسيرها فيه يحاكي الأسطرى
رحلوا وما عاجوا علي فليتني ... واها لحظي كيف كنت مؤخرا
إن كان جسمي في الديار مخلفًا ... فالقلب معهم حيث ساروا تهجرا
يا أيها الغادون كيف ظعنتمو ... وتركتمو مضنى الفؤاد مكدرا
ما كان أقسى قلبكم لم ترحموا ... صبًّا تـعـذر صـبـره فتحسرا
كيف السلوّ عن الأحبة بعدما ... جد الرحيل وجد عزمك ما ترى
يا سائرين إلى الحبيب سلمتمو ... وغنمتو وأصبتمو حسن القرى

(١) يقول الشيخ محمد البسام: عندما عزمت على الحج سنة ألف و ثلاثمائة وثلاث وستين، وحينما أردنا السفر جئت إلى شيخنا عبد الرحمن الناصر السعدي لأودعه فناولني ظرفًا مختومًا، وقد كتب اسمي عليه وقال: لا تقرأه إلا بعد مسيركم، فلما فتحته وجدت فيه هذه الأبيات من قوله؛ فتأثرت منها وودت أني لم أسافر إلا ونحن جميعًا، ونأمل أن يحقق الله ذلك. لما لمسته من محبته وشفقته أمتعنا الله بحياته ونفعنا بعلومه وجزاه عنا أفضل الجزاء.
كتبه الفقير إلى مولاه محمد بن سليمان البسام.

عـــودوا علي بـدعـوة مقبولة ... علّ الكريم يغيث قلبًا مقفرا
يممتمو مـولـى كـريـمًـا لم ... يـزل إحسانه متواليا متكررا
بشراكمو وهنيئكم بمشاعر ... أنـوارهـا وبـهـاؤهـا لـن ينكرا
ومواقف النفحات والبركات والـ ... خير الجزيل فما أجلّ وأغزرا
كم توبة مقبولة وعطية موفورة ... الأقـــســـام مـــن رب الـــورى
وكم اغتدى عبد مسيئ مسرف ... بحلى الكرامة تائبًا مستغفرا
وكم استقال المذنبون عثارهم ... فأقال عبدًا بالذنوب تعثّرا
وكـــم اســـتـــمـــاح الـــطـــامـــعـــون ... لفضله فأنالهم خيرًا جزيلًا مكثرا
وكـــم اســـتـــجـــاروا مـــن ألـــيـــم ... عقابه ليقيهم كسر العظم ويغفرا
لم تنظر الأبصار أعظم رحمة ... حلت على وفد الكريم وأكثرا
من أجلها الشيطان يندب معولا ... خزيان من محو الخطا متحسرا
كفّاكمو المولى الكريم بما ... حبا وأعادكم لرحابه الغرّ الذّرى

وله - رحمه الله - في رحيل بعض الأحبة وفراقهم[1]:

قف بالربوع من الأحباب مذ بكروا	على الرحيل فلا عين ولا أثر
وانظر ديارهمو وحشا منازلها	قفرا مراتعها تقري بها العبر
واستجل يا صاحبي ربعا أنست به	دهرا طويلا فما ينتابه الكدر
معْ كل آنسة حسناء قد كملت	من الخلائق والأخلاق والغرر
بيضاء في لونها نور يحف به	حسن الملاحة والتصوير والحور
من كل كاعبة النهدين راق بها	غض الشباب الروي والمنظر النضر
عرب شمائلها كل الدلال بها	يسلو الحزين بها والوصل منتظر
برق مباسمها شهد مراشفها	يقول واصفها قد مسني الحصر
فتلك يا صاحبي قلبي وناظرتي	لمنتهى حسنها يزهو بها البصر
لم أنس ما أنسى يوم رحتلهم	عن الديار وماء العين ينهمر
وقد أشارت غداة البين في يدها	إلى الوداع وقلب الصب مستعر
فقد تناءت بعيدا واستلج بها	داعي الفراق فما يبقى ولا يذر
بالله يا ساريا تطوي مطيته	بيد الفلا تعتلي طورا وتنحدر
لا خاب سعيك عرج يمنة كثبا	حيث المنازل للريان تنتظر
أقري السلام وحي النازلين بها	فما عليك إذا بلغتهمْ ضررٌ
حيث الفؤاد لديهم موثق دنف	يرجو اللقاء وعود العجر تشتجر
قد اعتراني الونى معْ ما وصفت لهم	من مزعجات الهوى والهم منتشر
لكنها همتي تنمو وتزعجني	إلى حبيب إليه الشوق والوطر

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٣/ ٢٣٣.

إلى حبيب لبيب فاضل فطن ... حلو الشمائل لا نكس ولا نزر
تلهيك منه خصال لست تسأمها ... تنمي إلى فضله أصلا وتفتخر
حلم وعلم وآداب مفصلة ... قد زانها العقل والتبيان والفكر
يبدي من السحر تبيانًا ومعجزةً ... على العويص من الأوصافِ مقتدر
وإن تشأْ رقة الألفاظ فاصغِ إلى ... عذاب سلسلة تستشفها الدرر
لله درك من خل يسر به ... من كاده الفضل والإحسان يبتدر
أبديت يا صاحبي فضلا وجدت لنا ... من حسن ذاتك ما لم يدرك الفكر
فلا عناك من الأيام سيئها ... ولا عراك الشقا والهم والكدر
ولا تزال بعون الله مرتقيا ... إلى المكارم للعلياء تبتكر
عسى حميا قرير العين مرتقبا ... فضل الكريم ففضل الله ينتظر



آخر المجلد السادس والعشرين

وهو نهاية مجموع مؤلفات الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

ثبت المصادر والمراجع

- **الآداب الشرعية**، لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيَّام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.
- **الإجماع**، لأبي بكر بن محمد بن المنذر، تحقيق: أبي حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ.
- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، ترتيب: الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **أحكام أهل الذمة**، لابن قيم الجوزية، طبع جامعة دمشق، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
- **أحكام الخواتم وما يتعلق بها**، لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، دراسة وتحقيق: د. عبد الله الطريقي، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.
- **أخبار مكة**، للأزرقي، طبع المدرسة المحروسة، عتنغة، ١٣٧٥م.
- **الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية**، لأبي الحسن علي ابن محمد البعلي، المعروف بابن اللحام، ومعه تعليقات وتصحيحات لفضيلة الشيخ العلامة: محمد بن صالح العثيمين، حقه وخرج أحاديثه: أحمد بن محمد الخليل، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

- **الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية**، لعلاء الدين البعلي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- **إدارك الغاية في اختصار الهداية**، لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي، تحقيق الدكتور ناصر بن سعود السلامة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ.
- **الإرشاد إلى سبيل الرشاد**، للشريف محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشمي، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، لابن عبد البر، تحقيق: على محمد البلجاوى، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، تحقيق: محمد البنا وآخرون، دار الشعب.
- **أسنى المطالب شرح روض الطالب**، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- **الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية**، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- **الإصابة في تمييز الصحابة**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد علي البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للشنقيطي، المطابع الأهلية للأوفست بالرياض، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- **الأعلام**، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية عشرة ١٩٩٧ م.
- **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الحديث، القاهرة.
- **الإفصاح عن معاني الصحاح**، للوزير : عون الدين أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة، المكتبة الحلبية، حلب، الطبعة الثانية ١٣٦٦ هـ.
- **الإقناع في فقه الإمام أحمد**، لأبي النجا موسى الحجاوي، تصحيح وتعليق : عبد اللطيف السبكي، دار المعرفة، لبنان.
- **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، لشهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- **الانتصار في المسائل الكبار**، لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني، تحقيق ودراسة : د. سليمان العمير، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.
- **الأم**، للشافعي، تصحيح: محمد زهري النجار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف مع المقنع والشرح الكبير**، لعلاء الدين بن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، والدكتور عبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، ١٤٢٦ هـ.
- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، للكاساني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مصورة عن طبعة الجمالية بالقاهرة ١٣٢٨هـ.
- **البداية والنهاية**، لابن كثير، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى، بالتعاون مع دار هجر، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، للهيثمى، تحقيق مسعد السعدني، دار الطلائع القاهرة، سنة ١٩٩٤م.
- **بلغة الساغب وبغية الراغب**، لفخر الدين أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن تيمية، تحقيق: د. بكر بن عبد الله أبو زيد، درا العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مصطفى حجازي، وزارة الإعلام بالكويت، طبع عام: ١٣٩٧ هـ.
- **تاريخ ابن قاضي شهبة**، لأبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، طبع:المعهد الفرنسي للدراسات العربية، والجفان والجابي للطباعة والنشر ١٩٩٤ م.
- **تاريخ بغداد**، للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- **تاريخ مدينة دمشق**، لابن عساكر، دراسة وتحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، سنة١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- **تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)**، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، سنة ١٩٦١م.
- **تاريخ المدينة المنورة**، لابن شبة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة السيد حبيب محمود أحمد، دار الأصفهاني للطباعة والنشر بجدة، بدون تاريخ.
- **تجريد العناية في تحرير أحكام النهاية**، لأبي الحسن علي بن محمد البعلي، المعروف بابن اللحام، تحقيق: د. ناصر بن سعود السلامة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٥هـ.
- **تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي**، للمباركفوري، دار الكتاب العربي، بيروت.

- **تذكرة الحفاظ**، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **التذكرة في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، لأبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، تحقيق وتعليق: د. ناصر بن سعود السلامة، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
- **تراجم لتسعة من الأعلام**، لمحمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.
- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك**، للقاضي : عياض بن موسى السبتي، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب،طبع عام: ١٤٠٣ هـ.
- **الترجل من مسائل الإمام أحمد**، لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: مجدي حمودة، مكتبة ابن عباس، سمنود - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.
- **التسهيل في الفقه على مذهب الإمام الرباني أحمد بن حنبل الشيباني**، لبدر الدين أبي عبد الله بن محمد بن علاء الدين البعلي، حققه، وضبط نصه، وعلق عليه: د. عبد الله الطيـار، ود.عبد العزيز الحجيلان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.
- **تصحيح الفروع**، مطبوع مع الفروع، لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- **التعليق الكبير في المسائل الخلافية بين الأئمة -كتاب الحج-**، للقاضي: أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي، تحقيق ودراسة: عواض بن هلاّل العمري، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

- **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، تحقيق عبد العظيم غنيم وآخرون، دار الشعب القاهرة، سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

- **تقرير القواعد وتحرير الفوائد**، لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، ضبط نصه، وعلق عليه، ووثق نصوصه، وخرج أحاديثه: مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

- **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجرالعسقلاني، تعليق وتصحيح: عبد الله هاشم اليماني، دار المعرفة، بيروت.

- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النميري، تحقيق : سعيد أحمد أعراب، وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

- **تهذيب الأسماء واللغات**، للنووي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **تهذيب التهذيب**، لشهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.

- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، للمزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- **الجامع الصغير**، للقاضي أبي يعلي بن الفراء، تحقيق الدكتور ناصر السلامة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، للحافظ الخطيب البغدادي، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣ هـ.

- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لابن جرير الطبري، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، دار القلم، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.، ودار الكاتب العربي، القاهرة، عن طبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- **جمل من أنساب الأشراف**، للبلاذري تحقيق الدكتور سهيل زكار، والدكتور رياض زركلي، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، لابن تيمية، مطبعة المدني، مصر، سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

- **الحاوي الصغير**، لعبد الرحمن بن عمر الضرير، تحقيق الدكتور ناصر السلامة، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ.

- **حاشية على الشرح الصغير**، للصاوي طبع مصر، دار المعارف.

- **حاشية ابن عابدين**، طبع إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

- **الخراج**، لأبى يوسف، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الشروق.

- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للسيوطى، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي. بالتعاون مع دار هجر، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

- **دقائق أولى النهى لشرح المنتهى**، لمنصور بن يونس البهوتي، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.

- **دلائل النبوة**، للبيهقى، تحقيق د. عبد المعطى أمين قلعجى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥ه/ ١٩٨٥م.

- **الذيل على طبقات الحنابلة**، للحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.
- **زاد المسير في علم التفسير**، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية.
- **الرعاية الصغرى**، لأحمد بن حمدان الحراني، تحقيق الدكتور ناصر السلامة، دار أشبيليا، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
- **سبل الهدى والرشاد**، للصالحي، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد وآخرين، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر ١٣٩٢.
- **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، سنة ١٩٥٢م.
- **سنن أبي داود**، دار الحديث القاهرة.
- **سنن الترمذي**، تحقيق الشيخ: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **سنن الدارقطني**، عالم الكتب، بيروت الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣ه/ ١٩٨٣م.
- **السنن الكبرى**، للبيهقي، دار المعرفة بيروت، مصور عن دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، سنة ١٣٤٤هـ.
- **سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي**، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

- **السنن الكبرى**، للبيهقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- **سير أعلام النبلاء**، للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الأولى، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- **السيرة النبوية**، لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٥هـ
- **شرح الزركشي على مختصر الخرقي**، لشمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، طبع بشركة العبيكان.
- **شرح العمدة لشيخ الإسلام بن تيمية**، تحقيق الدكتور سعود العطيشان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- **الشرح الكبير مع المقنع والإنصاف**، لشمس الدين ابن أبي عمر المقدسي، تحقيق الدكتور عبد الله التركي والدكتور عبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، ١٤٢٦ هـ.
- **شرح ابن بطال على صحيح البخاري**، لابن بطال، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- **شرح ثلاثيات الإمام أحمد بن حنبل**، للسفاريني، المكتب الإسلامي بدمشق.
- **شرح صحيح مسلم**، للنووي، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠١ه/ ١٩٨١م.
- **الشرح الكبير ومعه المقنع والإنصاف**، تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧ه/ ١٩٩٦م.
- **شعب الإيمان**، للبيهقي، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، للقاضي عياض، تحقيق على محمد البجاوي، مكتبة الإيمان، ومطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة،١٩٧٧م.

- **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)**، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ.
- **صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني**، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. مصورة عن المطبعة البهية سنة ١٩٣٩م.
- **صحيح البخاري**، طبعة دار الشعب، القاهرة، سنة ١٣٧٨هـ.
- **صحيح مسلم**، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، بمصر، سنة ١٩٥٥م.
- **طبقات الحنابلة**، للقاضي أبي حسين بن أبي يعلي الفراء، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
- **طبقات الشافعية الكبرى**، للإمام تاج الدين السبكي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
- **الطبقات الكبرى**، لابن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر، سنة ١٣٨٩ه/ ١٩٧٨م.
- **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، لعبد الله بن عبدالرحمن بن بسام، دار العاصمة، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.
- **عمدة الفقه**، لموفق الدين ابن قدامة المقدسي، نشر مكتبة النهضة، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.
- **عمدة القاري**، للعيني، دار إحياء التراث بيروت.
- **عون المعبود على سنن أبى داود**، أبى عبد الرحمن شرف الحق محمد أشرف الصديقى العظيم آبادي، دار الكتاب العربي بيروت.
- **غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى**، لمرعي بن يوسف الحنبلي، الطبعة الأولى، مؤسسة دار السلام للطباعة والنشر.

- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، لابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية، القاهرة، سنة ١٣٨٠هـ.
- **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، لابن رجب الحنبلي، تحقيق طارق بن عوض الله ابن محمد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- **الفروع**، لشمس الدين محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- **القاموس المحيط**، لمجد الدين الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة ١٤١٩هـ.
- **الكافي**، لموفق الدين ابن قدامة المقدسي، دار الفكر ١٤١٢هـ.
- **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، دار صادر، ودار بيروت سنة ١٣٨٥ه/ ١٩٦٥م.
- **كشاف اصطلاحات الفنون**، للتهانوي، تحقيق د. لطفي عبد البديع و د. عبد النعيم محمد حسنين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.
- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، للمتقي الهندي، ضبط وتفسير بكري حياني، تصحيح وفهرسة صفوت السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- **لسان العرب**، لابن منظور، دار صادر، دار بيروت، سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية**، للسفاريني، المكتب الإسلامي بيروت، مكتبة أسامة الرياض، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- **المبسوط**، للسرخسي، دار المعرفة، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، مصورة عن طبعة مطبعة السعادة بالقاهرة ١٢٣١هـ.

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للهيثمى، دار الكتاب، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٧م.
- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مطابع الرياض، سنة ١٣٨١هـ.
- **المستدرك على الصحيحين في الحديث**، للحاكم النيسابوري، وملحق به تلخيص المستدرك للذهبي، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض) مصور من طبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن الهند.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- **مسند أبى داود الطيالسي**، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، بدار هجر، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- **مسند الشاميين**، للطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- **مسند الفردوس (الفردوس بمأثور الخطاب)**، للديلمى، تحقيق السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٦م.
- **مسند أبى يعلى الموصلي**، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- **المصنف**، لابن أبى شيبة، تحقيق: عامر العمري الأعظمي، الدار السلفية، بومباي، الهند، الطبعة الأولى.

- **مصنف عبد الرازق**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **المعجم الأوسط**، للطبراني، تحقيق: طارق عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٥٥م.
- **المعجم الكبير**، للطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الدار العربية للطباعة، بغداد سنة ١٩٧٨م.
- **المعرفة والتاريخ**، للفسوي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ.
- **معرفة الصحابة**، لأبي نعيم، تحقيق محمد حسن، ومسعد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج**، للشربيني، طبع بيروت بإشراف شركة سابي، سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
- **المغني**، لابن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- **المقنع**، لابن قدامة (مطبوع مع الشرح الكبير والإنصاف تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).
- **مكارم الأخلاق**، للقرشي، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- **الملل والنحل**، للشهرستانى، تحقيق الأستاذ عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي.
- **مواهب الجليل شرح مختصر خليل**، محمد بن محمد الخطاب، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ/ ١٩٧٨م.

- **الموطأ**، للإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.
- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
- **مختار الصحاح**، لمحمد بن أبي بكر الرازي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.
- **المختارات الجلية من المسائل الفقهية**، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ.
- **مختصر ابن تميم**، لمحمد بن تميم الحراني، دراسة وتحقيق علي بن إبراهيم القصير، رسالة جامعية في المعهد العالي للقضاء ١٤١٢ هـ.
- **المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل**، للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، لعبد القادر بن بدران الدمشقي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤١١هـ.
- **المذهب الأحمد في مذهب الإمام أحمد**، ليوسف بن أبي الفرج ابن الجوزي، المؤسسة السعيدية، الرياض، الطبعة الثانية.
- **المذهب الحنبلي**، للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
- **مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه أبي الفضل صالح**، بإشراف طارق بن عوض الله ابن محمد، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

- **مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله**، تحقيق الدكتور علي بن سليمان المهنا، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- **مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني**، تحقيق طارق ابن عوض الله محمد، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.
- **المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين**، للقاضي أبي يعلي الفراء، تحقيق الدكتور عبد الكريم بن محمد اللاحم، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- **المستوعب**، لنصير الدين محمد بن عبد الله السامري، تحقيق الدكتور مساعد الفالح، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.
- **المطلع على أبواب المقنع**، لشمس الدين بن أبي الفتح البعلي، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
- **معجم البلدان**، لشهاب الدين ياقوت الحموي، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
- **المعجم الوسيط**، لمجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، الطبعة الثانية.
- **معجم مصنفات الحنابلة**، للدكتور عبد الله بن محمد الطريقي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- **المغني شرح مختصر الخرقي**، لموفق الدين ابن قدامة المقدسي، تحقيق الدكتور عبد الله التركي والدكتور عبد الفتاح الحلو، دار هجر، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ.
- **المقصد الأرشد**، لبرهان الدين إبراهيم بن مفلح، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- **المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف**، لأبي محمد ابن قدامة المقدسي، تحقيق الدكتور عبد الله التركي والدكتور عبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، ١٤٢٦ هـ.

- **الممتع في شرح المقنع**، لزين الدين المنجى بن عثمان بن أسعد بن المنجى، تحقيق: د. عبد الملك بن دهيش، دار خضر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.
- **منتقى الأخبار مع شرحه نيل الأوطار**، لمجد الدين عبد السلام ابن تيمية الحراني، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
- **المنتقى شرح الموطأ**، لأبي الوليد شهاب سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.
- **منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح المشبع وزيادات**، لتقي الدين محمد ابن أحمد الفتوحي، تحقيق: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
- **منظومة الآداب مع شرحها غذاء الألباب**، لمحمد بن عبد القوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- **المنهج الأحمد**، لمجير الدين أبي اليمن عبد الرحمن العليمي، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- **المنور في راجح المحرر**، لتقي الدين أحمد بن محمد الأدمي، تحقيق الدكتور وليد بن عبد الله المنيس، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- **النظم المفيد الأحمد**، لمحمد بن علي المقدسي، تحقيق الدكتور ناصر السلامة، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، ود. محمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٣م.

- **الهداية**، لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني، غراس - الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.
- **الوجيز**، لسراج الدين الحسين ابن أبي السري، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.



فهرس الموضوعات

الموضوع — **رقم الصفحة**

حسن الخلق

فوائد حسن الخلق ٧
أسباب الاتصاف بحسن الخلق.. ٨
الرجاء ممدوح شرعا وعقلا واليأس مذموم شرعا وعقلا ١٠

آداب المعلمين والمتعلمين

فائدة تشتمل على نبذة من آداب المعلمين والمتعلمين.. ١٧
ما يجب على المعلم ١٨
ما يجب على المتعلم ١٩
فوائد التوقف فيما لا يعلمه المعلم ٢٠
الحذر من التعصب.. ٢١
الحذر من الأغراض الفاسدة ٢١

الدرة الفاخرة
في التعليق على منظومة السير إلى الله والدار الآخرة

مقدمة ٢٩
العبادة ٣٠
الإخلاص والمتابعة.. ٣١
منزلة المحبة ٣١
الذكر ٣٢
الصبر ٣٤
الشكر.. ٣٥
التوكل على الله والاجتهاد في طاعته ٣٥
منزلة الإحسان ٣٦

الموضوع **رقم الصفحة**

منزلة الرعاية لحقائق الإيمان ٣٧

الوسائل المفيدة للحياة السعيدة

المقدمة ٤١

فصل (الإيمان والعمل الصالح)........ ٤٢

الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل........ ٤٥

فصل الاشتغال بعمل من الأعمال أو علم من العلوم النافعة ٤٦

اجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر........ ٤٦

فصل (الإكثار من ذكر الله) ٤٨

التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة ٤٨

النظر إلى من دوننا ٤٨

فصل (السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم وفي تحصيل الأسباب الجالبة للسرور)........ ٥٠

استعمال الدعاء ٥٠

فصل (تقدير أسوأ الاحتمالات) ٥٢

فصل (قوة القلب وعدم انزعاجه وانفعاله)........ ٥٣

التوكل على الله........ ٥٣

فصل (توطين النفس على تحمل عيوب الآخرين)........ ٥٥

فصل (عدم الاسترسال وراء الهموم)........ ٥٧

المقارنة بين نعم الله وما أصابه من مكروه ٥٧

أذية الناس عليهم ما لم تنشغل بها ٥٧

طيب حياتك بالأفكار النافعة ٥٨

أن تكون معاملة لله لا للخلق........ ٥٨

الانشغال بالنافع دون الضار ٥٨

حسم الأعمال في الحال ٥٨

ترتيب الأولويات مع الاستشارة........ ٥٩

الموضوع رقم الصفحة

رسالة في الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف

مقدمة ٦٣

في الاعتصام بحبل الله ٦٤

السعي في تأليف القلوب........ ٦٥

فصل في بعض مفاسد الاختلاف والتنازع والتباغض والتهاجر ومضارها ٦٨

فصل في فوائد اتفاق المسلمين وتحابهم والسعي في ذلك........ ٧٠

فصل (الواجب على المسلمين عموما وأهل العلم منهم خصوصا) ٧٢

فصل (في تجسيم التوافه)........ ٧٦

فائدة مهمة........ ٧٩

الجهاد في سبيل الله أو واجب المسلمين

المقدمة ٨٥

أسباب النصر........ ٨٦

أنواع الورثة........ ٨٧

الحذر من المخذلين ٨٨

فوائد ما فرضه الله على المؤمنين من تدبير أمورهم........ ٩٠

واجب الرؤساء والمرءوسين........ ٩٣

من أهم الجهاد السعي في إصلاح التعليم........ ٩٧

من أجل الجهاد شرح محاسن الدين ٩٩

فضل الجهاد في سبيل الله

من أخبار الله تعالى في كتابه عن الجهاد........ ١٠٣

من فضائل الجهاد في سبيل الله ١٠٤

فضل المجاهد في سبيل الله ١٠٤

الموضوع	رقم الصفحة
نداء للمسلمين وأنصار الدين	١٠٥
من أعظم الجهاد وأنفعه	١٠٦
من أعظم الخيانات	١٠٧
في المقاطعة للأعداء	١٠٧
معنى الجهاد	١٠٨

وجوب التعاون بين المسلمين

وجوب التعاون بين المسلمين على جميع المنافع الكلية ١١٣
أقسام الجهاد وأنواعه ١١٥
الجهاد المتعلق بالمسلمين بقيام الألفة واتفاق الكلمة ١١٦
الفرق العظيم بين رجال الدين وبين المخذلين المرجفين ١١٨
وجوب المشاورة في كل الأمور الكلية وفوائدها ١٢٠
وجوب الاستعداد للأعداء بكل قوة وأخذ الحذر منهم ١٢٢
الوجوب يتعلق بقدر القدرة والاستطاعة ١٢٣
وجوب الاجتهاد في فعل الأسباب النافعة مع التوكل على الله والاستعانة به ١٢٥
معرفة أحوال الأمم ودراستها ومعرفة سياساتها داخل في الجهاد ١٢٦
من الجهاد القيام بالقسط والوفاء بالعهود ١٢٧
ربط الصداقات وعقد المعاهدات بين الحكومات الإسلامية من الجهاد في سبيل الله ١٢٩
الاعتناء بالتربية والتعليم من أصول الجهاد ١٣١
من الجهاد ورعاية الأمانة تخير الأكفاء من الرجال في الولايات والأعمال ١٣٣
شرح محاسن الدين الإسلامي وبيان عقائده وأخلاقه وأحكامه وإصلاحه من أعظم الجهاد .. ١٣٥
نبذة من أخلاقه وأوصافه ﷺ وشيء من سيرته الدالة على أنه رسول الله حقًّا وأن ما جاء به من الدين هو الحق على وجه الإيجاز ١٣٨

التعليق وكشف النقاب
على نظم قواعد الإعراب

مقدمة ١٤٧

الموضوع	رقم الصفحة
فصل في الجملة وأحكامها	**١٤٩**
المسألة الأولى: في شرح الجملة	١٤٩
المسألة الثانية: في الجمل التي لها محل من الإعراب	١٥٠
الجملة المفعولية تقع في أربع مواضع	١٥١
المسألة الثالثة: في الجمل التي لا محل لها من الإعراب	١٥٢
المسألة الرابعة: في حكم الجملة إذا وقعت بعد المعارف	١٥٥
فصل في الجار والمجرور	**١٥٧**
المسألة الأولى: لا بد للجار والمجرور من تعلق	١٥٧
المسألة الثانية:حكم الجار والمجرور إذا وقع بعد المعارف	١٥٩
المسألة الثالثة: وقوع الجار والمجرور صلة لموصول أو صفة لموصوف... إلخ	١٦٠
المسألة الرابعة: جواز رفع الجار والمجرور للفاعل	١٦٠
فصل في تفسير كلمات يحتاج إليها المعرب، وهي اثنتان وعشرون كلمة على ثمانية أنواع...	**١٦٢**
أحدها: ما جاء على وجه واحد، وهي أربعة	١٦٢
النوع الثاني: ما جاء على وجهين	١٦٣
النوع الثالث: ما جاء على ثلاثة أوجه	١٦٤
النوع الرابع: ما جاء على أربعة أوجه	١٦٧
النوع الخامس: ما يأتي على خمسة أوجه	١٧١
النوع السادس: ما يأتي على سبعة أوجه	١٧٢
النوع السابع: ما يأتي على ثمانية أوجه	١٧٣
النوع الثامن: ما يأتي على اثني عشر وجها	١٧٤
فصل في ألفاظ محررة	**١٧٨**
خاتمة	**١٨١**

نظم معنى حديث
«مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل غيث أصاب أرضًا...»

في التشوق إلى الأحباب **١٨٧**